شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي
دراسة تحليلية

إعداد

حنان أحمد جاد الله الحتاملة

إشراف

د. ابراهيم السنجلاوي

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي

دراسة تحليلية

إعداد

حنان أحمد جاد الله الحتاملة

بكالوريوس في اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، ١٩٨٧

قُدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في الآداب

من جامعة اليرموك، تخصص: لغة عربية (أدب ونقد)

لجنة المناقشة

د. ابراهيم السنجلاوي .....رئيساً

أ. د. عفيف عبد الرحمن .....عضواً

د. موســـــى الرباعي .....عضواً

١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شكر وتقدير

بجزيل الشكر وعظيم الامتنان اتقدم لأستاذي الفاضل الدكتور ابراهيم السنجلاوي لما منحني من وقتهِ وجهدهِ الكثير، ولإغنائه هذه الدراسة بفضل مناقشاته العلمية المنطقية طيلة اعدادي لها، كما أشكر له تقديم المساعدة بفتحه ابواب مكتبته الخاصة -بكتبها القيمة التي رفدت الدراسة بما تحتاج من دعائم وركائز اساسية- أمامي. فجزاه الله عني كل خير لإنارته الطريق لي بفضل رعايته العلمية المتواصلة لانجاز هذا البحث. كما أشكر الاستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن والدكتور موسى الرباعي على ما بذلاه من جهد وعناء في قراءة هذه الرسالة ورفدها بحسن التقويم والتوجيه. مؤكدةً بأنني سأعمل -بإذن الله- على الإفادة من ملاحظاتهما وآرائهما القيّمة. كما اتوجه بالشكر للدكتور عبد العزيز شحادة إذ أنني أفدت منه الكثير من خلال مناقشاتي المستفيضة معه والتي اغنت الدراسة في أبعادها العميقة، إضافة الى الكتب والمراجع التي وجهني للاطلاع عليها.

كما اتقدم بالعرفان والتقدير لمن أجل واحترم. والديَّ اللذين لن يوفيهما الشكر حقهما، فقد كان لفضل رعايتهما الدائمة وحنوهما المتواصل كبير الأثر في دفعي لمواصلة الطريق في انجاز هذا العمل.

أما زوجي الذي كان يرفدني بفيض معنوي كبير كلما احتجت والذي رافقني على الدرب وعانى معي مشقة الطريق واقتطعت من وقته الكثير في سبيل انجاز هذا العمل فله مني جزيل الشكر وعظيم التقدير.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المحتويات

الموضوع الصفحة

شكر وتقدير ..... ج
الملخص ..... و
المقدّمة ١
الفصل الأول: تمهيـد ٥
اولاً: الفخر بين اللغة والاصطلاح ٦
١. الفخر لغة ٦
٢. الفخر اصطلاحاً ٩
ثانياً: الحماسة بين اللغة والاصطلاح ١٤
١. الحماسة لغة ١٤
٢. الحماسة اصطلاحاً ١٥
ثالثاً: صلة الحماسة بالفخر ١٧
رابعاً: الفروسية بين اللغة والاصطلاح ٢٠
١. الفروسية لغة ٢٠
٢. الفروسية اصطلاحاً ٢١
الفصل الثاني: القبيلة وعلاقتها بشعر الفخر ٢٥
الفصل الثالث: دوافع شعر الفخر القبلي ومعانيه وقيمه العامه ٣٧
أولاً: الدافع الإقتصادي ٣٨
١. الفخر بكثرة غارات القبيلة ٣٩
٢. الفخر بغنائم القبيلة ٤١
٣. الفخر بورود مياه القبائل الأخرى ٤٣
٤. الفخر بحماية المراعي الخصبة للقبيلة ٤٦
٥. الفخر بإجلاء القبائل عن مواطنها ٤٩
٦. الفخر بكرم القبيلة ٥١

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثانياً: الدافع الاجتماعي ٥٥
١. الفخر بقوة القبيلة ٥٧
٢. الفخر بكثرة عدد أفراد القبيلة ٦٤
٣. الفخر بكثرة السبايا ومنع نساء القبيلة ٦٧
٤. الفخر بالقيم الاجتماعية للقبيلة ٧٢
أ. الكرم ٧٣
ب. القيم الاجتماعية الأخرى ٧٦
ثالثاً: الدافع السياسي ٨٤
رابعاً: الدافع النفسي ٩٠
الفصل الرابع: المراوحة بين النزعة الذاتية والنزعة القبلية في شعر الفخر ١٠٣
أولاً:شعر الفخر القبلي (القبيلة البطلة) ١٠٤
١. توطئة ١٠٤
٢. وصف ايامها ووقائعها وغاراتها كثرة وشدة ١١٤
٣. وصف فرسان القبيلة وشجاعتهم وبأسهم ١١٦
٤. وصف جيوش القبيلة قوة وشجاعة وكثرة ١١٩
٥. وصف اسلحة القبيلة مضاءً وحدةً واحكام صنعة ١٢١
٦. وصف الخيل سرعة وقوة وكرم أصل ١٢٤
٧. وصف حال الاعداء اثناء وبعد القتال ١٢٦
ثانياً: شعر الفخر بين النزعة الذاتية والنزعة القبلية ١٢٨
١. توطئة ١٢٨
٢. المعاني العامة لشعر الفخر الذاتي ١٣١
٣. دوافع شعر الفخر الذاتي عند الشعراء الفرسان ١٣٢
٤. شعر الفخر الذاتي ضمن لوحة الفخر القبلية ١٥٢
٥. النزعة الفردية البحتة دافع للفخر القبلي ١٥٩
الخاتمة ١٦٩
المصادر والمراجع ١٧٣
الملخص بالانجليزية ١٨٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الملخص

شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي

دراسة تحليلية

إعداد

حنان أحمد جاد الله الحتاملة

إشراف

د. ابراهيم السنجلاوي

عرضت في هذه الدراسة لشعر الفخر عند الشعراء الفرسان وذلك في اربعة فصول.

اتيت في الفصل الأول منها على التعريف بالمعنى اللغوي والاصطلاحي للفخر والحماسة والفروسية. فوجدت ان المعاني اللغوية لها تتوافق مع المعاني الاصطلاحية إضافة إلى وجود الصلة بين الفخر والحماسة، مما يسوّغ لأن يكون الحديث اللاحق عن الفخر في بعض وجوهه حديثاً عن الحماسة كما وقفت على صلة الفروسية وارتباطها بكليهما.

وعرضت في الفصل الثاني لعلاقة القبيلة وبنيتها بشعر الفخر. فبينت ان البنية العميقة للقبيلة «الغنيمة» هي التي افرزت شعر الفخر بنوعيه.

ووقفت الفصل الثالث على دراسة دوافع شعر الفخر القبلي وقد جعلتها في أربعة دوافع: الأقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والنفسي إضافة إلى الدافع البيئي الذي تخللها وتفاعل معها. كما بينت من خلال دراسة تلك الدوافع المعاني والقيم العامة لذلك الفخر.

أما الفصل الأخير، فقد وقفته لدراسة «المراوحة بين النزعة الذاتية والنزعة القبلية في شعر الفخر» فدرست من خلاله صورة «القبيلة البطلة» التي برزت في

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الشعر القبلي للشعراء الفرسان، وتبينتُ ان الدافع لهذه الصورة البطولية للقبيلة كان في كثير من الاحيان ذاتياً. كما وقفت في هذا الفصل على شعر الفخر الذاتي عند الشعراء الفرسان ومعانيه وقيمه العامة إضافة الى دوافعه التي كانت في معظم الاحيان نفسيةً باعثها الاحساس بالخطر والضعف فجاء شعر الفخر الذاتي محاولةً للتصدي لهواجس الضعف والعجز والموت. كما بحثتُ فيه النزعة الذاتية البحتة دافعاً للفخر بالقبيلة، حيث يتم استحضار القبيلة في حال الشعور بالخطر يتهدد شخص الشاعر او في حال احساسه بالمشكلات الوجودية كالعجز والضعف والفناء والموت.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقـــل ربِّ زدنـــي علمـــا ﴾

صدق الله العظيم

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

مقدمة

يتناول هذا البحث شعر الفخر عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي بنوعيه: القبلي والذاتي. في محاولة لتقصي دوافع ذلك الشعر والأبعاد التي يرمي اليها.

إن رغبةً أكيدة في دراسة «الشعر الجاهلي» كانت تلازم تفكيري منذ بداية دراستي الجامعية الأولى، أما «شعر الفخر» منه، فقد حظي مني باهتمام خاص، فاخترته -حيث أصبح المجال مفتوحاً- ليكون موضوع دراسة وبحث.

ولتكون دراستي أكثر عمقاً فقد قررت أن احصرها بشعر الفخر عند الشعراء الفرسان. وعلى الرغم من أن شعراء الجاهلية جميعاً يتمتعون بقدرٍ من الفروسية فقد حاولت التركيز على الشعراء الذين برزت من خلال اشعارهم ملامح الفروسية بشكل أوضح وبمساحة أكبر مما هي عليه في شعر غيرهم، فإلى جانب مكانتهم المتميزة في القبيلة التي ربما تكون قيادية -في معظم الأحيان- كان لا بد من أن تعكس أشعارهم ملامح البطولة والفروسية التي ترفد ذلك الشعر بكمٍ كبير من الفخر.

ومن الأسباب الباعثة على اختيار «شعر الفخر» لدراسته امورٌ كثيرة منها: كثرة هذا الشعر في الجاهلية كثرة لافتة، تشير إلى أهمية خاصة لهذا الغرض الشعري في نفس وحياة الشاعر والإنسان الجاهلي، بخاصة أننا إذا اسقطنا هذا الغرض من الشعر الجاهلي، وما فيه من روح الفخر والحماسة لما خلص الينا- كما يقولون- إلا شيءٌ قليل ونزرٌ قليل من ذلك الشعر. فكان لا بد من محاولة الكشف عن انتشار شعر الفخر في ذلك العصر بشكل كبير وملحوظ حتى شكل ظاهرة. وأهمية ذلك الانتشار، أو تلك الظاهرة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كما أنه ومن خلال اطلاعي على الدراسات الكثيرة التي كان موضوعها الشعر الجاهلي- والتي وقعت بين يدي واسقصيتها ما استطعت- وجدت أن «شعر الفخر عند الشعراء الفرسان» لم يحظ بدراسة واحدة مستقلة تفي ذلك الشعر حقهُ من الدراسة والتحليل.

إن المعاني العميقة والخفية التي ينطوي عليها شعر الفخر هي ما شدني اكثر لدراسته. فمعظم الدراسات التي تناولت هذا الغرض الشعري -وبشكل جزئي في معظم الأحيان- كان اسلوبها وصفياً تقليدياً فلا ترى ان ذلك الشعر يعني شيئاً غير ان الشاعر يريد ان يفتخر فيه بنفسه او بقومه مظهراً -في حالة من الزهوِ والتعالي- ما لهم من شرفٍ وحسب ونسب، مجلجلاً بقوتهم وقدرتهم وعظمتهم، ذاكراً أيامهم وحروبهم وانتصاراتهم، مشيداً بقوتهم المطلقة وبطولتهم الخارقة وكرمهم اللامحدود. باعتقادي ان تلك الدراسات لم تعد تفي ذلك الشعر حقه، وفي دراستي هذه حاولت أن انظر الى ما وراء ذلك الفخر المجلجل بالقوة والبطولة الخارقة والكرم اللامحدود. وقد أفدت كثيراً من آراء نيرة لبعض الدارسين الذين حاولوا اكتناه العوالم الخفية والمرامي البعيدة لشعر الفخر في معرض دراستهم او حديثهم عن الشعر الجاهلي بشكل عام، من مثل يوسف اليوسف في كتابه «مقالات في الشعر الجاهلي» ودراسته «ما الشعر العظيم؟» ومصطفى ناصف في كتابيه «اللغة بين البلاغة والاسلوبية» «وقراءة ثانية لشعرنا القديم» وعفت الشرقاوي في كتابه «دروس ونصوص في الأدب الجاهلي» ومطاع الصفدي في دراسته «قراءة ثانية للشعر الجاهلي: الأصالة والممكن»، وماهر حسن فهمي في كتابه «قضايا في الأدب والنقد»، وأدونيس في كتابيه «كلام البدايات» و«مقدمة للشعر الجاهلي» ومحمد النويهي في كتابه «الشعر الجاهلي: منهج في دراسته وتقويمه» واحسان سركيس في كتابه «مدخل الى الأدب الجاهلي»، ويوسف خليف في كتابه «دراسات في الشعر الجاهلي».

أما منهجي في البحث فقد كان باستقصاء النصوص الشعرية وتحليلها على قاعدة نفسية اجتماعية، بيد ان تركيزي على هذا المنهج لم يجعلني أهمل المناهج الأخرى التي يمكن ان تثري النص الشعري وتفسر الظاهرة التي يعالجها البحث. ومن

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هنا فقد افدت من الروايات والاخبار بخاصة تلك التي كانت تنير النص، الى جانب الاهتمام بالنواحي الاسلوبية من مثل الصور الفنية والاستخدامات اللغوية.

وقد تألف هذا البحث، في صورته النهائية، من أربعة فصول:

الفصل الأول: كان فصلاً تمهيدياً تناول المعاني اللغوية والاصطلاحية لـ «الفخر»، «الحماسة»، «الفروسية»، بحثاً عن الصلة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي لها، كما حاول الفصل البحث في صلة الفخر بالحماسة وتوضيح علاقة الفروسية بكليهما.

أما الفصل الثاني: «القبيلة وعلاقتها بشعر الفخر»، فقد حاول الكشف عن العلاقة بين بنية القبيلة العميقة «الغنيمة» -والتي افرزتها طبيعة البيئة الجاهلية- وعلاقة هذه البنية بشعر الفخر عند الشعراء الفرسان، القبلي منه والذاتي، على انني حاولت ان يكون هذا الفصل موجزاً -قدر الامكان- حتى يكون المجال أوسع في توظيف محتوياته في الفصول اللاحقة على التحليل النصي في محاولة للابتعاد عن السرد.

وفي الفصل الثالث «دوافع شعر الفخر القبلي ومعانيه وقيمه المختلفة» بحثت دوافع الفخر القبلي عند الشعراء الفرسان فكانت أربعة دوافع: الدافع الاقتصادي، والدافع الاجتماعي، والدافع السياسي، والدافع النفسي، والتي تخللها جميعاً وتفاعل معها الدافع البيئي.

وقد وقفت من خلال بحث هذه الدوافع على المعاني العامة والقيم المختلفة لشعر الفخر عندهم وعلى ابعاد ذلك الشعر ووظيفته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية.

وتناول الفصل الرابع «المراوحة بين النزعة الذاتية والنزعة القبلية في شعر الفخر» اذ تناول «القبيلة البطلة» من خلال شعر الفخر القبلي والهدف من وراء هذه الصورة البطولية للقبيلة والأمور التي استطاع الشاعر من خلال تصوير القبيلة بصورة بطولية فذة.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كما حاول هذا الفصل الكشف عن النزعة الفردية دافعاً لظهور «القبيلة البطلة» من خلال شعر الفخر القبلي. وتضمن الفصل ايضاً دراسةً لشعر الفخر بين النزعة الذاتية والقبلية، كاشفاً عن المعاني العامة لشعر الفخر الذاتي باحثاً في دوافعه المختلفة والمشكلات الانسانية الكبرى التي ادت الى ظهوره، فأتى محاولةً للتصدي لها ومجابهتها من مثل الضعف والعجز، والموت والفناء. كما بين في النهاية كيف تكون النزعة الفردية والمصلحة الذاتية دافعاً لقول الشاعر القبلي. فجاء ذلك الشعر محاولةً لتجاوز الضعف وتخطي الخطر والتصدي له.

والله ولي التوفيق

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تمهيـــد

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

اولاً: الفخر بين اللغة والاصطلاح

١- الفخر لغة:

تكاد تجمع المعاجم اللغوية على معنى واضح لكلمة «فَخَر» فالفراهيدي يقول[١]: فَخِيرُكَ: مُفاخِرُك، كالخَصِيم، تقول: فَاخَرْتَهُ فَفَخَرْتَهُ، وهو نَشرُ المَناقِبِ وذكر الكريم بالكرم... والفَخْرُ عند ابن دريد[٢]: ان يَعُدَّ الرجلُ قَديمَه... والجواهري[٣] يقول إنّ الفَخْرَ هو: الأفْتِخَارُ وعَدُّ القديم كذلك الفَخْرُ... وفَاخَرْتُ الرجل فَفَخَرْتَهُ وأَفْخَرْتُهُ فَخْراً، إذا كُنْتَ أكرم منه أباً وأماً.

ويقول ابن زكريا في كلمة «فَخْر»[٤] الفاءُ والخاءُ والراءُ اصلٌ صحيحٌ وهو يَدلُّ على عظمٍ وقِدَمٍ منْ ذلك الفَخْر، ويقولونَ في العبارةِ عَنْ الفَخْرِ، هو عدُّ القديم... والتفخر : التَعَظّم... والناقة الفخور: العظيمةُ الضرع القليلة الدَّرّ.

---

(١) الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي. سلسلة المعاجم والفهارس (٤١)، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨١، **مادة** «فخر».

(٢) ابن دريد: كتاب جمهرة اللغة، حققه وقدم له: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧، مادة «فخر».

(٣) الجواهري: الصحاح: تاج اللغة، وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، مادة«فخر».

(٤) ابن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبدالسلام هارون، دار الفكر، مصر، ١٩٧٩، مادة «فخر».

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتكرر مثل هذه المعاني عند ابن زكريا اذ يقول[1]: الفَخْر: عدُّ القديم وفَخَرَت الرجل على صاحبه، أفْخَر، فَخْراً: اي فضلته عليه.

وابن سيدة يكرر المعاني التي وردت ويقول:[2] وفَاخَرَهُ مَفْخَرَةً، يفْخَرُهُ فخراً: كان أفخَر منه، والفَاخِرُ : الجَيِّدُ مِنْ كلِّ شيء والفَخيرِ: المغلوب بالفخر.

وابن منظور جمع ما قيل سابقاً فقال[3]: الفَخْر والفَخار والفَخارةُ والفِخِّيرَى والفِخِّيراءُ: التمدّح بالخصال والافتخارُ وعَدُّ القديم.. وتَفاخَرَ القومُ: فَخَرَ بعضُهم على بعض، والتفاخر: التعاظم والتفخر التعظم والتكبر.. وفاخره مفاخرة وفخاراً: عارضه بالفُخْر ففَخَرَه، وقوله تعالى: إن اللّهَ لا يحب كل مُخْتال فَخُور؛ الفخور: المتكبر.. وفي الحديث: أنا سيد ولد آدم ولافَخْرَ؛ الفَخْرُ: ادّعاء العظم والكبر والشرف، أي لا أقوله تَبَجُّحاً ولكن شكراً للّه وتحدثاً بنعمه.. وفَخَرَ الرجلُ: تكبر بالفَخْر... والفَخُور من الأبل العظيمة الضرع القليلة اللبن، ومن الغنم كذلك... والفَخَّار، الخَزَف.. والفَخّارة: الجَرّة وجمعها فَخّار معروف في التنزيل: من صَلصال كالفَخّار.

ويكرر الزبيدي ما سبقَ من معانٍ ويضيفُ إليها قليلاً حيثُ يقول في «الفَخْر»[4]: انه التمدح بالخصال وعدّ القديم والمباهاة بالمكارم من حسب ونسب، وقيل: هو المباهاة بالأمور الخارجة عن الانسان كمال وجاه وقيل: الفخر إدعاءالعظم والكبر والشرف.. والتّفاخر: التّعاظم.. والتّفَخُّر: التكبر، وفُخِرَ فلان اليوم على فلان في الشرف والجلد والمنطق اي فُضِلَ عليه والمفخَرة، المأثرة وما فخر به.

---

(١) ابن زكريا: مجمل اللغة، حققه الشيخ هاوي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافه والعلوم، الكويت، ط١، ١٩٨٥، مادة «فخر».

(٢) ابن سيده: المحكم والمحيط الاعظم في اللغة، تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط١، ١٩٥٨، مادة «فخر».

(٣) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، مادة «فخر».

(٤) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، المحمية، ط١، ١٣٠٦هـ مادة «فخر».

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والفيروزابادي[1] لا يأتي بجديد.. فالفَخْر: التمدّح بالخصال كالافتِخَار.. وفَخَر كمَنَع فهو فَاخِر وفَخُور.

ويمكن اجمال ما قيل في معنى كلمة «فخر» من خلال تتبعها في عدد من معاجم اللغة العربية، انَّ الفَخْر لغة هو: عدّ القديم والمباهاة بمكارم الاخلاق والمناقب، والمآثر، وادعاء العظم والكبر والشرف.

والمتمعن للمستوى اللغوي لكلمة «فخر» واشتقاقاتها المختلفة،يجد ان لها علاقة قوية بمعاني الضعف والعجز الذي يستوجب ادّعاء أو اظهار ما هو غير كائن حقيقة في احيان كثيرة. فالفَخْرُ: ادعّاد العِظَم والكِبَر والشَرَف.[2]

وفي كلمة ادّعاء ما فيها من تشكيك في حقيقة مثول هذه القيم في شخص من يدعيها.وعرفت المعاجم ايضاً الفخر بأنّه عَدُّ القديم[3] .. وأنْ يَعُدَّ الرجلُ قَدِيمَهُ[4].. وعَدُّ القديم والمباهاة بالمكارم من حسب ونسب[5].. وفي الرجوع إلى الماضي ووصف ما كان فيه من قوة وفاعليه للقبيلة او الفرد وتعديد المواقف والأفعال في الايام الخالية نكوص إلى الماضي يُعَدّ من وجهة النظر النفسية ألية من أليات التكيف في حال الشعور بعدم الرضى والضيق والعجز[6]، إنَّهُ ردّ فعل في حالات القهر والرضوخ والفشل فالرجوع إلى الماضي يشي بحاضر خاوٍ، ومستقبل فارغ مفعم باليأس. والتّفَاخُر يعني التّعَاظُم، ونحن ندرك «أنّ كل اتجاه نحو تعظيم الذات إنّما يخفي

---

(١) الفيروزأبادي: القاموس المحيط، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الاميرية سنة ١٣٠١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧، مادة «فخر».

(٢) لسان العرب: مادة «فخر».

(٣) لسان العرب: مادة «فخر».

(٤) كتاب جمهرة اللغة: مادة «فخر».

(٥) تاج العروس: مادة «فخر».

(٦) انظر: فاخر عاقل: أصول علم النفس وتطبيقاته، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤، ١١٥-١١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وراءه شعوراً حاداً بالضعة والعجز»[1]. والفخور من الإبل: العظيمة الضرع القليلة اللبن ومن الغنم كذلك..[2] وفي ذلك أنّ شيئاً يظهر بغير حقيقته فالإبل العظيمة الضرع توهم بأنها كثيرة اللبن في حين انها على العكس من ذلك فسميت الفخور. والفَخَّار الخزف.. والفَخَّارة: الجرّة[3].. والخزف والجرار ايضاً يحملان معنى الضعف فهي سريعة الكسر إذا ما تعرضت لأبسط صدمة لهشاشتها وضعف تماسكها إضافة إلى ان الجرة تكون منتفخة ولكنها فارغة ويتضح ان من معاني الفخر ما يشير إلى العظمة الفارغة التي لا جوهر لها، وهذا أمر مهم إذ أنّ الفخر في كثير من الأحيان يكون دفاعاً نفسياً عند الإحساس بالضعف.

٢. الفخر اصطلاحاً:

يقول حازم القرطاجني في كتابه منهاج البلغاء في تعريف الفخر«الافتخار مدح يعيده المتكلم على نفسه او قبيله»[4] ويرى ان الفخر «جار مجرى المديح»[5].. ويسبقه إلى مثل هذا الرأي ابن رشيق في عمدته حيث يقول: «والافتخار هو المدح نفسه إلا ان الشاعر يخصّ به نفسه وقومه»[6] ويرى هو الآخر ان «كل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار.[7]

---

(١) يوسف اليوسف، تحليل معلقة امرئ القيس، المعرفة «مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي»، العدد ١٦٣، ١٩٧٥، ٧٨.

(٢) لسان العرب: مادة «فخر».

(٣) لسان العرب: مادة «فخر».

(٤) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الادباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الأسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨١، ٣٥٢.

(٥) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٦) ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١، ١٤٣/٢.

(٧) المصدر نفسه ١٤٣/٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ما يلفت النظر في هذين التعريفين للفخر ذلك الربط الواضح بين المدح والافتخار بالقول: «الافتخار: مدح...» والفخر «جار مجرى المديح» و «الافتخار هو المدح نفسه..».

فاذا كان المقصود تكرار القيم نفسها في الفنين فهذا جائز، لان هذه القيم تتكرر حتى في الاغراض الشعرية الأخرى. يقول احد الدارسين في هذا المجال «فإذا بقيم الفروسية تتكرر، في الفخر عندما ينسبها الشاعر لنفسه وقومه وفي المدح عندما ينسبها للآخر ولقومه وفي الرثاء عندما يبكيها في فقدان من كان يحملها ويحافظ عليها. وفي الهجاء، عندما يسلبها الشاعر من المهجو ويجرده منها ويعريه أمام تقاليد البطولة والكرم والاباء والتضحية»[1].

فالمديح يشترك مع الفخر من حيث القيم التي يمدح بها الشاعر ممدوحه والقيم التي يفتخر بها عندما يفخر بنفسه او بقومه، بيد ان الفخر يبقى مختلفاً عن المديح في دوافعه واهدافه فأنا اوافق حازم القرطاجني وابن رشيق رأيهما إذا قصدا قيم الفخر التي هي قيم المديح نفسها التي يحددها قدامه بن جعفر بـ «العقل، والشجاعة، والعدل، والعفة»[2]. فهذه الفضائل الأربع وما تفرع عنها وما نشأ من تركيب الواحده مع الأخرى منها هي ذات الفضائل، والقيم التي يفتخر بها ويتمدح بها بل يرثى بها ايضاً.

ولكن الربط عندهما أخذ بعداً آخر فيما يبدو من خلال القول بان «الافتخار: هو المدح نفسه». ولا اريد ان اشير إلى الاختلاف الظاهر بين الفنين.. ولكن اريد القول باختصار ان الدوافع والبواعث لهذين الفنين تتفاوت كما ان الغايات والابعاد بشقيها المادي والمعنوي تختلف وتتباعد قليلاً او كثيراً وان كانت القيم الاجتماعية والمعايير الخلقية التي يتصف بهاالشاعر أو الممدوح او القبيلة هي امور مشتركة بين الفنين.

---

(١) مطاع الصفدي وايليا حاوي، موسوعة الشعر العربي، المجلد الأول، الشعر الجاهلي، شركة خياط للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٧٤، ٤٧.

(٢) قدامه بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د.ت، ٩٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإذا عدنا لمعنى الفخر عند القدماء من النقاد وجدنا الجرجاني يقول إنّ الفخر هو: «التطاول على الناس بتعديد المناقب»[1]، ومع ان هذا التعريف لا يخلو من العمومية فإنه يشير ويلمح بما تضمنه من معنى «التطاول» إلى ما ستسعى الدراسة إلى اثباته من أن الفخر اسلوب دفاعي امام قوى متعددة تسيطر على الإنسان الجاهلي وتهدد وجوده. والمناقب في هذا التعريف تشمل جميع الصفات والخصال الرفيعة من الشجاعة والكرم والمروءة والنجدة والفروسية والوفاء واغاثة الملهوف.. ونحو ذلك، هذه الامور التي كان يفخر بها الشاعر الجاهلي استجابة لدوافع معينة لدى الشاعر ستحاول الدراسة البحث عنها واكتناهها من خلال الشعر نفسه.

وإذا تجاوزت تعريفات القدماء للفخر إلى تعريفات بعض المحدثين من نقاد ودارسين وباحثين وجدت كثيراً منها يدور في نفس الفلك الذي دار به تعريفا حازم وابن رشيق ولنطالع معاً بعض هذه التعريفات، يقول احد الدارسين الفخر هو: «قدح بكرم الخلال، وطيب الشمائل، ومباهاته بنفسه أو قبيلته»[2] ويقول السباعي بيومي «الفخر هو تمدح الشاعر بنفسه وقومه وذكر مآثرهم ومفاخرهم»[3] وترى دراسة أخرى ان الفخر «هو اعتزاز بفضائل تعارف عليها الجاهليون وجعلوها عدلاً للانسان، فلا معنى لوجوده ان لم يتحل بها، منها الكرم، ونبل الخلق- وذكر الايام والشجاعة والاقدام وما اليها، ولما كان الفرد جزءاً من قبيلته، فقد كان الشاعر يفخر بنفسه وقبيلته»[4]، ويرى دارس آخر ان هذا الفخر نتاج العصبية القبلية، فهو «من توابع العصبية والحياة القبلية، وكان الشاعر يفتخر بقومه اولاً وبنفسه ثانية»[5]،

---

(١) الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، تحقيق وتعليق: عبدالرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧، ٢١٢.

(٢) عبدالمنعم خفاجي، الشعر الجاهلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦، ٢٢٧.

(٣) السباعي بيومي، تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ١١٢.

(٤) انعام الجندي، الرائد في الأدب العربي، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٩، ١٢٨/١.

(٥) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الجزء الاول، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧٨، ٨٣/١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فالدارس يجزم بان الشاعر دوماً يقدم قومه في الفخر على نفسه، علماً بأن الشاعر كثيراً ما كان يفتخر بقومه كي يفسح المجال امامه للاعلاء من شأن نفسه بين هؤلاء الناس، وكثيراً ما يكون فخره بقوله بدافع ذاتي بحت.

ومن خلال تتبعي لكثير من الدراسات الحديثة التي تحدثت عن فن الفخر باقتضاب أو باتساع وجدّت أنها تكاد تجمع على مثل هذه التعريفات المتقاربه لـ «الفخر»، وعلى ان هذا الفخر كان يتناول القيم والمعايير الاجتماعية التي اقرتها الحياة الجاهلية وآمن بها الجاهليون وجعلوها مقياساً ونبراساً لهم في حياتهم، من شجاعة واقدام وجود ونبل خلق وشهامة، ورجاحة عقل وصبر على الشدائد، وعفة ووفاء وطيب منبت وعراقة اصل، وكثرة المال وعزة الجاه، والولد والعدد، وتجلد للأيام والحوادث، وغير ذلك من الفضائل والشمائل التي يخص الشاعر الجاهلي بها نفسه وقبيلته وإذا كانت كثير من الدراسات الحديثة، لم تخرج عن هذا الأطار في تعريفها للفخر[1]، فإن هناك دراسات أخرى كانت أكثر تعمقاً في فهمها لشعر الفخر في العصر الجاهلي. يقول احدهم «والحقيقة فإن ما اصطلح على تسميته بفن الفخر

---

(١) أنظر في ذلك: حنا الفاخوري، الفخر والحماسة، سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨، ٥.

- يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٨٦، ٣٠٠.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار العلم للملايين، ومكتبة النهضة، بيروت، ط١، ١٩٧٢، ١٤٨/٩.
- شفيق الكمالي، الشعر عند البدو، مطبعة الارشاد، ساعدت جامعة بغداد على طبعة، بغداد، د.ت، ٢٣٢.
- أحمد احمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د.ت، ٢١٩.
- أحمد الاسكندي ومصطفى عناني، الوسيط في الأدب العرب وتاريخه، دار المعارف بمصر، مصر، ط١٨، د.ت، ٤٧.
- عبد العزيز نبوي، دراسات في الأدب الجاهلي، الناشر الصدر للخدمات والطباعة، القاهرة، ط٢، مزيده ومنقحه، ١٩٨٨، ١٧٢.
- نوري حمودي القيسي، الفروسية في الشعر الجاهلي، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٤، ٢٤٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في الشعر الجاهلي، إنما هو أساس الصياغة التراجيدية، في كل الفن الشعري في هذه الحقبة ذلك أنه إذا كانت التراجيديا تقوم على اساس تفجير النسيج الفني بين قطبي صراع، فإن منطلق الفخر العربي، هو تمجيد لحظة الانتصار في هذا الصراع»[1]، ويفسر هذا بقوله «فلقد كان على العربي في مثل شروط تلك البيئة القاسية، ان يؤكد ثباته امام العدم، كل لحظة، وكان العدم يتكشف له في صورة العدو الذي ينافسه على ينابيع المياه، مراتع الابل، ثم صعد العربي هذا الموقف الطبيعي المادي المباشر، إلى فكرة العرض والشرف، فأصبح الدفاع عن المال- بما تعنيه هذه اللفظة من دلالة واسعة تشمل كل موضوع تملك- هو انتصار للكرامة، هو معادل قيمي لوجود الشرف أو استلابه، واصبحت ارض الربيع (المرعى)، والابل، واهل الحي، كلها مجموعة رموز لوجود الرّجولة العربية، المهدّدة من قبل الغزاة في كل لحظة. وهكذا فإن الصراع كان اساس السلوكية الجاهلية وكان الصراع بالتالي، هو البرهان الايجابي الوحيد ضد تهديد العدم»[2]، ومن آراء الدارسين المتعمقة في فن الفخر هذا الرأي لمصطفى ناصف حيث يقول: «إذا بحثنا عن بعض الظروف التي تدعو الانسان إلى الفخر بنفسه وجدنا الفخر غالباً ما يكون نوعاً من العزاء الوهمي او البديل الخيالي لماض فقده، وحاضر لا إشباع فيه، وهذا واضح لا شك فيه، فلن يضطر المرء إلى الفخر إلا اذا فقد شيئاً سواء اكان ماضياً أم حاضراً، واعز ما يفقده الانسان الاتصال بينه وبين الناس، فالفقد إذن يعتبر من اهم البواعث على الفخر، فإذا ارتفع صوت الانسان بما يدعي انه في حوزته فقد يكون ذلك عزاء عن ضعفه وشعوره بمالا يملك»[3]

في الرأيين السابقين ما يؤكد الفكرة التي اوحى بها المستوى اللغوي للكلمة من ان شعر الفخر كثيراً ما يكون دفاعاً نفسياً ضد تحديات مختلفة عند الاحساس بالضعف.

---

(١) موسوعة الشعر العربي، ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ٣٣، ٣٤.

(٣) مصطفى ناصف، اللغة بين البلاغة والاسلوبية، النادي الادبي الثقافي بجده، المملكة العربية السعودية (جدة) ١٩٨٩، ٣٤٩، ٣٥٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ثانياً: الحماسة بين اللغة والاصطلاح

١. الحماسةلغة:

تكاد تتفق المعاجم اللغوية على معنى محدد واضح لكلمة «الحماسة» ويتكرر شرحها من معجم إلى آخر من غير فوارق بين هذه الشروح، فجميعها تشير إلى أن هذه الكلمة تعني الشجاعة والشدّة والمنع والمحاربة، فهي تشير إلى كل المعاني التي تقوم على المفهوم الحربي الاقتتالي وما يترتب على هذا المفهوم من معان جزئية عائدة إلى المفهوم الاساسي، فالجواهري يقول:(١) إن الحماسة: الشجاعة؛ والأَحْمَس الشجاع، وابن زكريا يقول ايضاً(٢): الحَمَس والحَمَاسة: الشجاعة والشدّة.. والأَحْمَس الشجاع، ويقال: عام احمَسُ:إذا كان شديداً وأُرضون أُحامِسُ: شديدة ويقال تحَمَّسَ الرجل: تعاصى. والحُمْس: قريش، لأنهم كانوا يتحمسون في دينهم أي يتشددون، ويكرر ابن فارس(٣)، مثل هذا في حين يرى ابن سيدة ان الحماسة هي : «المنع والمحاربة والشدّة في الغضب»(٤)، ويتكرر هذا المعنى عن ابن منظور حين يقول:(٥) والحَمَاسَة المنع والمحاربة.. وتحَامَس القوم تَحامُسَاً وحَمَاسَاً تشادوا واقتتلوا.. والزبيدي يقول:(٦) والحَمَاسَة: الشجاعة والمنع والمحاربة ومنه «الأَحْمَس» وهو الشجاع، وحَمُس الامر: اشتدّ، وحَمُس الرجل صلب في الدين وتشدد في القتال.. ولم يضف الفيروز ابادي الا بعض الشروح التي تبقى ضمن الإطار العام لمعنى كلمة الحَمَاسَة(٧).

---

(١) الصحاح: مادة «حمس».

(٢) معجم مقاييس اللغة: مادة «حمس».

(٣) مجمل اللغة: مادة «حمس».

(٤) المحكم والمحيط الاعظم في اللغة: مادة «حمس».

(٥) لسان العرب: مادة «حمس».

(٦) تاج العروس: مادة «حمس».

(٧) القاموس المحيط: مادة «حمس».

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وعليه فإن الحَمَاسَة لغة:

تعني الشجاعة والقوة والمنع والمحاربة والشدة والبأس وما إلى ذلك من معان وصفات تتعلق بالشجاعة وترتبط بها كالصبر والاحتمال والاباء والجرأة.

٢. الحماسة اصطلاحاً:

أما معنى الحماسة في الاصطلاح: فقد اطلق اسم الحماسة على كثير من الأختيارات الشعرية القديمة كحماسة ابي تمام والبحتري والبصري وابن الشجري وغيرهم كثيرين[١] من اصحاب الاختيارات الشعرية القديمة التي كانت تعنى بلون من الشعر «يصور البطولات والمواقف المشرفّة التي تعلن عن الرجولة الفحلة والشجاعة النادرة والأقدام الذي لا نظير له في ثنايا تلك الخلال الحميدة»[٢]

وعند شفيق الكمالي ان شعر الحماسة «اناشيد حرب، وانتصار للشرف والآباء وهو شعر الثورة التي لا تخمد والغضبه البدوية التي لا يطفئ أوارها إلا الدم»[٣]، ويرى امجد الطرابلسي ان شعر الحماسة يختص- كما يرى القدماء-: «في الشجاعة والاقدام والحض على النزاع وتحمل المكروه والاستهانة بالموت وأدراك الثأر وما إلى ذلك من المعاني الحماسية»[٤] ويقول دارس آخر أن الحماسة في الشعر هي: «التغني بالصفات التي تنبئ عن القوة، وتدل على الشجاعة، والاستهانة بالصعب من الامور والعسير من المخاطر وخوض غمار الحروب، وذم الجبن والخور والفرار»[٥].

---

(١) لمزيد من الحديث عن الحماسات القديمة أنظر: صدر الدين علي بن الحسن البصري، الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين احمد، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣، ١/٢-١٧.

(٢) محمد بركات حمدي ابو علي، أبو تمام بين اشعاره وحماسته، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط١، ١٩٨٢، ٥٣٢.

(٣) الشعر عند البدو: ٢٤٧.

(٤) امجد الطرابلسي، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، دار الفتح بدمشق، د.ت، ١١٨. (ملاحظة: قال " في الشجاعة" والأصح أن يقول" بالشجاعة").

(٥) محمد عبد المنعم خفاجي، الشعر الجاهلي: ٢٦٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويتكرر مثل هذا المفهوم لمصطلح الحماسة عند يحيى الجبوري إذ يقول: «والحماسة فن الحرب والقتال والشجاعة والتغني بصفات البطولة والرجولة وركوب المخاطر وخوض غمرات القتال، ووصف ما في الحرب من كر وفر وعدو وسلاح ودماء وجرحى وقتلى، ودعوة للحرب وأخذ بالثأر وما إلى ذلك»[1] وشعر الحماسة هو ضرب من الشعر يصور «البطولة والمثل العليا للفروسية التي تقوم عليها حياة الصحراء»[2]، اما زكي المحاسني فيقول: «الحماسة (اي الفروسية) هي القصائد التي تتمدح بذكر الشجاعة في القتال،والبطولة في المعارك ويرى لويس ماسينيون أنّها تضم الجزء العظيم من الشعر العربي القديم»[3]

وشعر الحماسة عند جواد علي هو «شعر المعارك والحروب»[4]، كما يرى بروكلمان ان شعر الحماسة، «هو باب التعبير عن ضروب الشجاعة المختلفة»[5]. ويتكرر هذا القول عند عفيف عبدالرحمن حيث يتحدث عن باب الحماسة في الشعر العربي قائلاً: «كان أغزر الابواب مادة، وهو باب التعبير عن ضروب الشجاعة المختلفة»[6].

والحماسة بما فيها من المعاني هي عند نوري القيسي شعر حرب« يسجل ضروب الشجاعة واصناف التضحية وصفات البسالة والجرأة والإقدام»[7].

---

(١) يحيى الجبوري، الشعر الجاهلي: ٢٩٣.

(٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) زكي المحاسني، شعر الحرب في آداب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة، دار المعارف، بمصر، ط٣، د.ت، ٢٢٩.

(٤) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ١٥٥/٩.

(٥) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية، عبدالحليم النجار، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٣، ٤٩/١.

(٦) عفيف عبدالرحمن، الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي، دار الاندلس، بيروت، لبنان ط١، ١٩٨٤، ٢٣٦.

(٧) نوري حمودي القيسي، شعر الحرب حتى القرن الأول الهجري، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يرى عوض الغباري ان شعر الحماسة : «هو صوت الشاعر العربي الذي يتغنى بكل ما يعتز به العرب من صفات القوة والفروسية والبطولة، والانتصارات الحربية، والقيم الرفيعة والخصال الحميدة التي يمكن ان يضمها معنى جامع هو معنى (المروءة)»[1].

والحماسة بمعناها الأدبي تعني أكثر ما تعني عند محمد جميل شلش «الشعر الذي يعبر عن معاني الشجاعة والشدة، والمنع والمحاربة، والتغني بالاباء، والجلد والجرأة والاقدام والصبر وما إلى ذلك ..»[2].

وهكذا يمكن القول ان المفهوم الاصطلاحي للحماسة يعني شعر الشجاعة والشدة والقوة والبسالة والفروسية في الحروب والمعارك يتغنى فيه الشعراء بكل ما يتعلق بهذه الصفات من معانٍ كثيرة وممتدة من صبر واقدام وجرأة وحكمة وشرف ومروءة، ودراية.. ونحو ذلك من المعاني الحماسية.

ويبدو بعد هذا العرض، أن معنى الحماسة الاصطلاحي يلتقي مع معناها اللغوي الذي يعني الشجاعة والقوة والمنع والمحاربة والشدة والبأس وما يتعلق بذلك من معان وينبثق عنه.

ثالثاً: صلة الحماسة بالفخر

حاولت في دراسة معنى الحماسة اصطلاحاً ان استعرض آراء الدارسين الذين جعلوها مستقلة عن الفخر وذلك كي اخلص إلى مفهومها الاصطلاحي في الشعر... ولكن لا بد للباحث في هذا الموضوع ان يلاحظ ان كثيراً من الباحثين كانوا قد مزجوا بين الحماسة والفخر، عند الحديث عنهما وذلك لوجود صلة قوية وارتباط واضح بينهما.

---

(١) عوض الغباري، شعر الحماسة في الأدب العربي، الطليعة الأدبية، العدد السابع، تموز، ١٩٨٥، ١٧.

(٢) محمد جميل شلش، الحماسة في شعر الشريف الرضي، المكتبة العالمية، بغداد، ط٢، ١٩٨٥، ١٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فها هو عفيف عبد الرحمن، يقول في كتابه الشعر ايام العرب «لقد جرت عادة شعراء الحرب انهم عندما يفتخرون فأنهم يضمنون معانيهم عبارات الحماسة لانها مادتهم في حروبهم والا فبم يفتخر الفارس؟ وبذلك يصبح الفخر والحماسة شيئاً واحداً يتعذر فصلهما».[1]

وفي هذا المجال ايضاً يقول بطرس البستاني «اتفق مؤرخو الأدب ان يجعلوا الفخر والحماسة باباً واحداً لما بينهما من الاتصال الوثيق لان الحماسة ليست سوى فخر الفارس ببطولته وذكر وقائعه ووصف فرسه وسلاحه»[2]، ويضيف انه «من العبث ان نبحث عن فخر شاعر بنفسه او مدح شاعر لغيره او رثاء شاعر لميت دون ان يكون للشجاعة القسط الراجح بحيث لا يمكن ان نفصل الفخر عن الحماسة لأنهما وجداً توأمين متلازمين؛ فلا فخر بدون حماسة وكذلك الحماسة هي الفخر بعينه»[3].

ويربط محمد حسن درويش بين الفخر والحماسة من خلال قوله: «الفخر من لوازمه الحماسة هو تمدح الشاعر بخلال نفسه وخصال قومه وسر مآثرهم وفضائلهم وتعدد مفاخرهم ومكارمهم»[4].

ويربط شوقي ضيف بين الحماسة والفخر بحديث غير مباشر عن الحماسة «فهي التي تستنفذ اشعارهم وقصيدهم.. وهي ديوانهم الذي يبسط تاريخهم

---

(١) الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي: ٢٣٥.

(٢) بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الأسلام، حياتهم آثارهم- نقد اثارهم، دار الجيل ودار ما رون عبود، طبعة جديدة ومنقحة ومشروحة ومفهرسة، ١٩٧٩، ٤٦.
وانظر : بطرس البستاني، الشعر الجاهلي، صدر عن دار المعلم بطرس البستاني، وانجز في مطابع قصر العدل الحديثة، ١٩٨٥، ٤٢.

(٣) انظر: بطرس البستاني الشعراء الفرسان، دار الكشوف، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٦٦-١٠.

(٤) محمد حسن درويش، تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الاسلام، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة ١٩٧٤، ١٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومناقبهم ومفاخرهم.. وهل هناك فخر اعلى من فخر الشجاعة والتنكيل بالاعداء»،[1] ويضيف قائلاً: «واقرأ في المفضليات والاصمعيات فستجد هذا الفخر وما يطوي فيه من حماسة تدور على كل لسان»[2]..

ويقول آخر في دراسة للقصيدة الجاهلية «لم نجعل للحماسة موضوعاً مستقلاً لانها ضرب من الفخر، والزهو والتغني بالذات سواء في شجاعتها وفروسيتها أوفي قتالها وعصبيتها أو في بأس العشيرة وانتصاراتها وتغلبها على الخصوم»[3]. وعند دارس آخر ان الحماسة «هي وصف المعارك والفخر بالنفس أما الأسلاف»[4] وكذلك يربط يحيى الجبوري الفخر بالحماسة من خلال تعريفه للفخر حيث يقول: « أما الفخر فضرب من الحماسة، وهو التغني بالفضائل والمثل العليا، والتباهي بالسجايا النفسية، والصفات القومية والزهو بالفعال الطيبة»[5]، ويؤكد آخر هذه الصلة بقوله: «شعر الحماسة لون فاقع من الوان الفخر»[6].

وهكذا يتضح أن شعر الفخر لا ينفصل عن شعر الحماسة، وان الصلة قائمة ووثيقة بين الفخر والحماسة، ويتأكد لنا هذا أكثر عند مراجعة حماسة أبي تمام، أو غيرها من الحماسات، حيث نجد انه يضع الباب الأول باسم «باب الحماسة» ولا يخص الفخر بباب خاص من ابواب حماسته وذلك لان الفخر متضمن في باب الحماسة، ليس هذا حسب فأنك حين تقرأ في هذه الاختيارات تجد ان للفخر حضوراً في معظم ابوابها الشعرية من مدح أو رثاء او هجاء حتى انك لا تكاد تقرأ قصيدة جاهلية- بقطع النظر عن غرضها- إلاّ وتجد بيتاً أو أبياتاً، وهذا يدل على أن الحماسة مادة الفخر وهي اوسع منه.

---

(١) شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، القاهرة، د.ت، ٢٠٢.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) محمد صادق حسن عبدالله، خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة، دراسة وتحليل ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ٤٤٠.

(٤) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ٨١.

(٥) يحيي الجبوري، الشعر الجاهلي، ٣٠٠.

(٦) الحماسة في شعر الشريف الرضي، ١٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وعلى الرغم من ثبوت الصلة بين الفخر والحماسة فالباحث لا يجزم بالقول- كما صنع بعض الدارسين- ان الفخر هو الحماسة بعينها أو العكس، والاقرب إلى الحق أن نقول إن الحماسة تبقى اكثر اتصالاً والتصاقاً بمعاني الحرب والشجاعة، والاقدام وتلك المعاني يستخدمها الشاعر في الفخر ايضاً بيد أنه قد يفخر باشياء ليست من باب الشجاعة والاقدام.

وما خلصت اليه بمثابة مسوغ لئن يكون حديث الدراسة اللاحق عن الفخر يتضمن حديثاً عن الحماسة نفسها، إذ انهما امران مترابطان وثيقا الصلة.

رابعاً: الفروسية بين اللغة والاصطلاح:

١. الفروسيةلغة:

من مقتضيات الدراسة الأولية لمن يدرس شعر الفخر عند الشعراء الفرسان التعرف على معنى الفروسية لغة واصطلاحاً.

أما على مستوى اللغة فأن ما قيل عن الفروسية يتكرر في المعاجم القديمة منها والحديثة تحت مادة (فَرَسَ). وللايجاز نورد ما قاله ابن منظور في معنى الفروسية فقد جاء في اللسان:(١) الفَرَس واحد الخيل.. وراكبه فَارس.. والفَارِس صاحب الفرس على أرادة النسب والجمع فَرَسَان وفَوارس.

والفرسان: الفوارس، المصدر الفَراسة والفُرُوسة، والفَراسة بالفتح: مصدر قولك رجل فارِس على الخيل، الاصمعي: يقال فارِس بيّن الفُرُوسة والفَراسة والفُرُوسِيَّة.

وقد فرُس فلان، بالضم، يَفْرُسُ فُرُوسة وفَراسة إذا حُذِق أَمر الخيل، قال: وهو يَتَفَرَّس إذا كان يُري الناسَ أَنه فارس على الخيل ويقال هو يَتَفَرَّس إذا كان يَتَثَبَّتُ وينظرُ.. الفراسة، بكسر الفاء: في النَّظَرِ والتَّثَبُّتِ والتأمل للشيء والبَصر به.. والفَراسَة بالفتح، العِلم بركوب الخيل وركضِها، من الفُرُوسيَّة، والفُروسةُ لغة فيه، وتفرَّس فيه الشيء : توسّمه والاسم الفِراسَة بالكسر.

(١) لسان العرب، مادة «فرس» ، ١٥٩-١٦٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَرَسَ الذَّبيحَة، يَفرِسُها فَرْساً قطع نخِاعَها وفرَسَها فَرْساً فصَل عنُقُها، قال ابو عبيدة الفَرْس، بالسين، الكسر.. ابن الاعرابي: الفَرْس ان تدقّ الرقبة قبل ان تذبح الشاة.. وفرس الشيء فرساً: دقّة وكسرَه، والاصل في الفَرْس دقّ العنق، ثم كثر حتى جعل كل قتل فرْسَاً.

ويبدو ان كل هذه المعاني التي وقعت تحت الجذر «فرس» ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بمعنى الفروسية الجاهلية، فقد كانت اولى معاني الفروسية تتمثل بقدرة الفارس على القتل وابادة الاعداء الأمر الذي يتطلب إضافة للشجاعة والقوة مهارة بركوب الخيل والثبات عليها في حين كانت الفراسة صفة لا بد للفارس ان يتمتع بها لان اصابة النظر والتفرس بالأمور، والحدس بها، أمر لا بد منه لأصابة الهدف.

٢. الفروسية اصطلاحاً:

الفروسية في الاستعمال الأدبي تعني «البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعفة عند توزيع الغنائم، واطعام الضيف وحماية الحقيقة والذود عن المرأة وتلبية دعوة المستغيث وأستجابة لصرخة المنادي إلى غير ذلك مما تستوجبه النخوة ويتطلبه الشعور الانساني».[1]

وهي كل المعاني التي فخر بها الجاهلي، فشعر الفخر يتحدث عن معاني الفروسية، واذا ركزت الدراسة على الفرسان منهم فلأنهم أكثر اتصالاً بهذه المعاني، وحرصاً على الظهور بتمثلها وتمثيلها سعياً منهم للوصول إلى درجة الكمال حين يجمعون بين حسن القول في شعرهم من جهة، والبطولة المطلقة المحلاّة بمكارم الاخلاق من جهة ثانية.

ويمكن القول ان الفروسية ظاهرة واسعة الانتشار في الحياة الجاهلية كانت نتاج عوامل بيئية واجتماعية فالحياة الصحراوية التي كانت تتطلب القوة والبأس والشجاعة كأسباب للبقاء؛والحياة الاجتماعية وطبيعة العلاقة بين القبيلة وافرادها

(١) الفروسية في الشعر الجاهلي، ١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والقبيلة والقبائل الأخرى كانت تتطلب ايضاً تمثلاً كاملاً لأفضل المثل وأكرم الاخلاق، وارفع اصناف الشجاعة والاقدام كل ذلك تمثل بالفرسان من خلال ما تظهره اشعارهم، يقول أحد الدارسين في هذا المجال «والحياة في البادية حياة فروسية يعمل الابطال فيها على حماية المستضعفين والبائسين، ونجدة الملهوفين وإغاثة المحرومين؛ وقد تغنى الشعراء من ثم بحفظ الجار واعزاز جانبه وبتلبية دعوة المكروبين في الحرب، وبفك العاني الذي أسر وبالدفاع عن المرأة، وبكل ما هو من ميزات الفروسية الحق التي ترفع الأنسان الى درجة عالية من السمو والكمال».[1]

والذي يستعرض شعر الفخر والحماسة والفروسية يجد أنّ الفروسية ارتكزت على جانبين اساسيين: البلاء في القتال، والمثل الاخلاقية العليا.

وحقيقة البطل عند كل الفرسان- كما يقول نوري القيسي- كانت دائماً تنصب في «دائرة الجانب الاخلاقي والبطولي»[2]، ويبدو ان تكامل الجانبين امر غاية في الأهمية، إذ لا بد للفارس المقاتل الشجاع ان يتحلى بمكارم الاخلاق إضافة إلى البطولة المطلقة كي يصل مرتبة الانسان النموذج الذي يستطيع ان يتحدى الموت، والعدم بقوته التي لا مجال للعيش بدونها.

فالبطولة والقوة في الجاهلية هي مفتاح الحياة ورمز الوجود، والتمسك بالشجاعة خلقاً، والاقدام اسلوباً، هو التحدي الوحيد والأكيد لخطر الصحراء بقحطها وجفافها والعدو ببطشه وخطره واذا لم يتمتع الفارس بكل القيم الاخلاقية التي لا بد ان ترافق القوة والبطولة فأنه لن يستطيع تحقيق أهدافه، فعلى سبيل المثال الحلم والصبر سببان للثبات وتدبر الامور في الشدائد ومن لا يستطيع على الشدائد صبراً فإن القوة وان وجدت لا تسعفه لأن الكثير من الوقائع تكون طويلة الامد تحتاج إلى الصبر عليها تماماً كما تتطلب الشجاعة في مراسها وقد قرأنا في كتب التاريخ الجاهلي ان حروبهم كانت تستمر اياماً طوالاً في بعض الأحيان، الامر الذي يستدعي

---

(١) الفخر والحماسة، ١١.

(٢) نوري حمودي القيسي، البطل في التراث، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار ومكان النشر؟ ط١، ١٩٨٨، ٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجود الحلم والصبر إلى جانب القوة والشجاعة، كما هو الحال في خلق آخر لا بد ان يتمتع به الفارس على سبيل المثال، وهو الحكمة وحصانة اللسان وسداد الرأي فهي اساسيات توجه القوة الاتجاه الذي يبلغها الهدف بأنجع السبل، وهدف الفروسيه هدف بعيد وكبير، أنّه السيطرة على الحياة، وتذليل الصعاب، والثبات في وجه الاخطار: طبيعية وبشرية تلك الاخطار التي سيطرت على هاجس الأنسان العربي آنذاك فاوقعت بقلبه الرعب والخوف فأراد مواجهة كل مظاهر الخوف والضعف والعجز والعدمية من خلال تلك الفروسية فنجده دائماً يبادر الخطر بالقوة والشجاعة والاندفاع الهائج كمحاولة لتحقيق البقاء والوجود والذات سواء كان ذلك على مستوى الفعل والواقع او على مستوى الخيال والشعر المهم ان يبقى في المحصلة صامداً امام ثنائية الموت والحياة وان ينتصر دائماً للحياة حتى وان اقدم على الموت بلا تروي او هوادة، فالموت كاحد طرفي الثنائية لا بد ان يبادر ذلك الانسان ان سيطر عليه الشعور بالضعف واستسلم لحس الخوف، اما اذا تقدم بقوته وشجاعته الخارقة وبادر الموت بجرأة وأقدام فقد يحظى بالطرف الآخر من الثنائية فالحياة -وقتئذ- لا توهب الا لمن يبادر الموت، الذي في الأصل هو البديل القائم، وفي هذا يقول احد الدارسين «تدرك الفروسية العربية ان لها حداً هو الغياب آخيراً، فهي إذ تتردد بين حضور الوجود وحضور الغياب، تتضمن حس الفجيعة، لذلك ليس القتال عنها لعباً كيفياً، بل هو حاجة يفرضها قدر الحياة للتسلح ضدّ قدر الموت، يدرك الفارس انه سائر الى الموت، وان الحرب تعجل هذا المسير، غير أنه في الوقت ذاته، موقن ان الحرب لا تقدر مع انها مليئة بالموت، ان تغلق في وجهه افق المستقبل وابواب الحياة»[1]

إنّ هذه الفروسية بهذا الشكل من حيث هي افراز لمعاناة الجاهلي أمام الطبيعة والعدم والعدو كانت نبراساً للجاهلي في حياته الامر الذي جعل معظم الشعراء يتمتعون بها على اختلاف المرتبة ، يقول يوسف اليوسف في هذا الصدد «فالحق ان

---

(١) أدونيس (علي أحمد سعيد)، مقدمة للشعر العربي، دار العودة، بيروت، ط٣، ١٩٧٩، ١٧، ١٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شعرَاءالجاهلية طراً لهم هذه الدرجة او تلك من الفروسية»،[1] والتي تعتبر «مؤونة الفخر والتفاخر»[2] وهي ايضاً منبع للحماسة «حماسة للحياة في وجه يقين مرعب شامل بالعدم»[3]، ومن هنا يتضح مدى الترابط بين الفروسية والحماسة والفخر «فمجتمع الفروسية بهذا التحديد، لا يفرز الا هذا الشعر في الحماسة، حماسة الفخر»[4]، وعن توحد القيم بين الفروسية والفخر يضيف قائلاً: «فإذا بقيم الفروسية هي التي تتكرر، في الفخر عندما ينسبها الشاعر لنفسه وقومه»[5].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

---

(١) يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٥، ٢٨.

(٢) مطاع الصفدي، قراءة ثانية للشعر الجاهلي: الأصالة والممكن، مجلة الفكر العربي المعاصر، تصدر شهرياً عن مركز الانماء القومي، بيروت، العدد العاشر، ١٩٨١، ١٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٥.

(٤) موسوعة الشعر العربي ج١/ ٤٧ (المقدمة).

(٥) المصدر نفسه: ٤٧.

القبيلة وعلاقتها بشعر الفخر

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كانت الجزيرة العربية مهداً للشعر الجاهلي ومسرحاً سطر عليه العربي في جاهلية تاريخه وايامه. ومن البديهيات أنّ البيئة تلّون حياة الانسان، وكثيراً ما تكّون محددات لكثير من سلوكه ونشاطه، ومهما حاول الانسان تحدي بيئته فلا بدّ ان تترك بصماتها عليه وعلى حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ايضاً[١]

ولما كانت الجزيرة العربية في غالبيتها صحراء يشحّ فيها الغذاء ويقل الماء[٢]، باستثناء بعض الحواضر التي كانت تعتمد في حياتها على التجارة، فقد اصبحت حياة العربي صراعاً على هذه الموارد القليلة[٣]، وسلسلة من الارتحال والتنقل تتبعاً لمساقط الماء ومنابت الكلأ[٤].

هذه الطبيعة القاسية فرضت ضرباً من الحياة الاجتماعية على الانسان وجعلت منه انساناً غير قادر على الحياة بمفرده وسط هذا الصراع الذي لا يعترف بالضعيف ولا يعطيه مجالاً للعيش[٥]، وعليه فقد اصبحت القبيلة، وحدة اجتماعية اساسية

---

(١) انظر: زيد عبد المقصود، البيئة والانسان: علاقات ومشكلات، منشأة المعارف، الاسكندريه، د.ت، ١٠.

(٢) انظر: جمال حمدان، انماط البيئة، عالم الكتب، القاهرة، د.ت، ٨٨، ٨٩.

(٣) انظر: منذر الجبوري، ايام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٧، ٨٢.

(٤) انظر : وهب رومية، الرحلة في القصيدة الجاهلية، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، ط١، ١٩٧٥، ١٩.

(٥) انظر: عباس بيومي عجلان، الهجاء الجاهلي: صوره واساليبه الفنية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٥، ١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يعتمد عليها الفرد في حياته[1]، ملتمساً حمايته من القبيلة واصبحت مكانته تنبع من قبيلته مما جعل فردية الانسان تضمر الى حد كبير وإذا برزت فهي تبرز من خلال القبيلة.

وأكثر من هذا فإنّ الفرد إذا أراد أن يشعر بالتميز فإن هذا التميز مقرون بالقبيلة وبتميز القبيلة على غيرها إذ لا فائدة من التميز الفردي من غير قبيلة يفخر بها وينبع تميزه منها.

ومن هنا كان التكافل بين افراد القبيلة والتماسك [2] الذي بني على العصبية وعلى الايمان برابطة الدم، «رابطة الدم الواحد الذي يجري في عروق جميع افراد القبيلة لاعتقادهم انهم ينحدرون من صلب اب واحد تنتمي اليه اسر القبيلة كافة»[3] فالاصل واحد والقبيلة تنتمي إلى اب واحد وام واحدة، وحتى في حالات التحالف بين القبيلة وبين بعض الافراد من غيرها، وقد كانوا يقومون بطقوس شعائرية تقوم مقام رابطة الدم والنسب، وقد كانوا يغمسون ايديهم بالدم[4] وهو تمثيل رمزي لعلاقة النسب القائم على علاقة الدم. فإذا ما تحالفوا جاءوا بقصعة او اناء فيه دم فغمسوا ايديهم وغمس حلفاؤهم ايديهم بها ايضاً وهم يمثلون، بهذه الشعيرة، علاقة الدم التي آمنوا بها والتي كانت اساساً للقبيلة لتتقوى بها على مجابهة هذه الحياة القائمة على الصراع المرير للحصول على لقمة العيش والحفاظ على استمرارية الحياة.

---

(١) انظر: أحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الاموي، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧٣، ٥٥.

(٢) انظر: الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي، ويقول في الصفحة ٣٩: «وللعصبية القبلية تبعات، فهي تشعر كل فرد في القبيلة انه مسؤول عن الجماعة كلها، كما تشعر القبيلة انها مسؤولة عن كل من ينتمي اليها، وهذه التبعات بمثابة عهد غير مكتوب يفرض على ابناء القبيلة التناصر والتآزر والسعي في سبيل منفعة القبيلة في جميع الاحوال، ويفرض عليهم تبني شعار: الفرد في سبيل القبيلة والقبيلة في سبيل الفرد».

(٣) العصبية القبلية: ٦٠.

(٤) انظر: الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي، ٥١، والعصبية القبلية واثرها في الشعر الاموي، ٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولتوضيح هذه القضية فإنّ من معاني الثأر في العربية: الدم[1] ومن معاني الثأر باللغة العبرية القديمة ايضاً: اللحم(שְׁאֵר)[2]، ومن هنا فإنّ الأخذ بالثأر كان مطلباً ضرورياً للقبيلة عندما يقتل أحد افرادها لأنّ علاقة الدم قد اختلت نتيجة عملية القتل، ولا بد من رتقها من جديد عن طريق الأخذ بالثأر، وعلى هذا تستطيع ان نفهم اسطورة الهامة التي كان العرب يعتقدون ان طائراً يخرج من رأس القتيل ويبقى يصيح اسقوني حتى يؤخذ بثأر القتيل فيصمت[3]. فالدم لا يسكته ألاّ الدم، والأخذ بالثأر هو اصلاح لعلاقة الدم التي اصيبت بكسر، ولهذا عندما جاء الاسلام حاول ان يخفف من حدة هذه العلاقة التي كانت مسؤولة عن تماسك القبيلة من جهة وعن تلك الحروب المتصلة بين القبائل. فأنتجّ العلاقة بتركيز الاسلام على علاقة الرحم أي الانتقال من حدة العلاقة الابوية القائمة على الدم إلى علاقة الامومة والرحم القائمة على التعاطف. ومن هنا جاء في الحديث الشريف قول الرسول عليه الصلاة والسلام «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله».[4]

والرحمن والرحيم هي من اسماء الله عزوجل. وكل هذا هو محاولة لخلق مفهوم يحلّ محل مفهوم رابطة الدم.

وعليه، فإن محددات الحياة العربية وبخاصة البدوية والتي جاءنا معظم الشعر الجاهلي منها هي الصحراء المجدبة القاحلة وشح الموارد وهذان المحددان قد افرزا ضرورة الجماعة وجعلا الفرد لا يظهرّ ظهوراً قوياً. وزيادة على هذا فقد خلقا حياة لا

---

(١) انظر: لسان العرب: مادة «ثأر» حيث قال: الثأر الطلب بالدم، وقيل: الدم نفسه.

(2) Hebrew and Englsh Lexicon of the old Testament Based on the Lexicon of William Gesenius, tr. by Edward Driver and Charles A. Briggs(Oxford: Clarendon Press, 1951), PP. 984-85.

(٣) انظر: علي البطل، الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في اصولها وتطورها)، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨١، ٢١٧-٢١٨.

(٤) صحيح مسلم، بشرح الامام النووي، المجلد السادس، الناشر مؤسسة مناهل العرفان بيروت، توزيع مكتبة الغزلي دمشق، د.ت ١١٣/١٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تعرف الاستقرار، وتقوم على الارتحال المستمر، واطاحا بالأمن الذي هو من اركان الاستقرار والبناء وقد سوغت هذه المحددات وما نتج عنها حياة الغزو والاغارة طريقاً للمعاش، وهو طريق غير طبيعي عندما تتحقق اركان الحياة والاستقرار والأمن، فإن العمل المنتج هو الاساس لكسب القوت وللحياة وليس الغزو والإغارة.

وإذا اتخذّ الصراع القائم بين القبائل على موارد القوت الغزو والحروب المتصلة وسيلة له فإن هذا الصراع قد اتخذ وسيلة أخرى هي الصراع عن طريق الكلمة وللكلمة في اللغة العربية في العصر الجاهلي على وجه الخصوص سحر يؤثر في النفوس ويحقق ما يحققه السيف.

إنّ اللغة في ذلك العصر كانت معبقة بالسحر ويمكن عن طريقها ان يتحقق الفعل، اي الفعل عن طريق الكلمة، ومن هنا كانت مكانة الشاعر متميزة في القبيلة[1] و «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الاطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الاعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنّه حماية لأعراضهم، وذبّ عن احسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم»[2].

فالشاعر كما يقال كان سجلا لايام قبيلته وتاريخها ولسانها المدافع عنها إزاء القبائل الأخرى والخصوم.

ان فعل الشاعر بالنسبة للقبيلة لم يكن اقل شأناً من فعل الفارس. ومن هنا كان فخره بقبيلته امراً ضرورياً وله ايدلوجيته الخاصة بقبيلته، فعندما يفتخر بها؛ بأيامها وبرجالاتها وبقوتها، فهوى يرمي من وراء هذا إلى خدمة القبيلة، فطوراً يبعد بفخره بقبيلته وبتصويرها قوية منيعة اطماع الطامعين إذا ما لاح في الأفق اعداء يطمعون بالقبيلة فإن تأثير هذا الفخر السحري يجعلهم يترددون كثيراً في غزو

---

(١) انظر: وديعة طه نجم، نظرة في منزلة الشاعر العربي قبل الاسلام وبعده، مجلة كلية الآداب، تصدرها كلية الآداب في جامعة بغداد، العدد التاسع، نيسان ١٩٦٦، ٢٦٣، ٢٦٤.
وانظر: الشعر الجاهلي، عبد المنعم خفاجي، ١٩٦.

(٢) العمدة: ٦٥/١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

القبيلة ومهاجمتها وقد كان الشاعر في هذا له اساليبه الخاصة كما سنبين ذلك في حديثنا عن شعر الفخر. وتارة أخرى يفخر الشاعر بقبيلته فخراً يغري بعض القبائل لمحالفتها وهي بهذا تتقوى على غيرها، ومن هنا لم يكن هذا الفخر ضرباً من الكلام الذي لا طائل من وراءه.

والحقيقة ان الشعر العربي بشكل عام في العصر الجاهلي وفي العصور اللاحقة لم يكن مقصوراً على الفن حسب، وانمّا كان يقوم برسالة وبدور تاريخي املته عليه الظروف الاجتماعية والسياسية والتاريخية للأمة العربية.(١)

وإذا كانت القبيلة هي الوحدة الاساسية في التركيب الاجتماعي فان هذه الوحدة تنطوي على بنية عميقة، وان لم تكن ظاهرة بطريقة المباشرة وهي «الغنيمة»، وإذا عزلنا القبيلة عن بنيتها العميقة فرغناها من مضونها الحقيقي، هذا المضمون الذي يبعث فيها الحياة والحركة وفقدت معناها، إذ أنّ ارتباط افراد القبيلة بعضهم ببعض وتماسكهم الشديد ينبع من حصولهم على الغنيمة، اي الغذاء عن طريق الغزو والغارة. فالقبيلة تكفل لهم الحماية، وتجعلهم قادرين على أكتساب ما تقوم عليه حياتهم، ومن هنا فإن انتماء الفرد إلى القبيلة وذوبانه فيها ينطلق من فرديته وذاتيته، هذا يعني ان انتماء الفرد للقبيلة لا يلغي فردية الفرد تماماً الا على السطح، فهي دافعه الاساسي للذوبان بالقبيلة فهو يفنى بها ليبقى. وعلى هذا نجد العلاقة قد تختل بين الفرد وقبيلته إذا ما تعارضت مصلحة الفرد احيانا مع مصلحة القبيلة، بعبارة اخرى إذا كانت تضحية الفرد بذاته في اندماجه بالقبيلة، لم تعد تحقق له البقاء ولا الحماية ولا توصله إلى الغنيمة التي ترتبط ارتباطاً عميقاً مع القبيلة، نجد هذا الفرد يخرج من القبيلة وينزع انتماءه لها وتتوتر العلاقات بينه وبينها ومن الامثلة على ذلك الشعراء الصعاليك الذين غبنتهم قبائلهم والحقت بهم الضيم مما جعلهم ينزعون للخروج عنها وانفسهم تمتلئ غضباً وسخطاً وكان أكبر سبب لهذا الخروج حرمانهم من «الغنيمة» التي ادت إلى فقرهم فكان هذا الفقر الدافع الاول

---

(١) انظر: مثلاً مصعب حسون الراوي، الشعر العربي قبل الاسلام بين الانتماء القبلي والحس القومي دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩، ١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لتصعلكهم وتوتر العلاقة بينهم وبين قبائلهم يقول أحد دارسي شعرهم: "أما عقدة العقد التي اشترك فيها جميع الصعاليك، وتحدث عنها جميع شعرائهم فهي الفقر، تلك الظاهرة الاجتماعية الاقتصادية التي كانت السبب الاقوى في تصعلكهم»[1].

ويصور تأبط شراً الجوع الذي اصابه وكان من آثار الفقر الشديد بقوله:[2]

قليلٌ ادّخـــارِ الزادِ الا تَعَلّـــةً وقد نَشَزَ الشرسوُفُ والتصَق المَعا

لقد برزت عظامه والتصقت امعاؤه من الهزال والجوع. مما يجعل صعلوكاً مثله يفضل استفاف التراب على الذل والهوان.[3]

واُستفُّ تُرْبَ الأرضِ كيلا يرُى لـه عليَّ من الطّوْلِ امروٌ متَطَـــوّلُ

ولولا اجتنابَ الذامِ لم يُلْفَ مشربٌ يعُاشُ بهِ إلا لـــديَّ ومـــأكلُ

ولكنَّ نفســـــاً مرةً لا تُقيم بي على الذامِ إلا ريثما أتحـــــوّلُ

الأمر الذي يجعله يخرج على القبيلة التي لا تؤمن له الحد الأدنى من مقومات الحياة.. وليس هذا حسب بل انه يبحث عن بديل لقبيلته واهله ويجد هذا البديل الذي يشي بحس الاغتراب العميق عند الشاعر:[4]

أقيمو بني اُمي صدُورَ مطيكـــمْ فإنّي إلى قومٍ سواكم لأمَيـــلُ

فقد حُمّتِ الحاجاتَ والليلُ مقْمـِرٌ وشُدَّت بطيّاتٍ مَطايا وأُرْحـُـلُ

وفي الارض منأىً للكريمِ عـن الأذى وفيها لمن خاف القِلى متعـــزّلُ

لعَمْرُكَ ما بالارضِ ضيقٌ على امرئٍ سرى راغباً أو راهباً وهو يعقـلُ

---

(١) يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ٢٣٢.

(٢) شعر تأبط شعراً، تحقيق: سلمان القرغولي، وجبار تعبان جاسم، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، ط١، ١٩٧٣، ٩٨.

(٣) شرح لامية العرب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري(٥٣٨-٦١٦) هـ تحقيق وتقديم محمد خير الحلواني، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ٣٢-٣٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٦-١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولي دونكم أهلونَ: سيدٌ عمَـــلّسٌ وأرقطُ زهْلولٌ وعرفاءُ جيئـــــلُ

همُ الأهلُ لا مستودَعُ السـّـرِّ ذائعٌ لديهم، ولا الجاني بما جَرَّ يخْـــذُلُ

اذن فالعلاقات بين الفرد والقبيلة لا تسير على الدوام في خط مستقيم وفي ونام تام، كما وقر في أذهان الكثيرين.

ولكن اختلال العلاقة بين الفرد وقبيلته تتخذ تجليات مختلفة. فليس من الضروري على الدوام ان يترك الشاعر قبيلته ويثور عليها ويكفر بقيمها بل يحاول ان يؤكد ذاته عن طريق الفخر بنفسه متخذاً من تلك القيم التي تؤمن بها القبيلة اساساً لفخره بنفسه ومن امثلة هذا الفخر قول عامر بن الطفيل:(١)

لَقَدْ تعْلَمُ الحَرْبَ أنّي ابنُهَـــا وأنّيَ الهَمامُ بهِا المُعْلِـــــمُ

وأنّي أحُلّ على رهـــــوَةٍ منَ المَجدِ في الشّرَفِ الاعظَـمِ

وأنّي أشَـــمّصُ بالدّارِ عيـ ـنَ في ثورة الرّهَـــجِ الاقتمِ

واني اكُرّ إذا احجمَـــوا بأكْرَمَ من عَطفهِ الضّيغَـــمِ

وأضرِبُ بالسيّفِ يَوْمَ الوَغَى أقُـــدّ بـــهِ حَلَـــقَ المُبْرَمِ

فمثل هذا الفخر جاء لتأكيد الذات عند الشاعر مع حفاظه على ان يبقى ضمن المنظومة القبلية وهو لم يفخر الا بما تؤمن به القبيلة من شجاعة واقدام وكرّ وفرّ وبلاء في القتال وساحات الوغى والامثلة في شعره على هذا النوع من الفخر كثيرة(٢) إذ انه من اكثر الشعراء الفرسان حرصاً على إثبات ذاته وتأكيدها.

ومن امثلة هذا الفخر ايضاً قول حاتم الطائي:(٣)

كريمٌ، لا ابيتُ الليلَ، جـــادٍ أعدد بالأناملِ ما رزيـــــتُ

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩، ١١٩-١٢٠.

(٢) انظر: المصدر السابق، ١٣، ٤٣-٤٤، ٥٥-٥٧، ٥٨.

(٣) ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ١٩٨١، ٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذا ما بتُّ أشـــرَبُ، فوْقَ ريٍّ لسُكْرٍ في الشّرابِ، فلا رَوِيتُ

إذا ما بِتُّ أختـل عِرسُ جاري، ليُخفِيَني الظّـلامُ، فلا خَفِيتُ

أأفضَحُ جارَتي وأخونُ جاري؟ مَعاذَ اللهِ افعَـلُ مـــا حَيِيتُ

فهو يفخر بعفافه وعفته وقناعته، وكلها قيم اكدتها القبيلة في سننها، ودستورها، اما كرمه فهو اشهر من ان نمثل له ببيت او ابيات[1] وهو ايضاً من اولى القيم التي حرصت القبيلة على تأكيدها .

وتجلٍ آخر لهذا الاختلال والتوتر بين القبيلة والفرد أنّ الشاعر ينصهر في قبيلته ليغيب ذاته عن الشعور بتلك التوترات، وإزاء احساسه الحاد بالتناقضات الكامنة في بنية القبيلة وكيانها والتي هي احدى اشكال الجماعات المغلقة[2] فإنه يزيد من ترابطه معها واندماجه بها إلى درجة تنسيه تلك التناقضات وتفقده الوعي بها فـ «تشتد الأواصر ضمن الجماعة المغلقة بقدر حاجتها لتجنب قلق الانفصال. انها تشتد بقدر الحاجة لانكار الصراعات والتناقضات الداخلية، وما يرافقها بالضرورة من مشاعر عدوانية ويذهب الدفاع ضد هذه التناقضات حد الذوبان الكلي في الجماعة، لدرجة يفقد معها الفرد استقلاليته وهويته الذاتية ولا يعود له هوية سوى الهوية الجماعية»[3] وهذا هو سبيل تفسير شعر الفخر القبلي في أحدى وجوهه حيث يندمج الشاعر بالجماعة اندماجه بالأم فتصبح القبيلة في أحدى وجوهها أما للانسان الجاهلي، فهي مصدر الأمن والطمأنينة ولكونها كذلك أو لكونه يتمناها كذلك أي مصدراً للامن والطمأنينة فإنه يسعى لأبرازها بأكمل الصور: بطولة خارقة.. قوة لا تقاوم.. كرم بلا حدود.. ويشير علي زيعور إلى أنّ في مدح الشاعر لقبيلته وسيلة

---

(١) انظر: المصدر السابق: ٣٢، ٣٣-٣٥، ٤٠، ٥٩، ٧٠، ٧٣، ٨٠.

(٢) للمزيد عن الجماعات المغلقة انظر: مصطفى حجازي، التخلف الاجتماعي، مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور، معهد الانماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٦، ١٦٧، وعن التناقضات في مثل تلك الجماعات انظر: الصفحة ١٦٩، حيث يقول ان هناك" تناقضات داخلية ضمن الجماعة الذوبادنية التي تنشأ كرد فعل على الاخطار الخارجية".

(٣) المصدر نفسه: ١٦٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

للتعبير عن التعلق بالأم، بالحياة، بالاستقرار والاستمرار كما ان في هجاء قبيلة أخرى محاولة لاسقاط مساوئ قبيلته وصعوبات الوجود على القبيلة المناوئة، ففي الوقت الذي يكثر فيه منْ مدح القبيلة والفخر بها تجده يكثر من هجاء عدوه والمقصود هو الشر والفقر والقساوة وألم الواقع.[1] ففي هجاء القبيلة الأخرى والفخر بقبيلته محاولة لتكريس صورة القبيلة الأم كلما شعر الفرد بحاجته إليها. وحاجة الجاهلي إليها قوية إذ انه يستشعر الضعف والعجز بعيداً عنها. والتفسير النفسي الإجتماعي لذلك هو أنّه كلما ازداد الشعور بالضعف والعجز عند الفرد وضعفت قدرته على الاستقلال لجأ إلى الاندماج والذوبان في الجماعة حيث يتكل على رموز القوة فيها بحيث تتضخم هذه الرموز بشكل لا واقعي بمقدار الحاجة إلى الاحساس بالأمن والمحبة وتتميز هذه العلاقة بانها نكوصية بمعنى ان الفرد فيها يبحث بشكل لا واع عن العودة إلى الاندماج بالام وهي مصدر الحب والدفء والحنان والغذاء ومصدر السلوى، وعامل ابعاد المنغصات الحياتية.[2] فنجد الجاهلي ينضم إلى القبيلة ويذوب فيها مقابل توفير الحاجات الاساسية له، فسيولوجيا كالماء والغذاء ونفسياً كالأمن وتأكيد الذات والتقدير الاجتماعي، إذ ان توفير هذه الحاجات ضرورة لاستقرارالحياة اوالحياة باسلوب افضل.[3] كل هذا يفسر شعر الفخر بالقبيلة الذي يسيطر فيه الضميرالجمعي على الضمير الفردي، ففيه ينشد الشاعر الاحساس بالأمن والاستقرار والطمأنينة التي يفتقد اليها في كثير من الاحيان.

وتجل ثالث يتخذه الفرد إزاء علاقاته المتوترة مع قبيلته وهو ان يخرج عن القبيلة او ان تخلعه القبيلة ويكون هذا الخروج نتيجة شعوره بالظلم وفقدان العداله الاجتماعية والتمييز الذي يحس به..

---

(١) انظر: علي زيعور: قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية، (المستعلي والاكبري في التراث والتحليل النفسي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٢- ٤٦-٤٧.

(٢) انظر: التحلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكلوجية الانسان المقهور: ١٦٨.

(٣) للمزيد عن الحاجات واثرها في السلوك انظر: حامد عبدالسلام زهران، علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧، ١١١-١١٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويكون الخلع للفرد او الخليع او اللعين او الطريد -كما تسميه القبيلة- نتيجة لخروجه على «نظام الطاعة» فيها، فتخلعه معلنة انه سقط عن اهل هذا الفرد وعن قبيلته كل واجب يترتب عليهم او عليها في ما يتعلق بحمايته والدفاع عنه، فإذا قتل لا ينصر وإذا قتل لا يثأر له[1] «والخلع يستتبع طرد هذا الفرد من حماها، وتجريده من كل حقوقه، وحرمانه من حماية القبيلة وتركه فريسة للصحرا»[2]

ان انسلاخ الفرد عن انتمائه إلى قبيلته وتخليه عن نسبه إليها مرغماً في حياة تعج بالفوضى والشرور، وارض تفتقر للأمن والاستقرار يعرض ذلك الفرد لمعاناة عظيمة مادية ونفسية. ويبدو ان المعاناة النفسية كانت اعظم كما يصورها عمرو بن قميئة الذي ابعد مرغماً عن قبيلته. فعلى الرغم من انهم دفعوه إلى النزوح عنهم فإنه يكن لهم الحب ولكن نفسه الأبية الكريمة تأبى ان يكون بينهم مع ما يضمر له الكاشحون في القبيلة من حقد وضغينة، انظر إليه يمزج بين الفخر بنفسه ووصفه لمعاناته في فراق قوم اليهم ينتسب:[3]

أقارض أقواماً فأُوفى قرَوضَهم ... وعفٌّ إذا اردى النفوس شحيحُها

على أنّ قومي أُشقذوني فأصحبت ... دياري بأرض غير دانٍ نبوحهُا

تنَفّذَ منهم نافذاتٌ فسؤنني ... وأضمر اضغاناً عليّ كشوحُها

فقلت: فراقُ الدارِ أجمل بيننا ... وقد ينتئي عن دار سوء نزيحُها

على أنني قد أدعى بأبيهم ... إذا عمّت الدعوى وثابَ صريحها

ويبدو ان قوم الشاعر قد ظلموه وجاروا عليه كثيراً الأمر الذي جعله يشعر بان اي قوم اقرب إليه من قومه واي اناس اقرب اليه منهم:[4]

---

(١) أنظر: ادونيس، كلام البدايات، دار الآداب، الطبعة الأولى ١٩٨٩، ٦٢-٦٣.

(٢) الشعر وايام العرب في العصر الجاهلي: ٣٣.

(٣) ديوان عمرو بن قميئة. ٣١-٣٢.

(٤) ديوان عمرو بن قميئة. ٤٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

اولئك قومي آل ســـعد بن مالك فمالوا على ضِغن عليّ والِغـــاف

اكنّوا خطوباً قد بدت صفحاتُهـا وأفئدةً ليســـــت علي بأرأف

وكلّ اناسٍ اقربُ -اليـوم- منهم إلي، وانْ كانوا عُمان أولي الغاف

وإذا كان الخلع يولد في نفس الفرد النقمة والسخط على قبيلته إذا ما خلعته وتنكرت له ونبذته فإنه من ناحية اخرى يولد عنده الحس الشعري الذي يجعله يفخر بقوته وشجاعته واقدامه على الموت وتحليه بمكارم الاخلاق محاولة منه لاستبدال وضعه النفسي وتغيير حقيقة ما وصم به نتيجة للخلع والطرد راسماً لنفسه صورة تعبق بالقوة والشجاعة الممتزجة بالخلال الحميدة والخصال الطيبة فهو وان بكى نفسه فانما يبكي انساناً يستحق هذا البكاء:(١)

ولا اقولُ إذا ما خُلّةٌ صَـــرَمَتْ يا ويَح نفسيَ من شوقٍ وإشفاقِ

لكنّما عولي ان كُنْتُ ذا عِـــولٍ على بَصيرٍ بكسبِ الحمدِ سَبّاقِ

سبّاقُ غاياتِ مَجدٍ في عَشيرتهِ مُرَجِّعِ الصوتِ هَداً بينَ أرفَـــاقِ

عاري الظنابيبِ مُمْتَدٍّ نواشِـــزُه مِدلاجِ ادْهَمَ واهي الماءِ غســـاقِ

حَمّال ألويةٍ، شـــــهاد أنديةٍ قوّالِ مُحكَمةٍ، جَوّابِ آفـــــاقِ

ان محاولة الفخر عند الخلعاء هي اسلوب تأكيد لذواتهم التي تعاني ازمات مادية ونفسية: مادية لانقطاع حماية القبيلة عنهم، من حيث انها تسد حاجات الفرد التي تقوم بها حياته. ونفسية حيث يعاني التشرد والغربة والقلق بعيداً عن مصدر الأمن والحماية المتمثل بالقبيلة.

---

(١) شعر تأبط شراً: ١٠٧، ١٠٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

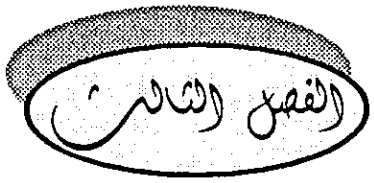

دوافع شعر الفخر القبلي ومعانيه وقيمه العامه

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يبحث هذا الفصل من الدراسة في دوافع قول شعر الفخر القبلي عند الشعراء الفرسان سواء منها الدافع الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، ويتخلل الدافع البيئي هذه الدوافع جميعاً إضافة إلى الدافع النفسي الذي يتفاعل مع جميع الدوافع، اذ ان الصورة تستمد مضمونها من الدوافع ومن آلية هذه الدوافع وتوجيهها للخيال، بحيث تتذوب الحاجة في الصورة كما يتذوب النسغ في النبات[1]، ومن خلال بحثه في هذه الدوافع يقف على المعاني العامة لشعر الفخر وقيمه المختلفة.

أولاً: الدافع الاقتصادي

اشرت في الفصل السابق إلى البيئة الجغرافية وشح موارد الجزيرة العربية التي حددت حياة العرب وانشطتهم[2]، وجعلت من القبيلة جماعة لا غنى عنها لممارسة الحياة في قسوة هذه البيئة وجدبها، كما قد أوضحت أن البنية العميقة للقبيلة والروح المحركة لها هي «الغنيمة» التي تدفع الفرد للتمسك بالقبيلة والذوبان بها[3]، فهو بها يستطيع أن يضمن الأمن والحماية والحصول على القوت الذي ينتزع انتزاعاً في هذه الصحراء القاسية.

---

(١) انظر : مقالات في الشعر الجاهلي، وحديث يوسف اليوسف عن الدوافع الفسيولوجية النفسيه وكيف تتحكم الحاجة أيضاً -وهي مطلب ذاتي- في الصورة الشعرية. ٣٠٩-٣١٠.

(٢) انظر أيضاً: فتحي محمد أبو عيانه، جغرافية الوطن العربي، مكتبة كريدية اخون، بيروت، ١٩٧٨، ١٢٨ وأحمد أمين، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٦٤، ٤٦.

(٣) انظر: حسين الحاج حسن، أدب العرب في العصر الجاهلي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤، ٢٠ ويحيى الجبوري، الجاهلية: مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٦، ٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن هنا فقد جندت القبيلة كل ما تستطيع من أدوات ووسائل للاحتفاظ بحياة أفرادها، فكان السلاح وكان الكلام المتمثل في الشعر، سلاحين قويين في خوض غمار معركة الحياة التي لا تعترف بالضعيف ولا تعطي قيادها إلا للقوي.[1] ومن هنا كان لشعر الفخر أهميته الخاصة في هذه المعركة.

وقد أتخذ الفخر أشكالاً مختلفة في معركته من أجل القبيلة وفي سبيل الحصول على «الغنيمة»، منها:

١. الفخر بكثرة غارات القبيلة

فخر الشاعر الجاهلي بكثرة غارات قبيلته على القبائل الأخرى إذ أن هذا الأمر دليل شجاعة وقوة وقدرة في بيئة لا تعترف بمن لا يمتلك اسباب القوة والعنف، مما جعل شاعر القبيلة يردد الكثير من الشعر يفخر به بما لقبيلته من غارات على القبائل الأخرى تترك على اثرها تلك القبائل في حالة يرثى لها يقول زيد الخيل[2]

إنا لنُكثِرُفي قَيْسٍ وَقائِعنـــا ... وفي تميمٍ وهذا الحيَّ من أسَدِ

وتظهر كثرة غارات قبيلة الطفيل الغنوي من خلال استعماله لكلمة (كائن) بأسلوب الأستفهام الدال على الكثرة حيث يقول[3]

وكَائِنْ كَرَرْنَا من جَوَادٍ وَرَاءكُـــمْ ... وكَائِنْ خَضَبْنَا مَنْ سنَانٍ ومُنْصُلِ

وَكَائِنْ كَرَرْنَا من سَوَامٍ عَلَيْكُـــمْ ... ومِنْ كاعبٍ ومِنْ أســـيرٍ مُكَبَّلِ

وهو يريد أن يذيع خبر غاراتهم وينتشر، لأن في ذلك اظهاراً لقوة القبيلة. يقول[4]:

ألاَ هَلْ أتَى أهْل الحِجَازِ مَغَارُنَا ... ومِنْ دُونِهِم أهْل الجَنَابِ فَأيهَبْ

ألاَ هَلْ أتَى أهل الحِجَازِ مَغَارُنَا ... على حَيِّ وَرْدٍ وابنِ ريّا المُضَرَّبِ

---

(١) انظر: علي الجندي، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار الفكر العربي القاهرة، د.ت، ٥٩.

(٢) شعر زيد الخيل الطائي (جمع ودراسة وتحقيق)، صنعه: أحمد مختار البدرة. دار المأمون للتراث دمشق، بيروت، ط١ ١٩٨٨، ٩٥.

(٣) ديوان الطفيل الغنوي، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، ودار الكتب، ط١ ١٩٦٨، ٧،٦٩.

(٤) المصدر نفسه: ٤١، ٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فغاراتهم لم تقتصر على قوم بل امتدت إلى قبائل واحياء كثيرة.

ويفخر عامر بن الطفيل بالأمر ذاته فغارات قبيلته كثرت ووقائعهم تعددت يقول[1]

سَـــمَوْنَا بالجِيَادِ لحَيّ وَرْدٍ فلاقَوْا بَعْدَ وَقعَتنِا النّكِيـرَا
أبَدْنَا حَيّ ذي البَزَرَى وكَعْباً ومالِكَها وأهْلَكْنَا بَشِـيرَا
وقَرّبْنا الرّبابَةَ يَوْمَ فَـــجٍّ إلى هَلْكٍ وأعْلَقْنا عَشِـيرَا

ومثل هذا الفخر يتكرر في شعر زيد الخيل ومنه[2]:

ألا هَلْ أتى غوثاً ورمانَ أننـــــا صَبَحْنا بني ذُبيانَ إحْدَى العَظَائِمِ
وسُقنا نساءَ الحيِّ مُرّةَ بالقنـــا وبالخيلِ تَرْدي قد حَوَيْنا ابنَ ظَالِمِ

والأمثلة كثيرة على فخر الشعراء بغارات قبائلهم على الاعداء فهي أكثر من أن تحصى. ولا شك أن الدافع لهذه الغارات في الأصل هو القحط والمحل الذي سبب الفقر والبؤس، ذلك الظرف الاقتصادي الذي سوغ للجاهلي السلب والإغارة، وجعله يفتخر بها، فهي قيم مقبولة بل حتمية في بيئة ضيقت الخناق على الإنسان في ذلك الوقت. وقول عامر بن الطفيل الآتي يكشف عن الدافع الاقتصادي البيئي وراء هذه الغارات يقول[3]:

للّهِ غارتَنَا والمَحلُ قَدْ شَـــجِيتْ مِنْهُ البِلادُ فَصَارَ الأُفْقَ عُرْيَانَـا
حتى صَبَبْنَا على هَمْدَانَ صَيْقَبةً سُوَرَ الكِلابِ وما كانوا لنا شَانَا

ومما يؤكد «الغنيمة» اغارتهم على اقربائهم يقول الشاعر[4]

وَكُنّ إذا أغَرْنَ علـــى جَنَـابٍ وَأعْوَزَهُنَّ نَهْـبٌ حَيْـثُ كَانَا

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ٥٩-٦٠.

(٢) شعر زيد الخيل: ١٥٧ وانظر الصفحة ٩٠ أيضاً.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل: ١٣٧.

(٤) ديوان الحماسة (وهو مااختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أشعار العرب)، شرح: العلامة التبريزي. دار القلم، بيروت، ١/١٢٩، ١٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أغرّنَ من الضّباب على حُلول ٍ وَضبةَ إنّهُ مَنْ حان حانَا

وأحيانـاً على بكرٍ أخينـا إذا مالَمْ نَجِد إلاّ أخانـا

وهكذا يتضح أن المصلحة المادية كانت تتحكم بصلة القبائل ببعضها، وحتى في القبيلة الواحدة ذات البطون الكثيرة نجد أن المصلحة فوق كل اعتبار، وكما اتضح من شعر شاعرهم، فإن صعب عليهم الاغارة على القبائل البعيدة أو لم يستطيعوا أن ينالوا منها شيئاً عطفوا على اقاربهم[1]. فلكي يحيوا لا بد أن يهلك غيرهم حتى وأن كان هؤلاء هم اقاربهم، هذا هو الخيار المتاح في تلك الظروف البيئية الاقتصادية الصعبة.

٢. الفخر بغنائم القبيلة

إذا كانت القبيلة قد فخرت بغاراتها على القبائل الأخرى فقد فخرت أيضاً بتحقيق الهدف من تلك الغارات وهو الحصول على الغنائم والنهائب، ومن ذلك قول الشاعر يفخر بما حصلوا عليه من النهاب والغنائم المختلفة الأوصاف والأنواع بعد اغارتهم على مضر:[2]

في مضر الحمراءلم تتّرك غدارةً غير النساء الجُلوس

قد غرّهم ذو جهلهم فانثوا عن رأيه حين انثنوا بالعُبوس

واجفل القوم نَعاميّةً عنّا وفئنا بالنهاب النفيس

من كلّ بيضاء كنانيّة أو عاتق بكريّة غيَطموس

أو مَوْثَق بالقدّ مستسلم أو أشعث ذي حاجة مستيئس

---

(١) انظر: جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين بيروت، ١٩٧٠، ٣٩٤/٤ جاء فيه «تقاتلت بطون من طيّ وتحاربت فيما بينها، وتقاتلت قبائل بكر ووائل مع وجود النسب والدم» وهذا ما يؤكد أن «الغنيمة» تقدم على أي اعتبار آخر. لأن بها قوام الحياة القبلية.

(٢) ديوان الأفوه الأودي ضمن كتاب الطرائف الأدبية، صححه وخرجه وعارضه على النسخ المختلفة وذيلة: عبد العزيز الميمني، دا الكتب العلمية، بيروت، د. ت، ١٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويفخر الطفيل الغنوي بقتلهم لسادات اعدائهم وعودتهم بما سلبوا ونهبوا، يقول[1]:

وَقَتَّلنَا سَرَاتَهُـمْ جِهَـاراً وَجِئْنَا بالسَّبَايَا والنِّهَاب ِ

وقد حقق قوم عامر بن الطفيل هدفهم من الغارة وتحقيقهم للمراد، يقول[2]:

فأُبْنَا غَانِمِينَ بمِـا اسْتَفَدْنَـا نَسُوقُ البِيضَ دعْوَاها الأليلُ

وفي قصيدة أخرى يعدد فيها انتصارات قبيلته على الأعداء مفتخراً بما حققوه وما جلبوه من سبايا وما غنموه من النياق التي أرادوها طعاماً لهم حيث ضنت عليهم البيئة فنازعوا الأخرين ما منحتهم يقول[3]:

وَجِئْنَا بالنِّساءِ مُرَدَّفاتٍ وأذْوادٍ فَكُنَّ لنَـا طَعَامَـاً

فحاجتهم إلى الطعام هي التي جعلتهم يقومون بتلك الغزوات وينهبون ما نهبوا ليكون قوتاً لهم، يقول حسين الحاج حسن: «فالرغبة في حفظ الحياة تدفع البدوي إلى أن يغتصب جاره الذي يعيش في ظروف خير من ظروفه كل ما يستطيع اغتصابه بعد أن امتلأت نفسه غضب وثورة»[4]

ويفخر بشر بن ابي خازم بأن قبيلته لم تسلب بني قشير فقط بل أيضاً سلبت من حاول نصرتهم عليهم يقول[5]:

يَوْم اتّقَتْنا قُشَيْرٌ بالحرِيشِ هَوى كِلَا الفَرِيقَيْنِ مَحْرُوبٍ ومَسْلُوب ِ

---

(١) ديوان الطفيل الغنوي: ٩٧.

(٢) ديوان عامر بن الطفيل: ٩٧.

(٣) المصدر نفسه:١١١.

(٤) أدب العرب في العصرالجاهلي: ١٧.

(٥) ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، عني بتحقيته: عزّه حسن، منشورات وزارة الثقافة والأرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٠، ٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لقد كانت القبيلة تفخر بالنهب كما تفخر بأسر الاعداء وقتلهم، لأن النهب كان قيمة متعارفاً عليها في قانون الحياة الجاهلية وليس شيئاً معيباً أو مكروهاً. فنجد شاعر القبيلة يقرن فخره بأسر رجال الاعداء بفخره بما نهبوا من هؤلاء الأعداء يقول[1]:

فَرَحْنَا بِأَسْرَاهُمْ مع النَّهْبِ بَعْدَمَا صَبَحْنَاهُمْ مَلْمُومَةً لا تُكَذَّبُ

والأمثلة على فخر الشاعر القبلي بالسلب والنهب والسبي كثيرة ومتعددة أيضاً وأنما أدرجت بعض الأمثلة لتوضح الصورة التي كان عليها الفخر بالسلب والنهب وكيف يكمن العامل الاقتصادي وراء ذلك النوع من الفخر.

٣. الفخر بورود مياه القبائل الأخرى

طبيعة البيئة الجاهلية وقلة الموارد فيها وخاصة المياه وهي مرتكز أساسي لحياة الجاهلي وماشيته التي يعتمد عليها، جعلته يحارب الآخرين ويقاتلهم بضراوة من أجل حيازة مصدر ماء، وكان مثل هذا النصر بالحصول على مصادر المياه أو ورودها على القبائل الأخرى مدعاة فخر بما يدل عليه من شجاعة وقوة وعمرو بن معد يكرب، يفخر بقبيلته وفرسان تلك القبيلة الذين وردوا مياه بني تميم بعد أن أعملوا فيهم قتلاً وذبحاً يقول[2]:

هنالك بُهْمةُ الفرسان يُلقى وأَصحابُ الحفاظِ وكلّ جدّ
وهمّ وَرَدُوا المياه على تميمٍ بألف مذحّجٍ شُمطٍ ومُرْدِ

ويبدو أن مياه تميم كانت وفيرة بالنسبة لغيرها من القبائل، مما دعا بقية القبائل للإغارة عليهم طمعاً في هذه المياه التي كانت «عملة نادرة» في صحراء العرب. فها هو بشر بن أبي خازم يفخر بقبيلته وبقومه بني أسد الكثر الشجعان، إذ يردون المياه على تميم ايضاً يقول[3]:

---

(١) ديوان الطفيل الغنوي: ٤٤

(٢) ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي، جمعة وحققه: مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق،١٩٦٤، ٨١، ٨٣.

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم: ٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

هُمَ وَرَدُوا المياهَ عَلَى تَمِيـمٍ كوِرْدِ قطاً نأَتْ عنهُ الحِسَاءُ

ويفتخر أيضا بأغارة قبيلته واحلافها على بني سعد بن زيد بن مناة بجيش كبير للوصول إلى «ماء القصيبة» يقول[1]:

بُكلّ فضاءٍ بَيْنَ حَـرَّةِ ضـارجٍ وخَلٍّ إلى ماء القُصَيْبَةِ موكَبُ

وَخيلٌ تُنادي من بَعيد وراكبٌ حَثِيثٌ بأسبابِ المنيّةَ يَضْـرِبُ

ويفخر الأفوه الأودي بمرور قومه على ماء دفينة والحجيل، ويبدو أن ذلك كان أمراً صعباً يقول[2]:

وقد مرّت كماةُ الحرب منا على مَاء الدَفينة والحَجيل

ويبدو أن كثيراً من أيام العرب كانت قد وقعت بدافعٍ اقتصادي بحت. حيث كانت القليل من القبائل تتمتع بماء ومرعى خصب مثل قبيلة تميم وغيرها. مما جعل القبائل الأخرى تجعلها هدفاً لها من أجل مشاركتها تلك المياه والمراعي أو من أجل حوزتها كلياً. مما كان يدفع بالقبيلة المغار عليها للأخذ بالثأر والإغارة مرة أخرى على من طمع فيها وإعادة الإستيلاء على المياه مرة أخرى، وكانت بعض الأيام تسمى بأسم موضع الماء الذي كان أصل الصراع وسببه. يتحدث سلامة بن جندل عن وقعة بين قبيلته والقبائل اليمنية من قحطان التي طمعت فيما يبدو بماء «العذيب» وهو ماء لبني تميم[3] يقول: في قصيدة له:[4]

والحيُّ قحطانُ، قدِماً ما يـزال لهـا منا وقائعُ، مـن قتلٍ، وتعذيـبِ

لما ألتقى مَشْهَدَ منـا ومشدُهُـمْ يومَ العُذَيْبِ، وفـي أيـام تحريـبِ

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ١٠

(٢) ديوان الأفوه الأودي: ٢٣.

(٣) انظر: ديوان سلامة بن جندل، تحقيق فخر الدين قباوة، نشر وتوزيع المكتبة العربية، حلب، ط١، ١٩٦٨، الهامش ص٢٢٩، حيث يقول ، العذيب ماء لبني تميم إذا خرجت من قادسية الكوفة تريد مكة فالعذيب اول ما يلقاك في البادية.

(٤) ديوان سلامة بن جندل: ٢٢٩-٢٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

لما رأوا أنهـا نـارٌ، يُضَـرِّمُهَـا ، من آل سعدٍ، بنوا البيضِ المناجيبِ

وليٌ أبـو كربٍ منـا بمُهجتِـهِ وصاحبـاه، علـى قُودٍ سراحيبِ

وكذلك يفخر بيوم الكلاب حيث كان لهم على «مذحج». والكلاب ماء بين الكوفة والبصرة. ويبدوا انهم اقتتلوا عليه وسموا ذلك اليوم باسم موضع الماء يقول:(١)

سائلْ بنـا يـومَ وِردِ الكلا بِ تُخبِّرْكَ دَرْسٌ وهمدانها

و«يوم الدريك» كان بين الأوس والخزرج، وقيس بن الخطيم يفخر بما كان في ذلك اليوم وعلى ما يبدو انهم قد انتصروا على الخزرج بموضع بئر الدريك وعليه النزاع يقول:(٢)

كأنّا وقَدْ أجْلَوْا لنَا عنْ نسائِهـم أسودٌ لها في عيصِ بيشةَ أشْبُلُ

ببِئرِ الدُّرَيكِ فاستعِدُّوا لمِثْلِهـا وأصْغُوا لهـا آذانكُـمْ وتأمّلُـوا

فهو يفخر بما وقع عند بئر الدريك وبشجاعة قومه في ذلك اليوم التي مكنتهم من النصر على الاعداء، ويتوعد الاعداء باسلوب تهديدي يوماً مقبلاً مثل ذلك اليوم. ويفخر الأفوه الاودي بأيامهم الكثيرة التي انتصروا بها وحازوا ما يريدون ويخص بالذكر كثرة غزواتهم وايامهم على «ماء الطفاف» يقول(٣):

جلبنا الخيل من غيدان حتى وقعناهن أيمن مـن صنـافِ

وبالغرّقي و العرجاء يومـاً وأياماً علـى مـاء الطفـاف

وفي ذلك دلالة واضحة على ان كثيراً من الايام كانت قد وقعت بسبب الصراع على موارد المياه -كما تبين- وعلى منابت الكلأ- كما سيتضح من خلال الشعر فيما بعد- فحاتم الطائي يقسم على انهم سوف يمنعون بلادهم ومراعيها ومياهها من أوس

---

(١) ديوان سلامة بن جندل: ٢٦٠.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٧، ١٤٠.

(٣) ديوان الأفوه الأودي: ٢١-٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بن سعد الذي قال للنعمان بن المنذر: أنا ادخلك بين جبلي طيء حتى يدين لك اهلها[1]، وليس ذلك بالغريب على قوم حاتم فقد تعودوا ان يحموا كل ما يخصهم منذ القدم وهو يفخر بذلك[2]

حاشا بَني عمَرْو بن سِنْبس، إنّهمْ ... منَعُوا ذمارَ ابيهمِ، أن يَدْنَسوا
وتَواعَدوا وِرْدَ القُرَيّة، غدوةً، ... وحَلَفْتَ باللّهِ العَزيزِ لنُحبَسُ
لا تَطْعَمَنّ الماءَ ان اوْرَدْتَهُم، ... لتمامِ طَمَيكُمُ، ففُوزوا واحبسوا
أو ذو الحَصَين، وفارِسٌ ذو مِرّةٍ، ... بكتيبَةٍ، مَنْ يُدْرِكُوهُ يفَرسُ

٤. الفخر بحماية المراعي الخصبة للقبيلة

كانت القبيلة تفخر ايضاً بحمايتها لمراعيها الخصبة ومنع هذه المراعي ومواطن الرزق فيها، فقد كان الدافع لهذا النوع من الفخر بطبيعة الحال دافعاً اقتصادياً فرضته قلة المناطق الخصبة، حيث كانت القبيلة ذات المراعي الخصبة موقع نظر الجميع. فالكل يريد غزوها والأغارة عليها من اجل احراز أسباب الحياة والفوز بها، وهذا قيس بن الخطيم يهدد بني دُحيّ ويطلب إليهم الا يقتربوا من الفضاء، وهو موضع خصب على ما يبدو لقبيلة قيس، مقرناً ذلك بالفخر بما كان لقبيلة من قتل وسفك لدماء الاعداء مذكرهم بذلك فهم لم ينسوا ما صُنع بهم من قبل وإذا اقتربوا من «الفضاء» فستكون عاقبة ذلك سيئة، ويمتزج الفخر بالتهديد يقول[3]:

إنّ الفَضاءَ لنا فلما تَمشُوا بِهِ ... أبداً بعِالِيَةٍ ولا بذِنُوبِ
وتفقّدُوا تِسْعين مِن سَرَواتِكُمَ ... أشْباهَ نَخْلٍ صُرّعَتْ لجَنُوبِ
وسَلوا صَرِيحَ الكاهِنَيْنِ ومالكاً ... عن مَنْ لَكُمْ من دارعٍ ونجيبِ

---

(١) انظر: ديوان حاتم الطائي: ٦٥.

(٢) المصدر السابق: ٦٥-٦٦.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم: ٦١-٦٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكذا يفتخر بعد انتصار الأوس على الخزرج في يوم بعاث بقوتهم وفتكهم بالخزرج ويهددهم ويطلب منهم الابتعاد عن «جذمان» التي يكثر فيها النبت والنخيل[1]:

معاقلهُمْ آجامُهُمْ ونِساؤهُمْ ... وأيمانُنا بالمَشْرَفِيّةِ مَعْقِلُ

كأنَّ رُؤوس الخَزْرَجِيّينَ اذ بدتْ ... كتائبُنا تتَرَى مَعَ الصُّبْحِ حِنطلُ

فلا تَقْرَبُوا جُذْمانَ إنَّ حمامَهُ ... وجَنّتَهُ تأذى بكم، فتحمّلوا

ويفخر الأفوه الأودي بانهم يحمون الغيل ويمنعونه من كل من يحاول ان يحل فيه يقول[2]:

منعنا الغَيْل ممن حلَّ فيه ... إلى بطنِ الجَريب الى الكتيب

أما عامر بن الطفيل فقد تضخمت عنده صورة قبيلته الكبرى فلا أحد يستطيع مشاركتهم في الأرض ما لان منها وما سهل بما فيها من مراعي ومياه فتصبح الارض بما فيها وما عليها ملك لقيس عيلان يقول[3]:

وما الأرْضَ إلاّ قيسُ عَيلانَ أهلُها ... لهُم ساحتَاها سَهلُها وحُزُومُهَا

وقَدْ نالَ آفاقَ السمّاواتِ مجدُنَا ... لنَا الصّحْوَ من آفاقِها وغُيُومُهَا

ويفخر بشر بن أبي خازم بمنعهم «العريمة»، وهو موضع ينبت فيه الكلأ، برماحهم واسلحتهم[4]:

إنّ العُرَيمةَ مانِعٌ أرْماحنَا ... مَا كانَ مِنْ سَحَمٍ بها وصَفارِ

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ١٣٧-١٣٨.

(٢) ديوان الافوه الأودي: ٨.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل: ١٣٥.

(٤) ديوان بشر بن ابي خازم: ٢٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويفخر ايضاً بفتكهم ببني عامر طالباً منهم الابتعاد عن مواضع الخصب والمراعي التي تخصهم والا شبت الحرب مرة أخرى بينهم فهم لا يتركون الحفاظ عليها وسوف يحمونها وهم منتصرون لا محالة يقول[1]:

بني عامـــرٍ إنّا تركنـا نساءَكـــم ... من الشَّلّ والإيجاف تَدْمَى عُجُوبُهـا

دَعُوا مَنبِتَ السِّيفَيْـن إنهما لنـا ... إذا مُضَرُ الحمـراءُ شُبَّتْ حُرُوبُهـا

ومن الواضح أنّ الشاعر عندما يطلب من الطامعين ان يبتعدوا عن مراعيهم الخصبة او مواقع نخيلهم- ان وجدت -يستعمل اسلوب الترهيب، فيبرز جانب القوة عند قبيلته كأسلوب لارهاب الاعداء ورد طمع الطامعين يقول قيس بن الخطيم مفتخراً بمن يذب ويمنع عن نخيلهم التي هي أحد اهم مصادر عيشهم من فرسان قبيلته الشجعان[2]:

لنَا مَعَ آجَامِنا وحَوْزَتِنَـا ... بَيْنَ ذرَاها مخـارِفٌ دُلُـفٌ

يَذُبُّ عَنْهُنَّ سامِـرٌ مَصِـعٌ ... سَوْدَ الغَواشي كأنّها عُرُفُ

وها هو الشاعر يحرم مواضع الرعي على اعداء قبيلته ويفخر بانهم سيحمونها لانها مواضع خصبة يكثر فيها النبت والمطر، وهم اهل لذلك لأنهم ثابتون ذو عزة ومَنعة يقول[3]:

فإنَّ الجِزْعَ جِـزْعَ عرَيْتنات ... وَبُرْقَةَ عيهَلٍ مِنْكُمْ حَـرامُ

سَنَمْنَعُهَا وإنْ كَانَتْ بِـلاداً ... بِها تَرْبُو الخَواصِرُ والسّنامُ

وغَيْثٍ أحْجَمَ الرُّوّادُ عَنْـهُ ... بِـهِ نَفَـلٌ وَحَوْذَانٌ تَـؤَامُ

تَعَالَـى نَبْتُهُ واعتَمَّ حتَـّى ... كأنَّ مَنابَتَ العَلجَانِ شَـامُ

أُبَحْنَـاه بحَـيٍّ ذي حِـلالٍ ... إذا مَا رِيعَ سَرْبُهُمُ أقَامُـوا

---

(١) ديوان بشر بن ابي خازم: ١٨-١٩.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم: ١١٨-١١٩.

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم: ٢٠٧-٢٠٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وشاعر آخر يفتخر بإن ماشيتهم وابلهم ترعى بإطراف الشعاب حيث ينتهي إليها الماء ويكثر العشب ويفتخر بان رجال قبيلته وفرسانها يصدون كل من يحاول الاقتراب من هذه المراعي الخصبة وكل من يسول له هواه ان يعبث بأمنهم أو بأرضهم يقول[1]:

ترَعَىّ بأذْنَابِ الشِّعابِ ودُونهـا رجالٌ يردوْنَ الظَّلومَ عن الهَوى

٥. الفخر بإجلاء القبائل عن مواطنها

ونتيجة للضرورة الاقتصادية التي املتها طبيعة الصحراء عليهم، اندفعت بعض القبائل محاولة الأستيلاء على مواطن الخصب التي تمتلكها أو تسيطر عليها قبائل أخرى وكان هذا مثاراً لشعر الفخر، اتخذ منه شاعر القبيلة مادة يفتخر بها ويعلي من شأن قبيلته وكان الدافع الذي يستبطن هذا السلوك هو «الغنيمة»، التي تمثل جوهر القبيلة وتماسك افرادها. وعامر بن الطفيل يفخر بان أحداً لن يستطيع ان يمنعهم مقاماً ولا ارضاً ذلك لأنهم لا يخافون الاعداء بل يقبلون عليهم برماحهم مقاتلين يقول[2]:

ولمْ يكْفِنَا قَوْمٌ مقَاماً ولمْ نعَـذْ بغيرِ القَنَا في خَشْيَةٍ أو تَجَرُّمَا

وقيس بن الخطيم يكرر مثل هذا، فهو يفخر بانهم كادوا يستبيحون كل مكان يريدونه وان اعداءهم لم يستطيعوا منعهم أو حماية تلك الأماكن. يقول[3]:

فَلَمْ تَمْنَعُوا منّا مَكاناً نُرِيـــدُهُ لَكُمْ مُحْرِزاً إلا ظُهُور المشارِبِ

ويفخر عامر بن الطفيل بقبيلته حيث يطئون جبل «ثهلان» دون ان ينازعهم عليه أحد. يقول[4]:

نَحْنُ قدْنَا الجِيادَ حتَى ابلْنَا ها بِثَهْلانَ عَنْوَةً فاسْتَقَرّتْ

---

(١) شعر زيد الخيل: ٦٧.

(٢) ديوان عامر بن الطفيل: ١١٦.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم: ٩٣.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل: ٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والشيء نفسه تفعله قبيلة بشر بن ابي خازم حيث ينزلون الأرض التي تحامتها نزار ولم يجترئ عليها أحد وهو يفخر بذلك وبهؤلاء المتقدمين يقول[1]:

مضَى سُلَّافُنا حتى حَلَلنَا بأرْضٍ قَدْ تَحَامَتْهَا نِـزارُ

ويفخر بكونهم يحلون كل حمى ويستبيحون كل أرض وثغر بينما لا يستطيع احد ان يستبيح البلد الذي يقيمون به يقول[2]:

سَلِي إن كنْتِ جَاهلةً بقوَمِـي إذا ما الخَيْلُ فِئْنَ مِنَ الجِراحِ
نَحلُّ مخوفَ كُلِّ حِمىً وثغـرٍ وما بَلَـدٌ نَلِيـهِ بمُسْتبَـاحِ

ولم يتوقف النزاع بين القبائل عند هذا الحد بل ان بعض القبائل كانت عندما تغير على قبيلة أخرى وتغزوها تنفيها كلياً عن مواطنها وتحل بذلك الموطن يقول شاعرهم[3]:

ونَحْنُ نفَيْنَا مذْحِجاً عن بلادِهـا تُقَتِّـلُ حتـى عادَ فلاًّ شديدَهَـا
فأمّا فريـقٌ بالمَصامَـةِ منهـمُ ففَرّوا وأخرى قد أبيرَتْ جدُودَهَا

ويفخر سلامة بن جندل باجلاء قبيلته لقبيلة ربيعة عن ديارها رغماً عن أنفها بقوله[4]:

سقنا ربيعة نحو الشام كارهةً سوق البكار، على رغم، وتأنيب
إذا أرادوا نزولاً أحث سيرهـم دون النزول، جلادٌ غير تذبيب

ويفخر بشر بن أبي خازم بان خوف بني سعد من قبيلته جعلها تحل بأرضٍ بعيدة عن مواطنها[5]:

وأنْزَلَ خَوْفُنَا سَعْداً بأرْضٍ هُنالِكَ إذْ تُجيرُ وَلا تجـارُ

---

(١) ديوان بشر بن ابي خازم: ٦٧.

(٢) المصدر نفسه: ٤٤.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل: ٤٦.

(٤) ديوان سلامة بن جندل: ٢٢٨-٢٢٩.

(٥) ديوان بشر بن ابي خازم: ٦٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويفتخر عمرو بن كلثوم بنفيهم الاعداء من موطنهم الى مكان آخر وانزال قومه لبيوتهم مكان هؤلاء الاعداء يقول[1]:

وأنزلنا البيوت بذي طلـوحٍ إلى الشّامات تنفي الموعدينا

وأنا المانعـون لمـا أردنـا وانا النازلون بحيث شينـا

ولا شك في ان دوافع كل هذا السلب والنهب والغزو والاغارة واحتلال مواقع النبت ومواطن المياه هو سوء الحال التي كانت تلم بالعربي في ذلك الوقت[2].

والشاعر يفخر بكونهم يغزون ويستبيحون الأرض الخصبة اذا قلت الامطار وظهر القحط يقول[3]:

كَفَيْنَا مَنْ تَغَيَّبَ، واسْتَبَحْنا سَنَامَ الأرْضِ إذ قَحَطَ القِطارُ

٦. الفخر بكرم القبيلة

ومما يتصل بالدافع الاقتصادي الكرم، حيث اصبح مظهراً من مظاهر الفخر نتيجة الظروف الاقتصادية التي كانت تمارس على العربي ضغوطاً كبيرة، فقد اصبح للكرم وظيفة اقتصادية إذ يقوم بضرب من التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، يقول يوسف اليوسف «وقد لا نزوغ عن سمت الحقيقة اذا ما فسرنا الكرم العربي على انه التعاطف مع الآخرين نتيجة للشعور بقسوة الحياة على الأنا»[4].

وكان الشاعر في العصر الجاهلي يرسي القيم ويبني المثل التي يطمح اليها افراد المجتمع ونتيجة لأحساسه العميق بأهمية الكرم في بيئته القاسية، جعل منه قيمة مثالية يصبو اليها الأنسان فوضع الكرم في مقدمة الفضائل والقيم التي تسعى إليها القبيلة. يتضح هذا من خلال وصفه لكرمها الذي ليس له حدود، لأنه يريد

---

(١) الزوزني، شرح المعلقات العشر، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ٢٠٧ . ٢٢٣.

(٢) انظر: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٤٨.

(٣) ديوان بشر بن ابي خازم: ٧٣.

(٤) مقالات في الشعر الجاهلي: ٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أن يؤكد على هذه القيمة التي تحفظ الحياة امام الظروف الاقتصادية الصعبة التي قد تودي بها في كثير من الاحيان، فحتى من كانوا يكرمون فعلاً، فقد كانوا يكرمون لانهم بهذا الكرم يحفظون حياتهم في المستقبل المجهول والظروف المتقلبة فلا أحد يعلم ماذا يخبىء له الزمن يقول محمد النويهي: «اهتدى الجاهليون الى الكرم، كوسيلة للاحتياط من هذا التقلب، وتخفيف اسوأ عواقبه، فهو نوع من ضمان المستقبل أو سمه «التأمين الاجتماعي» إن شئت فالمال كما يقول شاعرهم غاد ورائح، ولا يبقى منه الا الاحاديث والذكر فإن اشتهر عنك انك كريماً في زمن غناك، فهذا أجدر ان يحمل الآخرين على معونتك اذا افتقرت او احتجت»[1] ويضيف «الحقيقة اذن انّ كرم العربي قبل الأسلام كان منظوراً في معظمه إلى الفائدة المادية التي تعود على صاحبه»[2] ان الاكثار من الحديث عن الكرم والرفع من شأن هذه القيمة في الشعر العربي في العصر الجاهلي يشير الى اهمية وظيفتها في الحياة الاقتصادية، ولا يدل بالضرورة على انتشار الكرم هذا الانتشار الذي نظنه.

ومما يؤكد هذا انهم كانوا يفتخرون بنحر الجزر واطعام الطعام في سنوات الجدب وفي الشتاء حيث البرد القارص والرياح الشمالية التي كانت تؤذيهم. كما يفتخرون بنحرهم الجزر وتوزيع لحومها على الايتام والأرامل وهذا دليل واضح على وظيفة الكرم الاقتصادية فإن المرء في هذه البيئة التي لا ترحم يخاف صروف الايام وبنات الدهر، ونتيجة خوفه هذا فقد آمن بقيمة الكرم هذه، فلعله يلقى من يكرمه إذا ما انقلبت عليه الايام، كما قال محد النويهي، ومن هنا فهو يسبق إلى الكرم وهو قادر عليه تحوطاً لما يضمره المستقبل المظلم وحدية المعاناة الدافعة للكرم تظهر في شعر أكثر الجاهلين كرماً وافتخاراً بهذا الكرم يقول حاتم الطائي[3]:

وعشت مع الاقوام بالفقر والغنى، سقاني بكأسي ذاك كلتيهما دهري

---

(١) محمد النويهي، الشعر الجاهلي (منهج في دراسته وتقويمه) الناشر الدار القومية للطباعة، والنشر، القاهرة د.ت، ١/٢٣٥.

(٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) ديوان حاتم الطائي: ٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتتضح معاناة الانسان الجاهلي ايضاً من تقلبات الدهر بالاقبال والصد عنه. ومحاولته التغلب على هذه التقلبات بتحديها من خلال الثبات على مبادىء او اخلاقيات معينة يقول[1]:

كسُينا صروفَ الدّهرِ ليناً وغلظةً وكلاً سقاناه بكأسيهما الدهرُ

فمَا زادَنا بَأواً على ذي قَرابَةٍ غِنانا، ولا ازرى بأحسابِنا الفقرُ

إن هذه المعاناة هي التي جعلتهم يرفعون من قيمة الكرم، ويجعلونها محط انظار الجميع. فأمام قوة الطبيعة القاهرة اصبح الكرم شعار فخرهم في السراء والضراء، والكرم في الضراء كان افضل والفخر به أكثر وقعاً ففيه نوع من الايثار مع وجود الخصاصة يقول الشاعر[2]:

وقومي إذا كَحْلٌ على الناس صَرَّحت ولاذَ بأذراء البيوت الأباعرُ

وكان أتيّاماً كلٌّ حرف غزيرة أهانوا لها الأموال والعرضُ وافرُ

فكرمهم يكون في السنين الشديدة الضنكة المحلة، يتأكد هذا بقوله[3]:

إنّ بني أودٍ هُمَ مَاهُمُ للحربِ او للجدبِ عامَ الشموسِ

وعامر بن الطفيل يفخر بكرم قبيلته ايضاً في نفس الظروف الصعبة حيث انقطاع المطر ويبسان النبت واشتداد البرد:[4]

إذا سَنَةٌ عَزّتْ وطالَ طِوالُهَا واقْحَطَ عنها القَطرُ واصفَرّ عوْدُهَا

وجُدنا كراماً لا يُحَوَّلُ ضَيفُنا إذا جَفّ فَوْقَ المنزِلاتِ جَليدُهَا

---

(١) ديوان حاتم الطائي: ٥١.

(٢) ديوان الافوه الأودي ضمن الطرائف الأدبية: ١٤.

(٣) المصدر نفسه: ١٦.

(٤) ديوان عامر بن الطفيل: ٤٦-٤٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وسلامة بن جندل يفتخر بان قبيلته تعز المستضعفين وتأوي المساكين إذا ألم بالناس الجدب وحلت بهم سني القحط يقول[1]:

قومٌ، إذا صرَحَّتَ كحلٌ، بيوتهم عِزُّ الذليل،ومأوى كلِ قرُضوبِ

فهم الذين ينزلون في كل واد أصابه الجدب والقحط والفقر ليطهون الطعام ويطعمون الفقراء والبائسين يقول[2]:

كنّا نحُلُّ إذا هَبَّتْ شآميةً بكلّ وادٍ، خصيبِ البطنِ، مجدوبِ

شيبِ المبارك، مَدروسٍ مدافعُه هابي المراغِ قليلِ الودق. موظوبِ

وإذا قل مطر السماء وهبت الرياح الشديدة الباردة في سني القحط والضيق فإن قبيلة حاتم وقومه يهينون اموالهم ولا يبخلون بها على أحد بل انهم يساعدون الجميع يقول:[3]

إذا ما السّماءُ، لم تكنْ غيرَ حَلَبْةٍ كجدّةِ بَيتِ العنكبوتِ، ينُيرُها

فقد عُلِمَتْ غَوْثٌ بأنّا سَراتُها، إذا أعلِمَتْ، بعدَ السّرارِ، امورُها

إذا الريحُ جاءَتْ من أمامِ أخائفٍ، وألوتْ، بأطنابِ البُيوتِ، صدورُها

وإنّا نُهينُ المالَ، في غيرِ طِنّةٍ، وما يشتكينا، في السنينِ، ضريرُها

وهكذا يظهر لنا شعر الفخر الانسان الجاهليّ وقد تمنع بصفة الايثار أثناء ممارسته لقيمة الكرم، حيث يقدم العربي ما عنده ويضحي به من أجل الآخرين حتى وان كان ما عنده قليلاً لا يكفيه ولا يكفي حتى ذلك الآخر الذي يؤثرونه على انفسهم وبذلك يفخر زيد الخيل حيث يقول:[4]

---

(١) ديوان سلامة بن جندل، ١١٧.

(٢) المصدر نفسه، ١١٩-١٢١.

(٣) ديوان حاتم الطائي: ٦٢.

(٤) شعر زيد الخيل: ١٦٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نَصُولُ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِشْرَفِيٍّ عَلَى اللاّتي بَقَى فيهِنَّ ماءُ

عَشِيَّةَ نُؤْثِرُ الغُرَبَاءَ فِينَا فَلاَ هُمُّ هالِكُونَ وَلاَ رِوَاءُ

ولولا قيمة الكرم لهلك الكثير من اهل الصحراء وذلك لمرورهم بسنة مجدبة او لانقطاعهم عن الطعام أو الشراب في احدى الرحلات. وقد باتت الوظيفة الاقتصادية لقيمة الكرم واضحة اشد الوضوح.

من كل ما تقدم عن شعر الفخر والظروف الاقتصادية التي سادت في حياة العربي آنذاك بحكم البيئة، يمكن القول ان تلك الظروف كانت داعياً من دواعي قول ذلك الشعر درءاً للمصائب وجلباً للمنافع من جهة، وشعوراً انسانياً مع كل من تجابهه الصحراء بذلك الفقر والحرمان والعنف الذي ربما تجابه به قبيلة الشاعر نفسه في يوم من الايام، من جهة أخرى فشعر الفخر في أحد وجوهه، كما أشرت سابقاً، هو بحثٌ عن الأمن الاقتصادي ومحاولة لتحقيقه إذ بوجوده تستقر الحياة.

ثانياً: الدافع الاجتماعي

عند الحديث عن الدافع الاجتماعي لقول شعر الفخر القبلي يمكن الاشارة الى ان هذا الدافع ارتبط بالبنية العميقة للقبيلة التي تحدثنا عنها في الفصل الثاني «القبيلة وعلاقتها بشعر الفخر» ففي ظل بنية «الغنيمة» تكونت العلاقة بين الشاعر والقبيلة. فمقابل شعر الفخر الذي يقوله الشاعر في قبيلته نجدها تؤمن احتياجاته المادية منها والمعنوية.

فقد أخذ بعض الشعراء على عاتقهم خدمة القبيلة من خلال اشعارهم، فوقف معظمهم أشعاره على الفخر بالقبيلة، ومنذ البداية يمكن التأكيد على ان الشاعر عند فخره بالقبيلة لم يكن لينسى نفسه وفرديته، فعدا عن انه كان يقحم بعض الابيات يتحدث فيها عن نفسه في قصيدة القبيلة في احيان كثيرة، وهذا ما سأدرسه في جزء آخر من هذا البحث، فإنّه ومنذ ان يقرر الفخر بالقبيلة ويستطيع ذلك بموهبته الخاصة ومقدرته على تطويع الشعر لصالح القبيلة، فإنّه ينزع الى مكسب فردي، فمقابل فخره بالقبيلة. هذا ان كان شعره خالصاً للقبيلة، تجده يحقق مكسباً فردياً

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

من خلال «المنزلة التي يتمتع بها ويتميز في حال كونه شاعر قبيلة، فقد كان للشاعر مكانة كبيرة في قبيلته، كما ذكر ابن رشيق[1] وكما اوضح بعض الدارسين المحدثين[2]، فالشاعر يذب عن القبيلة بلسانه، وفعل شعره لا يقل عن فعل الفارس بسيفه ولشاعر القبيلة منزلة تضعه الى جانب الفرسان من حيث التقديم على الاخرين فماذا لو كان الشاعر القبلي فارساً كما هو الحال عند الشعراء الذين ندرس شعرهم؟ لا بد أنه قد كانت لهم مكانة مميزة احسوا هم انفسهم بها مما جعلهم راضين عند حديثهم عن القبيلة وافتخارهم بها. إذ ان فخرهم بالقبيلة ينطوي على قيمة ذاتية ونزعة فردية يحققونها ومصلحة للقبيلة عائدة عليهم بالنفع يقدمونها.

فبين الشاعر والقبيلة يقع ما يسميه يوسف خليف بـ«العقد الاجتماعي» الذي يتحول الى «عقد فني» فيصبح لسانه لسان القبيلة ومقابل ذلك فهو شاعرها تحرص عليه وعلى شعره وتتحمس له وتجعله في مكانة خاصة[3]

يمكن القول إن الدافع الاجتماعي الاول لشعر القبيلة، بعيداً عن النص الشعري، هو المصلحة المتبادلة بين الشاعر والقبيلة الأمر الذي جعل الشاعر يسّخر شعره للحديث عن هذه القبيلة، وتصوير قوتها ومقومات هذه القوة التي كانت شرط حياة آنذاك، وكرمها ومقومات هذا الكرم الذي افرزته طبيعة الظروف وتحديات الحياة في العصر الجاهلي.

---

(١) انظر: العمدة: ٦٥/١ قد أوردت حديثه عن احتفال القبيلة بنبوغ شاعر فيها في مكان سابق في هذه الدراسة.

(٢) عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠، ٣٢. حيث تشير الى ان مجتمعهم كان «يضع الشاعر في مكانه وما بعدها مكانه، فكانت وظيفته في القبيلة من أخطر وظائف الزعامة والقيادة، وهو وضع قد قضت به ظروف البيئة ودفعت اليه حاجة القبيلة الى قيادة معنوية تبث في ابنائها روح البسالة والحمية وإباء الضيم».

(٣) انظر: يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، مكتبة غريب، الفجالة، ١٩٨١، ١٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

١. الفخر بقوة القبيلة

في بيئة الجاهلي التي كانت محفوفة بالمخاطر من كل جانب غدا كل شيء يكال بمكيال القوة والبأس. وسواء كانت القبيلة تتمتع بمنعة وقوة او كانت ضعيفة هشّة ففي كلتا الحالتين كان لا بد لشعرائها ان يظهروها بأكثر الاشكال قوةً وشدة وبأساً، فهكذا تتطلب حياتهم. ويرى ابن خلدون انهم «قائمون بالمدافعة عن انفسهم، لا يكلونها إلى سواهم ولا يثقون فيها بغيرهم فهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطرق ويتجافون عن الهجوع إلا غراراً في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب، ويتوجسون للنبآت والهيعات ويتفردون في القفر والبيداء مدلين ببأسهم؛ قد صار لهم البأس خلقاً والشجاعة سجية يرجعون اليها متى دعاهم داعٍ»[١].

النص السابق لابن خلدون صور لنا مدى القلق الذي كانوا يعيشونه، وهو خوف ناتج عن توقع الخطر في كل لحظة، ذلك الأمر الذي يجعلهم قلقين متحفزين متوثبين فنجدهم يفتعلون القوة والشجاعة ويختلقونها في انفسهم ان لم تكن موجودة كي يستطيعوا مواجهة اي هجوم او خطر يداهمهم.

إن شعر الفخر القبلي صوّر لنا القبيلة وقد تمتعت بكل صفات القوة لان الظرف البيئي افرز قيمة القوة والشجاعة وجعلها في مقدمة القيم التي يؤمن بها المجتمع الجاهلي. فمجتمعهم الصحراوي لا يحكمه شيء امضى من شريعة القوة لان القوة هي سبب البقاء وشرطه الأساسي كما ان الضعف في الجانب الآخر هو سبب الفناء. فالشجاعة هي «وسيلة حياة أو حفظ للحياة»[٢]، وقوة القبيلة ترهب القبائل المعادية وتدفعها لتجنب مراعيها ومياهها ونسائها فكان لا بدّ من اظهار قوة القبيلة وشجاعتها، فكان الفخر بالقوة من أظهر مجالات الفخر عند شعراء القبائل.

---

(١) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، مهد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها وحققها وضبط كلماتها وشرحها، وعلق عليها، وعمل فهارسها: عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ط٢، ٢/٥٨٨-٥٨٩. معاني الكلمات الغريبة: البنآت: جمع نبأة وهي الصوت الخفي الهيعة، الصوت المفزع، مدلين: فلان يدلُّ بفلان يثق به ويعتز، والمعنى يثقون ويعتزون بقوتهم.

(٢) دراسات في الأدب الجاهلي: عبد العزيز نبوي، ١٧٢، ١٧٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ومن الشعر القبلي الذي يفخر به الشاعر بقوة قبيلته. الشعر الآتي لعمرو بن كلثوم والقوة عنده تعني رفضهم للذل وطحنهم للأعداء وركوبهم المخاطر يقول:[1]

وأيّام لِنَـا غرّ فـي طـوالٍ عصَينا المَلْكَ فيها أنْ نَدِينـا

متى ننْقلْ الـى قـومٍ رحَانَا يَكُونُوا في اللّقاءِ لَها طَحينا

الا لا يَعْلَـمُ الاقْـوَامُ أنـّا تَضَعْضَعْنَـا وأنّا قدْ ونِينـا

الا لا يَجْهَلَـنْ أحدٌ عَلَينَـا فنَجْهَلُ فَوْقَ جَهلِ الجاهِلينـا

وقوة القبيلة عند عامر بن الطفيل تتمثل بشجاعة رجالها وجرأتهم التي لا تنافس فهم يبادرون إلى ركوب المخاطر والأهوال بقوة الاسود وشجاعتها:[2]

قـد تَعْلَمُ الخَيْلُ المُغِيـرَةُ أنّنَـا إذا ابْتَدَرَ النّاسُ الفعَالَ اسُودُهَـا

على ربذٍ يَـزْدادُ جُـوُداً إذا جَـرَى وقد قَلِقَتْ تحتَ السّروجِ لبُودُهَـا

وتتمثل قوتهم في انهم باقون على قوتهم وشجاعتهم في اصعب الظروف وأكثرها شدة وهولاً فهم[3]:

كماةٌ حُمَاةٌ إذا ما الشّفـا هُ يَعْجِزُ عَنْ ضَمّها المِشْفَرُ

يُطيلُونَ للحَرْبِ تَكْرَارَها إذا ألْهَبَتْ لَهَبَـاً تُسْعَـرُ

ولا غرو إذا انهم ابطال ذو مجد وحسب لهم ثبات ايام الفزع وفي المعارك[4]:

لنَا في الروّعِ أبطَـالٌ كِـرامٌ إذا ما الخَيلُ جدّ بهَا الصّهيلُ

---

(١) شرح المعلقات العشر، ٢٠٧-٢١٧.

(٢) ديوان عامر بن الطفيل: ٤٥.

(٣) المصدر نفسه: ٦٨.

(٤) المصدر نفسه: ٩٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهم دائماً يذودون عن حسب القبيلة امام كل من يحاول المساس به وينكلون بالاعداء ويقتلونهم تاركين ديارهم مآتم:[1]

وما برَحَتْ في الدّهْرِ منّا عصابةٌ يَذودون عن أحْسابنا مـن تعَرّمًا
يقوَدُونَ جُرداً كالسّراحِينِ تستَمي صدُور العَوالي من كمُيتٍ وأدْهَمَا
ونَحْنَ ابرَنَا حُيّ أشْجَـعَ بالقَنَا ونَحْـنَ تَرَكْنَـا حَيّ مُرّة مأتمـا

ولا غرو في ان توصف القبيلة بذلك القدر من الشجاعة والقوة والبأس، فهذه الصفات التي كان لا بد للقبيلة ان تتمتع بها افرزتها طبيعة الحياة آنذاك يقول يحيى الجبوري «وكانت طبيعة الحياة العربية تتطلب القوة والشجاعة والأقدام وركوب المخاطر والتجلد للمكارة والخطوب، وقد دعاهم الى ذلك طبيعة الحياة المضطربة القائمة على الغزو والغارة والعداء فهم في حرب مضطربة الأوار لا تكاد تخبو حتى يشب ضرامها»[2] الأمر الذي يجعلهم على أهبة الاستعداد لأي طارىء، واستعدادهم الدائم لذلك الطارىء دليل حنكة وفطنة إذ ان الحرب يمكن ان تشب في كل لحظة يقول بشر بن أبي خازم:[3]

إذا ما شمـرتْ حَرْبٌ سمونـا سُمُوّ البزل في العطن الفَيَاحِ
علـى لحـق اياطلهـن قـبٌ يثرن النقع بالشّعث الصّبـاحِ

ومن علامات قوة القبيلة كثرة الغارات والايام التي ينتصر فيها فرسان القبيلة وابطالها وهي مدعاة فخر يقول[4]:

وأسأل تميماً بنا يوم الجفار، وسَلْ عنا بني لأم إذ ولّوا، ولـم يقفـوا
لما رأوا قسطلاً بالقـاع افزعُهُـمْ وابصرُوا الخيل شعثاً كُلّها يجـفُ

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ١٢٩-١٣٠.

(٢) الجاهلية: ٦٣-٦٤.

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم: ٤٥.

(٤) المصدر نفسه: ١٤٠-١٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

شَوازِباً كالقَنَا، قُوداً، أضَرَّبهـا شُمُّ العَرَانِين أبْطالٌ هُمُ خَلَفُوا
اباهُمُ، ثُمَّ ما زالوا على مُثُلٍ لا يَنْكُلُون، ولا هُم في الوَغى كُشُفُ

فقد تحدث عن يوم «الجفار» وهو أحد أيامهم التي ابلوا فيها على ما يبدو ثم أخذ يصف قوة ابطال القبيلة الذين افزعوا الاعداء. وفي قصيدة أخرى يصور قتالهم وغاراتهم المتعددة فأبطال قبيلته المجرّبون كالاسود الضارية في قوتها، طاروا الى الاعداء على خيل كالعقبان في سرعتها فكان ان تركوا الاعداء في اسوء حال بعد ان هزموهم:(١)

فسائلْ عامِراً وبَنَي تميمٍ إذا العقْبانُ طارَتْ لِلوِقاعِ
بكُلِّ مُجَرَّبٍ كاللَّيثِ يَسْمُو إلى أقرانِهِ عَبْلَ الذِّراعِ
عَلى جَرْداءَ يَقْطَعُ أبْهَراها حِزامُ السَّرْجِ في خَيْلٍ سِراعِ
غدون عليهم بالطعن شزراً الى أن ما بدت ذات الشعاع
فَلَمّا أيْقَنُوا بالمَوتِ ولَّوْا شِلالاً مُرْمِلينَ بِكُلِّ قاعِ
فَكَمْ غادَرْنَ من كابٍ صريعٍ تُطيفُ بِشِلْوِهِ عُرْجُ الضباعِ
وَكَمْ مِنْ مُرضعٍ قد غادَرُوها لِهيفَ القَلْبِ كاشِفَةَ القِناعِ
ومِنْ أخْرَى مُثابِرَةٍ تُنادي ألا خَلَيْتُمُونا لِلضَّياعِ

إن هزيمة الاعداء تعني بالضرورة قوة القبيلة لذلك تجد شعراء القبائل دائماً يتحدثون عن انتصارهم وهزمهم للاعداء وتغلبهم عليهم وقهرهم لهم. ومن ذلك قول عمرو بن معد يكرب(٢):

ونحن هَزَمْنا جيشَ صَعْدَةَ بالقَنا ونحنُ هَزمنا الجيشَ يومَ بَوَارِ
جُوافِلَ حتى ظلَّ جُنْدٌ كأنّه من النَّقْعِ شيخٌ عاصبٌ بِخِمارِ

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ١١٠-١١٢.

(٢) ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي: ١٠٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والطفيل الغنوي ايضاً يفخر بقوة أبطال قبيلته وفرسانها، وقوتهم تكمن في قوتهم الجسدية ودربتهم على القتال وأنفتهم وكرم محتدهم ورفضهم الذل والهوان وورودهم على الموت أين كان، وهذا طبيعي في اناس من عليه القوم:(١)

وفينا ترَى الطّولَى، وكُلُّ سَمَيْدَعٍ ... مُدَرَبٍ حَرْبٍ وابــن كُلِّ مُــدرَّبِ

طويل نجَاد السيف لم يَرْضَى خطَّةً ... من الخَسْفِ وِرادٍ إلى المَوْتِ صقعبِ

قَبائـلُ مــن فرعَىْ غنــيٍّ تواْهَقَتْ ... بها الْخَيْـلَ لاَ عُـزّلٌ ولا متأشــبِ

وفي قصيدة أخرى هم اسودٌ تمشي الى ساحة المعركة حاملة السيوف(٢):

فمَشَوْا الى الهيَجاءِ في عُلَوائِهَا ... مَشْيَ اللّيُوثِ بِكُلِّ أبْيَضَ مُذْهَبِ

ومن اشكال أظهار قوة القبيلة وصف الحال التي ترك فيها الاعداء من جراء فتك فرسان القبيلة بهم:(٣)

ألا أبْلغــا ذَا الخَزْرَجــيِّ رِسالــةً ... رِسَالةَ حَقٍّ لسْتُ فِيهــا مُفنَّــدا

فإنّا تَرَكْناكُمْ لــدَى الــرَّدْم غُدوةً ... فَرِيقَيْنِ: مَقْتُــولاً بــهِ ومُطَــردا

صَبَحْنَاكُمْ مِنّا بِهِ كُــلَّ فــارِسٍ ... كَرِيمِ النثَا يَحمي الذِّمار ليُحْمدا

وكان الفخر بقوة الفرس وسرعتها من اشكال الفخر بالقوة العامة لفرسان القبيلة:(٤)

وقَوْماً أبَحْنا حِمَى مَجْدِهِمْ ... وكانوا لِئَنْ يعتَرِيهِمْ سنَامَــا

اذَاعتْ بِهِمْ كُلُّ خَيْفَانَــةٍ ... طَرُوحٍ طَمُوحٍ تلُوكُ اللّجَاما

---

(١) ديوان الطفيل الغنوي: ٢٠-٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ٩٤.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم: ٢١٦.

(٤) المصدر نفسه: ٢١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويؤكد قيس بن الخطيم قوة رجال القبيلة فهم اسودٍ ونمور يثبتون في المعركة مهما كانت شدتها ويحتلون كل ثغر مقدمين على الموت مقتحمينه بكل شجاعة وبأس[1]:

متَى تَلقَوْا رِجَال الأوسِ تَلقَوْا لِبَاسَ اسـاودٍ وجُلُـودُ نُمُـرِ
ونَصْدُقُ في الصَّباحِ إذا التَقَيْنا ولَوْ كان الصَّبـاحُ حَجيمَ جَمَّرِ
فنَحْنُ النَّازِلـونَ على المَنايَـا ونَحْـنُ الآخِـذُونَ بكُـلِّ ثَغْـرِ

وان شدة قبيلة زيد الخيل وقوتهم لهي حرية بأنّ يسأل عنها:[2]

سائلْ فـوارسَ يربوعٍ بشِدّتنـــا أهَلْ رَأوْنا بسفحِ القاعِ ذي الأكمِ؟
إنّا كذلـك إذ مـــا أزمةٌ أزمـتْ نعصـي بكـلِّ رقيـق حـدّه، خذمِ
وكل مشتـــرفٍ نهـدٍ وسلهبـــةٍ يُقْدِمْنَ عِندَ اعتراكِ القومِ باللّجمِ

إن فرسان قبيلته هم من يحققون هذه الصورة من القوة والنفاذ يقول[3]

ويركبُ يومَ الرّوعِ فيها فـــوارسٌ بصيرونَ في طعنِ الأبا هر والكلى

وفي شعر سلامة بن جندل تجد الكثير عن القبيلة وتصويرها بقوة وشدة نادرتين، حيث يصف فرسانها بكامل قوتهم وفتكهم بالاعداء وانتصارهم عليهم ومن ذلك أنه صورهم أسود تعتلي الخيول الضامرة السريعة الشديدة وقد اشرت سابقاً ان وصف قوة الفرس او الخيل من مكملات وصف قوة فرسانها فحيثما اجتمعت قوة الفارس بقوة الفرس ترك الاعداء على اسوء حال انظر اليه يقول:[4]

تلاقتْ بنو كعبٍ وافنـاءَ مالـكٍ بأمرٍ كصدرِ السيفِ وهـوَ جَلِيلْ
تُرى كلَّ مَشبوحِ الذراعينِ ضَيْغَمٍ يَخبُّ بـه عـارٍ شـواهُ، عسَـوْلُ

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ١٨٣-١٨٧.

(٢) شعر زيد الخيل: ١٥٥.

(٣) المصدر نفسه: ٦٧.

(٤) ديوان سلامة بن جندل: ١٩١-١٩٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كأنّ المذاكي، حيـــنَ جَدَّ جميعُنَـــا، رَعيلٌ وعُول، خَلْفَهُـــنَّ وعُـــولُ
عليهـــنَّ أولادُ المَقاعِـسِ قُرَّحـــاً عَناجيجُ، فـي حُـوٍ لهـنَّ صهيـــلُ
كأنَّ على فُرسانِها نَضْـــحَ عَنْـدَمٍ نَجيعٌ، ومِسكٌ بالنحـــورِ يسيـــلُ
فما تركُوا في عامرٍ مـــن منُـوّةٍ ولا نِســـوةٍ، الاّ لهـــنَّ عويـــلُ
تَـرَكْنَ بَحِيراً، والذُّهَـاب، عليهمـا من الطيـر غايـاتٌ، لهنَّ حجُـولُ

وهذه الحال التي تركوا عليها الاعداء لا تبدو غريبة عليهم إذ أنهم فرسان معتادي الأسنة في الوقائع واللقاءات المتكررة مع الاعداء حيث يبلون نحور خيولهم بدم هؤلاء الاعداء يقول[1]:

إني امرؤ، مِـن عُصبـةٍ سَعْديـةٍ ذَرَّبَى الأسنَّـةِ كُلّ يـومِ تلاقـــي
لا ينظرُون إذا الكتيبةُ أحجمَت نَظَرَ الجمالِ، كرُبْـنَ بالأَوسـاقِ
والخيلُ تَعلمُ من يَبُلُّ نَحورَهَـا بدمٍ، كمـــاء العَنْـدمِ المُهَـراقِ

أنهم فرسان كالأسود قوة، وهم لا يغدرون من استجار بهم، ولا يخونون من استنجدهم، يقول[2]:

بأَسَدٍ من الغِرِّزِ، غُلْبِ الرقابِ مَصاليتَ، لم يُخشَى إدهانُهـا

وكثير هو الشعر الذي يفخر به سلامة بقوة ابناء قبيلته وحسن بلائهم في المعارك[3]، والشيء نفسه يفعله حاتم الطائي فأبناء قبيلته لا يخشون الحرب ولايفرون منها بل يصبرون عليها حتى تكون لهم مهما كانت شديدة، ولا غرابة، فهم «بنو الحرب» شعث الرؤوس في المعركة وكانهم من بني الجن لا من بني الأنس يساعدهم على النصر الخيول الضامرة التي يوثق بها فثباتها من ثبات فرسانها يقول[4]:

---

(١) ديوان سلامة بن جندل: ١٥٣، ١٥٤.

(٢) المصدر نفسه ٢٥٩.

(٣) انظر ديوانه: ١١١-١١٥، ٢٢٩، ١١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢٠٧، ١٧٧، ١٧٨.

(٤) ديوان حاتم الطائي: ٦٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وغَمْرَةِ موْتٍ ليسَ فيهـــا هَـــوادَةٌ، يكونُ صُدُور المَشَرفـــيّ جُسُورُهـــا
صبرْنا لها فـــي نهكِها ومُصابِهـــا، بأسْيافِنـــا، حتـــى يبُـوحَ سعَيرُهـــا
وعَرجَلةٍ شُعث، الـــرؤوس، كأنهـــم بنو الجن، لم تُطبَخْ، بقـدر، جزورهـــا
شَهِـدْتُ وعوّانـــاً، أمَيْمَـــةَ، أننـــا بنو الحربِ، نَصلاها، إذا اشتدّ نورُهـــا

وعلى الرغم مما تبوح به الأبيات من حس الضعف الذي يمكن أن يقرأ فيها وبينها، ألا أنها تبقى مؤشراً على قوة القبيلة من وجهة نظر الشاعر والقبيلة أيضاً.

٢. **الفخر بكثرة عدد أفراد القبيلة**

كان الفخر بكثرة العدد بعداً اجتماعياً هاماً فرضته الظروف البيئية التي تحكم بالحياة لمن هو أقوى فكثرة العدد أساس ترتكز عليها القوة.

يقول أحد الدارسين في هذا المجال متحدثاً عن أثر البيئة في افراز نمط العلاقة بين الناس والقيم الاجتماعية التي برزت في العصر الجاهلي: «اسهمت البيئة في خلق نوع من العلاقة بين الناس، يقوم أول ما يقول على القوة، القوة في البأس، في العدد في الرأى في العصبية»(١)

إذن فالفخر بالقوة عند شعراء القبائل كان يستدعي بالضرورة فخراً بكثرة العدد. وسلامة بن جندل يفاخر بكثرة أفراد قبيلته وقوتهم فهم كالحصى عدداً وهم ابناء الحرب الشديدة، يقول(٢):

وأنّا كالحَصَى عدداً، وأنـــا بنو الحربِ، التي فيها عُرامُ

ويجتمع العدد الكبير إلى القوة والشدة في جيش زيد الخيل لتحقيق النصر ودحر الأعداء وهزمهم يقول(٣):

---

(١) الهجاء الجاهلي: ٧٥.

(٢) ديوان سلامة بن جندل: ٢٥١

(٣) شعر زيد الخيل: ١١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بجَيْشٍ تَظَلُّ البَلْقُ في حَجَراتِه ... تَرَى الأكْمَ فيه سُجَّداً للحَوَافِرِ

وجَمْعٍ كمِثْلِ اللَّيْلِ مُرتجِسِ الوَغى ... كثيرٍ تواليه سَريعِ البوادرِ

ونحن هَزَمْنا جَمْعَكم بمتالعٍ ... ففاءَ، ولم يَسْلَمْ، على شرِّ طائرِ

وجيوش قيس بن الخطيم وجماعته تملأ المكان فهي كالقطا المتفرق في جميع الانحاء يقول[1]:

وأقْبَلْتُ من أرضِ الحجازِ بحَلْبةٍ ... تَغُمُّ الفضَاءَ كالقَطا المتُبَدِّدِ

ومثل هذا الجيش الكبير هو الذي يستطيعون به أن يلحقوا الهزيمة بالاعداء يقول[2]:

ونحنُ هزَمْنا جَمْعَكُمْ بكتَيبةٍ ... تضَاءلَ مِنها حَزْنُ قَوْرَى وقاعُها

ولا بد أن يرافق كثرة العدد في الجيش الشجاعة والقوة ومؤاخاة الحروب لتكون سبيلاً لإذاقة الأعداء طعم الموت[3]:

سقَيْنَاهُمْ بالفضاء كؤوسَ حتْفٍ ... بني عَوْفٍ وإخْوتَهُمْ تزِيدا

لقَيناهُمْ بكُلِّ أخي حُروبٍ ... يَقُودُ وَرَاءهُ جمَعًّاً عتِيَداً

ومن فوائد الكثرة في رأيهم، أن القبيلة التي يكثر جيشها ويمتاز بالشجاعة لا تضر بها الحروب[4].

ونحنُ حماةُ الحَرْبِ ليسَتْ تَضِيرُنا ... نسَوْقُ خَمِيساً كالقَطا متُبَدِّدا

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ١٢٧

(٢) المصدر نفسه: ١٤٢.

(٣) المصدر السابق: ١٤٧.

(٤) المصدر السابق: ٢١٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي هذا المجال يقترن فخر عمرو بن معد يكرب بكثرة جيوشهم بهجائه لبني زياد بداية، يقول[1]:

أبنَـي زيادٍ أنتـمُ فـي قومكـمْ ذَنَبٌ ونحن فـروعُ أصـلٍ طيِّـبِ
نَصِلُ الخميسَ إلى الخميسِ وأنتمُ بالقهـر بيـن مُرَبَّـقٍ ومُكلَّـبِ

وهاهم ابناء قبيلة بشر حوله جماعات ضاق عنها الفضاء فهي كالليل امتداداً وكثرة[2]:

وحَولي من بَنَيّ أسدٍ حُلُـولٌ كمِثْل اللّيلِ ضَاقَ بها الفَضَاءُ

والخيل تأتي الحروب وعليها جمع كثير ومنيع من بني عامر فتهزم الاعداء وتصيبهم بشرها[3].

بجيادٍ غَدَتْ بجَمْعٍ عزَيزٍ وأصابَتْ عُداتَها فأضَرّتْ

وجيش قبيلة الشاعر عظيم، فتارة يشبهه بالسحاب الذي تحلبه الريح فيحمل البرد والمطر الشديد وتارة بالسيل الأرعن الذي يعقبه مطر دائم[4]. وشاعر آخر يرى أن لا جمع يغلب جمع قومه وبهذا يضيف القوة إلى الكثرة يقول[5]:

فذاكَ وقد رَجَعْنَ مُسَوَّمَـاتٍ يَخِدن وقد قضينا كـلَّ حَـرْدِ
فما جَمْعٌ لِيغلبَ جمع قومـي مَكاثـرةً ولا فـردٌ لفـردِ

لقد كان التفاخر بالكثرة واضحاً في الشعر القبلي فالكثرة من متطلبات القوة وهي أمرٌ أساسي كالشجاعة والبطولة، وفي القرآن الكريم إشارات إلى أن الحياة كانت في الجاهلية تعتمد على التكاثر والكثرة في الأموال والأولاد والتفاخر بذلك

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٤٨-٤٩.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم: ٤.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل: ٣٤.

(٤) ديوان قيس بن الخطيم: ١٧٥-١٧٦.

(٥) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبغيره، فقد قال عز وجل «واعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد»[1].

٣. الفخر بكثرة السبايا ومنع نساء القبيلة

أما كثرة السبايا من القبائل المجاورة والمعادية ومنع نساء القبيلة وحمايتهن من السبي فقد كانت ايضاً من القيم الاجتماعية التي افتخر بها شاعر القبيلة وهي أيضاً دليل قوة ومنعة في القبيلة، والطفيل الغنوي يفخر في سياق افتخاره بشجاعه أفراد قبيلته وإغاراتهم المستمرة على الأعداء بما عادوا به من السبايا إلى جانب قتلهم فرسان العدو ونهب ممتلكاتهم يقول[2]:

وَقَتَّلْنَا سَرَاتَهُمْ جِهَاراً ... وَجِئْنَا بِالسَّبَايَا والنِّهَابِ
سَبَايَا طَيِّءٍ أُبْرِزْنَ قَسْراً ... وَأبدَلْنَ القُصُورَ مِنَ الشِّعَابِ
سَبَايا طَيِّءٍ مِنْ كُلِّ حَيٍّ ... بِمَنْ فِيْ الفَرْعِ مِنهَا والنِّصَابِ

ويفخر عامر بن الطفيل بقتلهم الاعداء وإبادتهم وإردافهم نساءهم وسبيهن يقول[3]:

لَقِيناهُمْ بِبِيضٍ مُرْهَفَاتٍ ... نُقَتِّلُهُمْ بِها حتى أبِيدُوا
وأرْدَفْنا نِساءَهُم وجِئْنَا ... وقد دَمِيَتْ من الخمشِ الخُدُودُ

وفي مكان آخر يفخر بما سبوا من النساء إضافة للنياق التي نهبوها[4]:

وجِئْنَا بالنِّساءِ مُرَدَّفَاتٍ ... وأذْوادٍ فَكُنَّ لَنَا طَعَامَا

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٠.

(٢) ديوانه: ٩٧.

(٣) ديوانه: ٥٠-٥١.

(٤) المصدر نفسه: ١١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويفخر زيد الخيل ايضاً بما سبوا من النساء بعد غاراتهم العنيفة التي شنوها على الأعداء يقول[1]:

وسَقْنَا نساءَ الحيِّ مُرّةَ بالقنا ... وبالخيلِ تَرْدي قد حَوَيْنَا ابنَ ظالمِ
وسائل بني جارَ ابنِ عوفٍ فقد رأى ... حليلتَه جالت عليها مقاسمي
غداةَ سَبَيْنا من خَفاجةَ سَبْيَهَا ... ومَرّتْ لهَمْ مِنّا نحوسُ الأشائمِ

وكذا يفخر عمرو بن معد يكرب بأن رجال قبيلته وفرسانها الأشداء اقتسموا نساء العدو اللواتي سبوهن بعد الغارة يقول[2].

وهم قسَموا النساء بذي أُراطَى ... وهم عركَوالذئابَ عَرك جلدِ

وكما فخر الشعراء بكثرة سبايا قبائلهم فخروا بمنع نساء قبائلهم وحمايتهن من السبي والإهانة، حيث أن هذا الأمر دليل قدرة وقوة القبيلة يقول سلامة بن جندل في هذا السياق[3]:

الاّ، هل أتَتْ أنباؤنا أهلَ مأرِبٍ ... كمَا قَدْ أتَتْ أهل الدَّنا والخَوَرْنَقِ
بأنّا منَعْنَا بالفُروقِ نساءَنا ... ونحنُ قتَلنا من أتانا بمَلْزَقِ

ويقول قيس بن الخطيم[4].

وأنّا منَعْنا في بُعاثٍ نِساءنا ... وما منَعَتْ مِ المخزياتِ نِساءها

ومهما بلغت شدة الحرب وروعها فإن قوم بشر قادرون على حماية نسائهم ومنعهنّ من الاعداء يقول[5]:

فسائِلْ عَامراً وبَنَي نُميَرٍ ... إذا مَا البيضُ ضَيَّعَها المُضِيعُ
إذا مَا الحَرْبَ أبدَتْ ناجِذَيْهَا ... غداةَ الرَّوْعِ، والتَقَتِ الجُمُوعُ

---

(١) شعر زيد الخيل: ١٥٧، ١٥٨.

(٢) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٨٢.

(٣) ديوان سلامة بن جندل: ١٦٠، ١٦١.

(٤) ديوان قيس بن الخطيم: ٥١.

(٥) ديوان بشر بن أبي خازم: ١٣٣، ١٣٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بنَا عِنْدَ الحِفيظَة كَيفَ نَحمِي إذا مَا شَفَّها الأمرُ الفَظِيـــعُ
عَقَائلَنا، وَنَمنعُ مَـــنْ يَلِينـا بِكُلِّ مُهَنَّـدٍ صَـافٍ صَنِيـــعُ

وعليه، يمكن القول أن عنصر القوة في ذلك الوقت هو نبض الحياة، وكأني بالشاعر القبلي يريد أن يوصل رسالة إلى قبيلته من خلال الصورة التي يصورها بها مفادها أنه إذا لم تتمسك القبيلة بكل معاني القوة والشدة والبأس وما يتبعها من صفات وأفعال تدور بذات الفلك وتؤدي معنى النصر، فإن الهزيمة هي النتيجة المحققة التي ستمنى بها القبيلة، والهزيمة في الحياة الجاهلية بلا شك تعنى السقوط. فالشاعر يقدم العالم كما هو كائن وكما ينبغي أن يكون، ففي الشعر يتذوب العالم الواقعي في العالم من وجهة نظر الشاعر[1] فهو يقدم لنا رؤيته عبر واقعية الأشياء ويعيد صياغة الأشياء حسب رؤيته وما يتمنى أن تكون عليه هذه الرؤية ، من خلال ما تمليه عليه رغباته الشعورية واللاشعورية[2] ومن هنا قدم لنا الشاعر الجاهلي صورة مثالية للقبيلة.

فليس غريباً أن يصور الشاعر القبلي قبيلته وقد امتلأت بمعان وقيم وصفات تجعل منها نموذجاً، في القوة التي تؤدي إلى النصر والبقاء والاستمرار، وهذا يرجع إلى طبيعة الفن فالشاعر بصفته فناناً يحاول عند حديثه عن القبيلة أن يصورها بصورة مثالية، ونظرية افلاطون في المثل تفسر ذلك، فالشاعر الفنان يحاول الاقتراب من عالم المثل والنموذجية والكمال في تصويره للقبيلة، فيبدو شعر القبيلة (محاكاة) لذلك العالم الحق عالم الصور الخالصة والنماذج التامة والمثل الخالدة[3].

---

(١) انظر: يوسف اليوسف: ما الشعر العظيم، المعرفة، مجلة ثقافة شهرية تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي، العدد ١٨٣، ١٩٧٧، ٦٤.

(٢) انظر: عز الدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب سلسلة علم النفس والحياة باشراف لويس كامل مليكة، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، د. ت، ٤٨. حيث يقول بأن العمل الفني «تدفع إليه أسباب هي التي تدفع إلى الحلم، ويحقق من الرغبات المكبوتة في اللاشعورما يحققه الحلم، وهو كذلك يتخذ من الرموز والصور ما ينفس عن هذه الرغبات».

(٣) انظر: نظرية أفلاطون في المثل ومكان الفن في نسقها الفلسفي، عبد المنعم تليمة مقدمة في نظرية الأدب، دار العودة. بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ١٧٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وهذه الصورة للقبيلة هي ما يتمنى الشاعر أن تكون عليه القبيلة لتحفظ كيانها وبالتالي كيانه كفرد وسط زخم التحديات، لأن البيئة، كما سبق واشرت في غيرموضع، هكذا أرادت أن تكون الحياة للأصلح وبلا شك أن الأصلح من وجهة نظر تلك البيئة بمعطياتها المحدودة هو الأقوى.

ومن هنا يمكن النظر إلى الصورة الكاملة للقبيلة في شعر الفخر القبلي بأنها الصورة التي كان يسعى الشاعر إلى تحقيقها ووجودها وانتشارها في الحياة الواقعية.

وفي كثير من الاحيان تجد الفرق واضحاً بين واقع القبيلة وصورتها في شعر شاعرها خاصة إذا أدركنا أن الشاعر ليس معنياً بنقل معطيات الواقع مباشرة على الدوام فنجده يقدم هذا الواقع من وجهة نظره ومن خلال اختماره في خياله بصورة أخرى يمتزج فيها الواقع بالخيال[1]، وتقترب أو تبتعد عن الواقع قليلاً أو كثيراً، المهم أنه لا بد أن يكون لهذه الصورة الجديدة هدفاً أو وظيفة تحققها ويبدو أن المنشود من هذه الصورة هو أن يسعى الجميع لتحقيقها-كما قلنا- فالشاعر يريد أن يسعى جميع افراد القبيلة لأن تكون قوية منيعة كما أنه سعى من خلال تكريسه لقيمة الفخر أن تتواجد هذه القيمة وتنتشر على أرض الواقع فاضفاء صفة الكرم مثلاً على القبيلة حين يمتدح الشاعر قبيلته «تعني حاجة المجتمع إليها كمثل أعلى أكثر مما تعني وجودها في الواقع»[2]، وفي الأمثلة التالية ما يؤكد أن الصورة التي تُظهر القبيلة قوية فائقة القوة تكون في كثيرمن الأحيان طموح يسعى إليه الشاعر.

يقول قيس بن الخطيم مفتخراً في أحدى قصائده بقبيلته مصوراً بطولتها وقوة أفرادها وانتصارهم[3]

ورثنا المجدَ قــدَ علمــتَ معــدٌ ... فلم نُغلبْ ولــم نَسبــقْ بوتــرِ
متى تلقوا رجالَ الأوسِ تلقــوا ... لِبَــاس اســاودٍ وجُلُــودَ نُمَــرِ

---

(١) انظر التفسير النفسي للأدب: ٤٤.

(٢) مقالات في الشعر الجاهلي: ٩٣.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم: ١٧٣-١٨٧

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونَصْدقَ في الصباحِ إذا التقينا ولو كانَ الصّبـاحُ جَحيمَ جمَّـر

ألا أبلـغْ بنـي ظفـرٍ رسـولاً فلمْ نَذْلِلْ بيُثرِبَ غيـرَ شهـر

خَذَلْنَـاهُ وأسْلمَنَـا المَوالـي وفَارَقَنا الصَّرِيحُ لِغيَـرِ فقَـر

فَنَحنُ النازِلونَ على المَنايَـا ونَحْـنٌ الآخـذُونَ بكُـلّ ثغْـر

تعتبر هذه الأبيات أظهاراً لانتصار القبيلة وقوة تلك القبيلة. وفي حقيقة الأمر أن قبيلة الشاعر كانت منهزمة ضعيفة وهذه الهزيمة يشي بها أمور ثلاثة، خبر القصيدة وشعر شاعر آخر قيل في المناسبة نفسها والأبيات نفسها في لوحته الفخرية. فعلى الرغم من أن الشاعر يلصق بالقبيلة كل القيم والمعاني الفخرية التي توحي بانتصارها من شرف ومجد وشجاعة وبسالة واقدام على الموت إلا أنه وفي واقع الأمر أن قبيلة الشاعر هي التي كانت منهزمة في تلك الواقعة في يوم «معبس ومضرس» حيث قال قيس هذا الشعر على أثرها. وهذا ما نستفيده من خبر هذه القصيدة حيث أتى في الخبر أن الخزرج قد تغلبوا على الأوس «فقتلوا من الأوس مقتلة عظيمة وهزموا حتى دخلوا الدور وتحرزوا في الآطام ولم يقتل من الخزرج إلا قليل»[1]. ومع ذلك فالشاعر يفخر. ومما يؤكد أن هذا الفخر كان نوعاً من ادعاء مالم يكن وتعبئة نفسية ازاء الحس بالضعف. يقول عفت الشرقاوي في هذا المجال: «إن شعر الفخر على الحقيقة هو شعر إدعاء المثال».[2]

وردّ شاعر آخر على قصيدة قيس هذه حيث قال[3]:

كذَبْـتَ لَقَدْ أقمْتَ بهـا ذَليلاً تقِيمُ على الهَوان بها وتَسرْي

وفي ابيات قيس الفخرية ذاتها تستطيع أن تقرأ حس الضعف، وخاصة في قوله:

ألا ابلغْ بني ظفـرٍ رسَـولاً فلَمْ نذللْ بيثرِب غيرَ شهرِ

خذلناهُ واسلمنَـا المَوالـي وفارقنَا الصَّريحُ لغيرِ فقرِ

---

(١) المصدر نفسه: ١٨٠ وانظر الخبر كاملاً.

(٢) انظر: دروس ونصوص في الادب الجاهلي: ٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

والذي نلحظ من خلاله انخفاض نغمة الفخر المجلجلة في الأبيات السابقة فقد مسّهم الذل، على الرغم من أن الشاعر أراد أن يتجاوز هذا الخسف بل وحقيقة الهزيمة كلها من خلال الفخر المدوي، الذي سبق هذين البيتين ولحق بهما، ولكنهما يبقيان أضاءة على حس الضعف ومرارة الهزيمة ومحاولة تبريرها فيما كان الشاعر يحاول تحويل الهزيمة إلى نصر مؤكد يستدعي الفخر المبالغ به.

ومن خلال هذا المثال نجد أن التجربة الشعرية كثيراً ما تكون تعديلاً للواقع الاجتماعي[1] أو محاولة لتعديله من واقع حقيقي إلى واقع منشود. والمثال الثاني الذي نسوقه على هذا النوع من شعر عامر بن الطفيل. فعلى الرغم من أن الهزيمة لحقت ببني عامر في يوم "المروراة" وكان ذلك اليوم لبني ذبيان على بني عامر[2]، تجد أن عامر بن الطفيل يحاول أن يتجاوز حس الضعف الذي قد يصيب القبيلة نتيجة الهزيمة من خلال الفخر متجاهلاً هزيمتهم في ذلك اليوم من خلال حشد الأيام التي انتصروا بها ناعتاً القبيلة بالمعاني والقيم الرفيعة من شجاعة واقدام وقوة وبأس واصفاً أياهم بأنهم بنو الحرب الذين لا يملّونها فقد قال يفتخر رغم هزيمتهم متجاهلاً ما يدور حولهم من كلام مستنكراً له[3]

تَعَيّرْنَا يَوْمَ المَرَوْرَاةِ سادراً ... وعِنْدَكَ من أيّامِنا قبلَها غِيَر
فَمَنْ مُبلِغٌ ذُبيّانَ عنّي رسالةً ... مُغَلْغَلَةً منّي ومَا تَنفَعُ العِذَرْ
وقَدْ عَلِمَتْ عليَا هَوازِنُ أنّنَا ... بنو الحَرْبِ لا نَعْيا بوِردٍ ولا صَدَرْ
نَشُدُّ عِصابَ الحَرْبِ حتى تُدِرّها ... إذا ما نفوسُ القومِ طالَعَتِ الثغرْ
تَرَى رائِداتِ الخَيْلِ حَوْلَ بيُوتِنا ... أبابيل تروي بالعشي وبالبكرْ

٤. الفخر بالقيم الاجتماعية للقبيلة

هناك مجموعة من الخلال كانت تمثل قيماً اجتماعية يحرص عليها مجتمع القبيلة ويجعل منها قيماً اجتماعية عليا يتغنى بها شاعرهم ويضفيها على قبيلته وافرادها من مثل الكرم والنجدة وحماية الجار.

---

(١) انظر: ايليا الحاوي في النقد الأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٤، ١/٩٠

(٢) انظر: ديوان عامر بن الطفيل، الهامش، ٧١.

(٣) المصدر نفسه ٧١-٧٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أ. الكرم

قيمة الكرم وإن كانت تمثل دافعاً اقتصادياً كما تحدثت سابقاً فهي في الوقت نفسه تمثل بعداً اجتماعياً وقيمة اجتماعية عليا يتمسك بها افراد القبيلة ويفتخرون بها ويعلون من شأنها ومن هنا فإننا لانستطيع أن نتفادى في حديثنا هذا التداخل بين ارتباط هذه القيمة بالناحية الاقتصادية وارتباطها بالناحية الإجتماعية من حيث هي قيمة آمن بها المجتمع القبلي.

فالشاعر الجاهلي كان يُشعرنا بأن هذه القيمة لا تفارق قبيلته في عسرها أو يسرها- كما يظهر في شعر الفخر القبلي- وإذا استدعى الأمر أن يُقدّم الضيف على أبناء القبيلة- وخاصة صغار السن- وهم أحوج إلى الطعام- فإنهم لن يبخلوا بذلك وها هو عامر بن الطفيل يفخر بأنهم يقدمون الطعام الجيد لضيوفهم قبل عيالهم يقول[1]

أنّا لنَعْجَلُ بالعبَيطِ لِضَيْفَنا قَبْلَ العِيالِ ونَطْلُبُ الأوْتَارَا

وقد صور الشعراء قبائلهم بأنها تجود وتكرم في سني القحط والمحل[2] فأفضل ما يكون الكرم في الظروف الضيقة والأزمات حيث يعز الماء والكلأ على الجميع فتجد القبيلة -قبيلة الشاعر- تقدم كل ما بوسعها لأخراج المحتاجين من هذا المأزق.

ويفخر بذلك -كما يفخر غيره- واحد من الشعراء الجاهلين حيث يصف قبيلته بالكرم فهم السعد والسعادة للجار والضيف والسائل والمحتاج يقول[3]:

إنا إذا غربتْ شمسٌ أو ارتفعتْ وفي مَباركها بُزْلُ المَصاعيبِ

قدَ يسْعَدُ الجارُ، والضيفُ الغريبُ بنا والسائلونَ، ونُغْلي ميسَرَ النيّبِ

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل، ٧٨.

(٢) انظر الأمثلة التي تحدثت عن الكرم ضمن الدافع الاقتصادي وغيرها في شعر شعراء القبائل ومنها ديوان عامر بن الطفيل: ٤٦-٤٧. ديوان سلامة بن جندل: ١١٧. ١١٩-١١٢، ديوان حاتم الطائي: ٦٢، شعر زيد الخيل ١٦٤ ديوان الأفوه: ١٤

(٣) ديوان سلامة بن جندل : ٢٢٦-٢٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وهذا ليس بالغريب على فرسان قومه الشجعان الذين يطربون ويهتزون للكرم والعطاء ومن قوله فيهم[1]:

ترى كلّ مشبوحِ الذراعينِ ضغيمٍ يخبّ بهِ عارٍ شَواهُ، وعسولُ
أغرّ، من الفتيانِ، يهتزُّ للندى كما اهتزَ عضبٌ باليمينِ، صقيلُ

وهكذا فإن الشاعر يحاول أن يرسي قيمة الكرم بعداً اجتماعياً هاماً في قبيلته كي يسعى الجميع نحو التمسك بهذه القيمةالتي تحفظ الحياة -كماسبق واشرت - في كثيرمن الاحيان فنحن لا نغتر ونصدق بان هذه القيمة كانت موجودة بهذه الكثرة في العصر الجاهلي وإلا لما تحدث عنها الشعراء وافتخر بها الناس لأن من طبع الإنسان أن يفخر ويتغنى بما لا يمتلك في احيان كثيرة محاولة منه لسد ذلك النقص أو الأمر الذي يشعر بفقدانه. يؤكد هذا الحياة الفقيرة التي كان يعيشها العرب آنذاك -والتي وصفت عند الحديث عن الواقع الاقتصادي- التي تجعلهم يتمسكون بالمال أو الطعام إن حصلوا عليه فلا ينفقونه بالشكل الذي صوره الشعر الجاهلي والآية الكريمة التي تقول: {كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين}[2] تبطل إلى حد كبير دعواهم الدائمة بأنهم دائماً «في الجدب يقرون الضيفان المرملين والجوعى المعوزين، والعفاة الملهوفين نوقاً لحيمات ثمينات، فيحيلون جدبهم خصباً ونعيماً وجوعهم شبعاً ورياً»[3] فهي تبين أنهم لم يحرصوا على ان يرفعوا من شأن الضعيف أو على اطعام المحتاج كما يدعّون. وقوله تعالى واصفاً اياهم {وتحبون المال حباً جما}[4] يؤكد بأنهم لم يكونوا بالدرجة التي وصفوها من الكرم والسخاء، والآية الكريمة تفيد بأنهم لم يكونوا ليفرطوا بأموالهم بسهولة كما يحاول الشعر الذي قيل فخراً بهذه القيمة أن يبرزهم ولم يكونوا بالمنزلة التي وصفوها من الكرم إن الكرم لم يكن منتشراً بينهم بالقدر الذي انتشر فيه في قصائدهم الشعرية فقد كان كثير منه لا

(١) ديوان سلامة بن جندل :١٩١-١٩٢.

(٢) سورة الفجر: الآيتان (١٧-١٨).

(٣) انور ابو سويلم، المطر في الشعر الجاهلي، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٧، ٣٠.

(٤) سورة الفجر، الآية (٢٠).

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يتجاوز الادعاء، فهم دائماً يدعون الكرم والجود «ولكن هذا الادعاء لم يكن دائماً صادقاً، لان المحل والقحط يجعل النفوس أشد حرصاً واقتصاداً وخوفاً من الضبع التي تأكل الزرع والضرع»[1]

ويبقى أن نقول أن كرمهم المبالغ به من حيث الكثرة ومن حيث الوقت والظرف الذي يكرمون به فلا يكون الكرم إلا في الوقت العصيب الشديد والسنين الضنكة حيث يتمنى الإنسان منهم أن يجد ما يسد رمقه أن ذلك الكرم ما كان إلا قيمة يسعى الشاعر إلى تحققها وانتشارها كبقية القيم التي سأتحدث عنها لاحقاً - من خلال التغني بوفرتها في القبيلة في شعره وقد اشار عبد العزيز شحادة في دراسته للذات والقبيلة في الشعر الجاهلي إلى أن صفة الكرم التي يصف بها الشاعر قبيلته مبالغ فيها وتعطي صورة مثالية للقبيلة يسعى الشاعر لئن تكون[2] وإلا لجاز للمرء أن يتساءل «إذا كانت هذه القبائل جميعاً ذات غنى وفير يدّل عليه سخاؤها الوافر والجياع الذين يأتون، فمن أين جاءوا؟»[3] والذي يؤكد أن الكرم لم يكن منتشراً كما يظهر الشعر وأن الشاعر كان يكثرمن الحديث عنه لانه يفتقده ويتمناه في القبيلة، قول عباس بيومي «حرص العربي على الافتخار بالكرم والتمدح به يدل على أنه أمر مرغوب فيه ولا يتحقق إلا لماماً، ولو كان الكرم سائداً، أو كثيراً ما حرص العربي عليه هذا الحرص وما أكثروا من المدح به إذ الأمر المعتاد لا يمدح به الرجل، وأنما يمدح بما يخالف الواقع المشاهد»[4].

وهكذا يتبين أن الوظيفة الاجتماعية التي يؤديها ذلك الشعر الذي يفخر به الشاعر بكرم قبيلته كانت ذات ابعاد ثلاثة في الاقل:

---

(١) المطر في الشعر الجاهلي: ٣٠.

(٢) انظر:عبد العزيز محمد شحادة الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي (رسالةدكتوراة مخطوطة) جامعة عين شمس ١٩٩٠، ٢٤٩.

(٣) المصدر السابق: ٢٢٩.

(٤) الهجاء الجاهلي: ١٠١، ١٠٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الأول: أنه يرسم صورة نموذجية يتمناها الشاعر للقبيلة ويدعوها كي تسعى إلى تحقيقها لأن في تحقيقها شكلاً من أشكال حفظ الحياة وضمانتها للقبيلة ولأفرادها وللشاعر كاحد افرادها.

الثاني: ايهام القبائل او اقناعها بكرم قبيلته من خلال ذلك الشعر الذي يؤكد كرمها وسخاءها ومسارعتها في مدّ يدّ العون لمن يحتاجها من القبائل الأخرى الأمر الذي يجعل امكانية وقوف هذه القبائل إلى جانبها وبذل العطاء لها إذا ما تقلبت عليها الظروف وجار عليها الزمن أمراً ممكناً.

والثالث: أشاعة روح التعاون بين أفراد القبيلة من خلال الحث على التمسك بقيمة الكرم وممارستها حقيقة بين أفراد القبيلةالأمر الذي يجعلهم دائماً مهيأين لمساعدة بعضهم والوقوف إلى جانب من يحتاج منهم إذا ما حلت بأحدهم ضائقة أو شدة في سني القحط و الجدب بينما كان غيره محتاطاً لمثل هذا الحال ويملك ما يمكن بذله والمساعدة به وكل فرد من أفراد القبيلة قد يقع في ظرف صعب شديد كما أن كل قبيلة قد يحدث لها ذلك.

ب. القيم الاجتماعية الأخرى

أما عن القيم الاجتماعية الأخرى التي حرصت عليها القبيلة من إغاثة الملهوف ونجدة المكروب والعون وحفظ الجوار والوفاء بالعهد وعدم الغدر وما ذلك من خصال يمكن أن تنضوي تحت معنى «المروءة» فقد كانت خصالاً لا بدّ منها في كل سيد وانسان يعتز بنفسه أو قبيلة تعتز بمنعتها وقوتها وقد دعا ذلك الكثيرمن الشعراء إلى الفخر بهذه الصفات في قبائلهم .

وهذا عمرو بن معد يكرب يفخر بقومه حيث أنهم يسارعون إلى النجدة إذا سمعوا صوت المستغيث يقول(١):

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم من بين ملجم مُهـره أو سامـع

---

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب: ١٩٤

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وسلامة بن جندل يتحدث عن نجدة قبيلته لصريخ الرباب -وهي من تميم بن أد- وتداركهم وتخليصهم من العدو- يقول[1]:

غداةَ أتانا صريخُ الرِّبابِ ... ولم يكُ يصلُحُ خِذلانُها

صريخٌ لضبةَ، يومَ الهُذَيلِ ... وضبَّةُ تُردَفُ نسوانُها

تَدارَكَهُمْ، والضُّحى غدوةً، ... خناذيذُ تشعَلُ أعطانُها

بأسدٍ من الغِرْزِ، غُلْبِ الرقابِ ... مَصاليتَ، لم يُخشَ ادهانُها

ويقول في مكان آخر:[2]

كنّا إذا أتانا صارخٌ فزِعٌ ... كان الصُّراخُ له قرعُ الظنابيبِ

فهم دائماً يسارعون إلى الغوث

والطفيل الغنوي ايضاً يفخر بنجدة قومه واغاثتهم للأقوام الأخرى:[3]

وَفَرنا لأقوامٍ بَنِيهِمْ ومَالَهُمْ ... ولَوْلاَ القِيَادُ المُستَتِبُّ لأَعزَبُوا

بِحَيٍّ إذا قِيلَ اركبُوا لم يَقُل لَهُمْ ... عَوَاوِيرُ يَخْشَونَ الرَّدَى أيْنَ يُركَبُ

وَلاكِنَّ يُجَابُ المُستغِيثُ وَخَيلُهُمْ ... عَليها حُمَاةٌ بالمَنِيَّةِ تضْرِبُ

والجاهليون قد يفدون المكروب بانفسهم ويدافعون عنه عند الضرورة بكل ما يملكون من قوة يقول الشاعر:[4]

وقد نُقدِمُ في الهيجاء إذ لَقِحَتْ ... يومَ الحفاظِ، نحمي كلَّ مكروبِ

---

(١) ديوان سلامة بن جندل: ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٥.

(٣) ديوان الطفيل الغنوي: ٤٢.

(٤) ديوان سلامة بن جندل ٢٣١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويقول آخر في اغاثتهم لانسان عابر سبيل ومساعدتهم له[1]:

وأشعثَ يزهاهُ النُّبوحُ مُدفَّعٍ عَنِ الزَّادِ ممَّن حَلَّفَ الدَّهرُ مُحثِلِ
أتانا فلَمْ نَدْفَعهُ إذ جاءَ طارقاً وقُلْنا لَهُ قَدْ طالَ طُولُك فانزِلِ
هَنَأْنا فلَمْ نَمْنُنْ عليه طَعَامَنا فَراحَ يُبارِي كُلَّ رأسٍ مرَجَّلِ
فأبَّلَ، واستَرخَى بِهِ الشَّأنُ بَعْدَمَا أساف ولولا سعينا لم يؤبلِ

ويقول عامربن الطفيل في اعزازهم الذليل واذلالهم المتكبر بعد معركة حامية الوطيس:[2]

فَذَلَّ الأبلغُ المُختَالُ إنّا نُخَيِّسُهُ وعَزَّ بِنَا الذَّليلُ

ويقول سلامة بن جندل:[3]

قومٌ إذا صَرَّحَتْ كُحْلٌ، بيوتَهُمَ عِزَّ الذليل، ومأوى كلِ قُرضوبِ

وعمرو بن كلثوم يفخر بقبيلته التي تحمي الجار وتدفع عنه أي عدوان[4]:

إذا عماد الحيّ خرت عن الأحفاض نمنع من يلينا

والأفوه الأودي يفخر بقومه «أود» الذين يقومون بحماية جيرانهم من أي شدة وبأس يتعرضون له. يقول:[5]

يقون في الجحرةِ وجيرانهم بالمالِ والأنفسِ مِنْ كلِّ بؤسِ

---

(١) ديوان الطفيل الغنوي: ٧٠، ٧١.

(٢) ديوان عامر بن الطفيل: ٩٥.

(٣) ديوان سلامة بن جندل: ١١٧.

(٤) شرح المعلقات العشر: ٢١٠

(٥) ديوان الأفوه الأودي: ١٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما عن الوفاء بالعهد والالتزام بالوعد فهي من القيم الجاهلية التي افتخر الشاعر بوجودها في قبيلته. يقول:[1]

ونوجد نحن أمنعهم ذماراً وأوفاهم إذا عقدوا يمينا

وحين يعدد بشر بن أبي خازم خصال قبيلته وصفات قومه يجعل الوفاء في مقدمة هذه الخصال والصفات. يقول[2]:

هُمْ فضَلُوا بِخَلاتٍ كِرامٍ مَعَدّاً حيْثُما حَلُّوا وَسَارُوا

فَمِنْهُنَّ الوَفاءُ إذا عَقَدْنا، وأيسَارٌ إذا حُبَّ القُتَارُ

أما عن مضاء العزيمة والصبر على الشدائد وتحمل المكاره وطيب الخلق فقد كانت من قيم المجتمع الجاهلي التي افتخر الشعراء بها.

يقول قيس بن الخطيم مفتخراً بتجلدهم وتحملهم في موضع القتال رغم شدة الموقف وصعوبته يقول[3]:

ومأقط خسف أقمنا بـــه على ضنكه خشية أن نلاما

وفي مكان آخر يصف كرم ابناء قبيلته وشجاعتهم وتحملهم لشدائد المعركة[4]:

ونارٍ يُقَصّرُ عنهَا الدَّنِـ ـيُّ آخِرَ لَيْلٍ صَلِينا بهـا

ومَلْمُومةٍ كصَفَاةِ المَسِيـ ـلِ دارتْ رحَاها ودَرْنا بها

مَشَينَا إليها كَجُربِ الجِما لِ باقي الهِنَاء بأقْرابِهـا

---

(١) شرح المعلقات العشر: ٢١٦.

(٢) ديوان بشر بن ابي خازم: ٧٢.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم: ٢١٤.

(٤) المصدر نفسه:١٣٥-١٣٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويصف عمرو بن كلثوم شدة صبرهم في المصائب وثبت اقدامهم على المكاره وقوة جانبهم وثبات عزيمتهم من خلال قوله[1]:

مَعَاذَ الإلَهِ أنْ تنوحَ نساؤُنـا على هالِكٍ أو نَضِجَّ منَ القَتْلِ

والقدرة ذاتها على التحمل والتجلد للمصاب نجدها عند قوم عمرو بن يكرب حيث يفتخر بذلك قائلاً[2].

وإنّـا لقَومٌ لا تفيض دموعنـا على هالكٍ منّا وإنْ قصُم الظَّهرُ

لقد كان المجد والشرف والعزة ما يتبعها من أصالة النسب وطيب الحسب وما يترتب عليها من السيادة والقيادة التي تتطلب الحزم وسداد الرأي وحصافة من أهم القيم التي سعت القبيلة والشاعر لتحقيقها والحفاظ عليها وقد كانت مجال فخر واسع لان فيها معالم القوة والشموخ. وعمرو بن كلثوم من أشهر من تفاخر بمجد قبيلته وشرفها المتوارث الذي يذودون عنه أبداً[3]:

ورِثْنا المَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَـدٌّ نُطاعِنُ دُونَه حتَّى يبِينـا
ورِثْنا مَجْدَ علقَمَةَ بنِ سَيْفٍ أباحَ لَنا حُصُوْنَ المجدِ دِينـا

وبشر بن أبي خازم يفخر بمجد قبيلته القديم وبجسبها الخالص حيث يقول[4]:

أبى لبني خُزَيْمَةَ أنَّ فيهـمْ قَدِيمَ المَجْدِ، وَالحَسَبُ النضارُ

وهو يفخر بأن عزة قومه لا تضعف ولا تلين ابداً فيقول:[5]

فَيا لَلنّاسِ إنَّ قنَاةَ قَوْمِـي أبَتْ بِثِقافِهـا إلاّ انقِلابَـا
هُمُ جَدَعُوا الأنُوفَ فأوْعَبُوها وهُمْ تَرَكوا بَنِي سَعدٍ يَبَابَـا

---

(١) ديون الحماسة: ١٨٣/١.

(٢) ديوان عمرو بن معد يكرب: ١٩٣.

(٣) شرح المعلقات العشر: ٢١٠، ٢١٥.

(٤) ديوان بشر بن أبي خازم: ٧٢.

(٥) المصدر نفسه: ٢٩، ٣٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والأفوه الأودي يفخر ايضاً بما فخر به بشر بن أبي خازم وعمرو بن كلثوم فيقول:[1]

لنا بالدحرضين محل مجداً وأحساب مؤثلة طماح

ويقول:[2]

نحن اودّ ولأود سنّة شرف ليس لنا عنه قَصارُ

سنّة أورثناها مَذحجٌ قبل أن ينُسب للناس نزارُ

اما عامر بن الطفيل فيرى ان لا أحدا يبلغ مجد قومه وقبيلته ابدا:[3]

وَلَم أرَ قَوْماً يرْفَعُونَ لِواءَهُمْ لغايَتِنا في المَجْدِ مِمّنْ تكَلمّا

وفي مكان اخر يقول بان مجدهم مجد ارتفع إلى السماء وملأها:[4]

وقدْ نالَ آفاق السّماواتِ مجْدُنا لنَا الصّحوُ من آفاقِها وغُيُومُها

وسلامة بن جندل يفخر بان قومه سبقوا غيرهم إلى المجد فيقول[5]:

ومَجْدُ معدٍّ كانَ فوقَ علايَةٍ سبقنا به إذ يرتقُونَ، ونرتقي

فعزة قومه ومجدهم بحر قد عمّ الصحراء الواسعة[6]:

فَعزّتنُا ليستْ بشعبٍ بحرّةٍ ولكنّها بحرٌ بصَحراء فيهَقِ

ولا غرو فهم ينتسبون إلى تميم وحسبهم خالص لا تشوبه شائبه:[7]

---

(١) ديوان الأفوه، ضمن كتاب الطرائف الأدبية: ٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٣.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل: ١١٦.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٥.

(٥) ديوان سلامة بن جندل: ١٨٢.

(٦) المصدر نفسه: ١٨٠.

(٧) المصدر نفسه: ١١٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

إني وجدتُ بنـي سعـدٍ يُفضلهُـمُ كُل شِهابٍ علـى الاعداء مصبـوبِ

إلى تميـمٍ حُمَاةِ الثغـرِ نسبتُهُـم وكلُّ ذي حسبٍ في الناسِ منسوبِ

وعمرو بن معد يكرب يعقد مقارنه بين قبيلته وقبيلة العدو أو (بني زياد) كما يسميهم يقول:(١)

أبني زيادٍ انتمُ فـي قومكـمْ ذَنَبٌ ونحن فروعُ اصلٍ طيِّبِ

ففي حين انّ بني زياد ذنب في قومهم وذيل وتابع تجد ان قبيلته من عليّة القوم فهم ذو حسب ونسب وأصل طيب.

ويفخر زيد الخيل بكونهم ينسبون إلى مالك والانتساب إلى مالك يعني انتساباً إلى بيت شرفٍ ومجدٍ وشهرة واسعة يقول:(٢)

دَعَواْ مالكاً ثم اتصّلنا بمالكٍ وكان ذَكا مصباحُه فتَوقّـدا

وهو يفتخر ايضاً بأن قبيلته هم على قمة الهرم من القبائل وقومه هم رؤوس الأقوام وفي ذلك دلالة سيادة وقيادة وشرف وهي تصب جميعاً في تشكيل صورة القبيلة القوية يقول:(٣)

وقومي رؤوس الناسِ والرأسُ قائدُ إذا الحرب شَبَّتَها الأكُـفُ المَساعِـرُ

وحاتم الطائي يفخر بسيادة أبناء قبيلته على قبائل غوث:(٤)

فقد عَلِمَتْ غوثٌ بأنّا سَراتَهـا، إذا أعلِمَتْ، بعدَ السَّرارِ، أُمورُها

ويقول الأفوه الأودي في هذا المجال:(٥)

نقودَ ونأبى أن نقاد ولا نَـرى لقوم علينا في مكارمهم فضلا

---

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٤٨.

(٢) شعر زيد الخيل: ٩٢.

(٣) المصدر نفسه: ١١٤.

(٤) ديوان حاتم الطائي: ٦٢.

(٥) ديوان الأفوه الاودي، ضمن كتاب الطرائف الادبية: ٢٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكما قلنا سابقاً فالمجد والشرف والسيادة والقيادة لا بد ان تلازمها حصافة في الرأي، وصواب في القول، فهذه من متطلبات العمل القيادي وقد افتخر الشعراء بذلك كثيراً ومنهم عامر بن الطفيل حيث قال:(١)

فأنَّ لَنَا حُكُومَةَ كلِّ يـَوْمٍ يبيِّنُ في مَفاصِلِهِ الصَّوابُ

فالتكافل والتكامل مطلوب حتى تسد جميع الثغر يقول سلامة بن جندل أبان فخره بالقبيلة وابنائها:(٢)

يكفُون غَائبَهُمْ، ويُقْضَى امرُهُمْ في غيرِ نقصٍ منهُمْ، وشِقَاقِ

وبشر بن أبي خازم يفخر ايضاً بانهم سديدو الرأي متكافلون، يكفي من حضر منهم من غاب يقول:(٣)

كفَيْنَا مَنْ تغيَّبَ، واستَبَحْنَا سَنَامَ الأرضِ إذ قَحَطَ القطارُ

وعندما نتكلم عن المجد والشرف والسيادة والقيادة وسداد الرأي هنا لا بد وان يسبقها جميعاً رفض لذلك وآباء وشموخ وبهذا تصبح كل هذه القيم دليل قوة القبيلة بطريقة أو بأخرى، وفي ذلك يفخر الطفيل الغنوي قائلاً:(٤)

وفينا ترَى الطُّولىَ، وكلُّ سَمَيْدَعٍ مُدرَّبُ حَرْبٍ وابْنُ كُلِّ مُدرَّبِ

طويل نجَاد السيفِ لم يَرْضَ خُطَّةً من الخَسْفِ وِرَّادٍ إلى المَوْتِ صِقعَبِ

وقوم عمرو بن كلثوم أيضاً يرفضون الذل والاهانة وقد كلفه لذلك قتل الملك عمرو بن كلثوم، كما نعلم، ولا عجب، فكل قومه يرفضون الذل ولا يتقبلونه كغيرهم من الاقوام ويقول:(٥)

إذا ما المَلْكُ سَامَ النَّاسَ خسفاً أبَيْنَا أنْ نُقِرَّ الذّلَّ فِينا

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ٢٠.

(٢) ديوان سلامة بن جندل: ١٥٤.

(٣) ديوان بشر بن ابي خازم: ٧٣.

(٤) ديوان الطفيل الغنوي: ٢٠.

(٥) شرح المعلقات العشر: ٢٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

على أي حال فإن هذه القيم كلها التي تحدثت عنها من اغاثة ونجدة وحفظ جوار ووفاء بالعهد والوعد ورفض للذل، وعزة ومنعة وصبر على الشدائد وتآزر وتكافل إلى غير ذلك من صفات لا تتأتى الا من كرم في الأصل والحسب والنسب وتعد قيماً مهمة يحاول الشاعر القبلي ان يرسيها ويجعل منها مثالاً يطمح افراد القبيلة للوصول إليه. مما يجعل القبيلة بكل افرادها تتجه نحو تحقيق هذه القيم التي تمنحها القوة والمنعة والهيبة والشرف امام القبائل الاخرى، الامر الذي يمكنها من البقاء والاستمرار.

٣- الدافع السياسي

تبين من قبل ان العلاقة بين القبائل كانت قائمة على المصلحة البحت وكانت المصلحة هي التي توجه علاقه القبيلة بغيرها من القبائل فاذا استدعت مصلحة القبيلة الاغارة على قبيلة اخرى فانه لا راد عن هذه الاغاره واذا استدعت مصلحة القبيلة التحالف مع قبيلة أخرى فانها لا تتوانى عن اتخاذ كافة التدابير لاحراز ذلك التحالف.

وقد انحصرت علاقة القبيلة بالقبائل الاخرى في اتجاهين لا ثالث لهما العداء والنزاع والقتال او التحالف والموالاة.

وقد كان لشعر القبيله دورٌ بارزٌ في تشكيل هذ العلاقة وبلورتها والتأثير على الاعداء من خلال التنويه بشأن القبيلة ومقدرتها ورفعتها من ناحية، وازدراء الاعداء والحط من شأنهم من ناحية أخرى. فقد كان النزاع قائماً ودائما بين القبيلة واعدائها، الامر الذي يجعل شاعرها يصور بطولاتها وغاراتها ومعاركها ورفعة شأن افرادها وتفوقهم على الاعداء واقدامهم على الموت في ساحات الوغى وتحقيقهم للانتصارات المتتالية وقهرهم الاعداء ومكارم اخلاقهم وصفاء شمائلهم التي تردهم دوماً الى صفة الشجاعة والاقدام فبها تتحق كل اهداف القبيلة السياسية. ومن ذلك الشعر سأعرض مثالاً واحداً لان الامثلة على هذا النوع من الفخر أكثر من أن تعد فهي من اكثر الصور الفخرية بالقبيلة. يقول الشاعر[1]:

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل، ١٠٨-١١٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تَرَكْنَا مَذحِجاً كحديثِ أمسٍ وأرْحَبَ إذْ تكَفِّنهُمْ فِنَامَا

وبِعْنَا شاكِراً بتِلادِ عَكٍّ ولاقَى مَنسِرٌ منا جُذَامَا

وطحَطَحْنَا شَنُوءَةَ كلُّ أوبٍ ولاقَتْ حِمْيَرٌ مِنّا غَرامَا

وهَمْدانُ هُنالِكَ ما أبَالي أحَرْباً أصْبَحُوا لي امْ سَلامَا

ولاقيْنَا بأبطَحِ ذي زرُودٍ بَني شَيْبَانَ فالتهَمُوا التِهامَا

وحَيّاً مِن بَني اسدٍ تَرَكْنَا نِساءهُمُ مُسَلَّبةً أيَامَى

وقتَّلْنَا سَرَاتُهمُ جِهَاراً واشبعنا الضَّباع خُصىً عِظامَا

وقَتَّلْنا حَنيفَةَ في قُرَاها وأفنى غزونا حَلَماً وحَامَا

قَتَلْنَا كبْشَهُمْ فنَجَوْا شلالاً كمَا نَفَّرتَ بالطَّرْدِ النَّعَامَا

وَجئْنَا بالنِّساءِ مُرْدَفَاتٍ وأذوادٍ فكُنَّ لنَا طَعَامَا

وبَيتْنَا زُبَيْداً بَعْدَ هَدْءٍ فصَبَّحُ دارَهُمْ لجَباً لُهَامَا

وَقدْ نِلْنَا لعَبْدِ القَيسِ سَبْياً مِنَ البَحْرينِ يُقتسَمُ اقتِسامَا

ولاقَيْنَا بِذي نَجَبٍ حُصَيْناً فأهْلَكْنَاَ بمقْلَتِنا أسَامَاَ

وأفْلتَنَا على الحومانِ قَيْسٌ واسْلَمَ عِرسَهُ ثُمَّ اسْتَقامَا

وآلُ الجُوْنِ قَدْ سارُوا إلَيْنَا غداةَ الشِّعبِ فاصْطلَمُوا اصْطِلامَا

قَتَلْنَا مِنْهُمُ مائَةً بِشَيْخٍ وصَفَّدْنَاهُمُ عُصَباً قِيَامَا

ويَوْمَ الشِّعبِ لاقَيْنَا لقيطاً كسَونَاَ رَأسَهُ عضْباً حُسامَا

أسَرْنَا حاجِباً فتَوَى أسِيراً ولَمْ تترك لأسْرتِه سَوَامَا

وجَمْعَ بَني تميمٍ قَدْ تَرَكْنَا نُبَيِّن سَواعِداً مِنهُمْ وهَامَا

وكانَ لَهُمْ بهَا يَوْمٌ طَويلٌ كمَا أجَّجْت باللهَبِ الضِرَامَا

بدارِهِمُ تَرَكْنَا يَوْمَ نَحْسٍ لَدَى أوطانِهِم تُسْقَى السِّمَامَا

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فإنْ لا يُرهِــقِ الحدَثَانُ نَفسْـــي يُؤدّوا الخَــرْجَ لــي عاماً فَعَامَــا

يُــؤدوّة علــى رَغــْمٍ صَغَــاراً ويُعْطُونَــا المقَادَةَ والزّمَامَــــا

ويتضح من الابيات السابقة كيف يكون الشاعر القبلي وشعره صحيفة القبيلة السياسية على حد تعبيرهم[1]، وكيف تكون وظيفة الشعر الاجتماعية منصبة على الناحية السياسية احياناً فلو تساءلنا ما الوظيفة التي يقوم بها مثل هذا الشعر وهو ليس بحاجة لتفسير إذ انه يصور القبيلة في قمة بطولتها، وقوتها التي حققت لها كل تلك الانتصارات ومكنتها من الفتك بالاعداء وتقتيلهم واسرهم والتنكيل بهم.

لا شك في ان وظيفة مثل هذا الشعر هي ذات ابعاد مختلفة منها ما يتعلق بقبيلة الشاعر نفسها ومنها ما يتعلق بالقبيلة او القبائل المعادية. ففيما يتعلق بالقبيلة نفسها فإن تسجيل مثل هذا الشعر يذكي الروح المعنوية لدى افراد القبيلة ويعيد لهم الثقة بأنفسهم في كل وقت او ظرف قد تتزعزع به تلك الثقة فيرسخ في اذهانهم ان القبيلة لا تقبل الهزيمة ابداً كيف وقد سجلت كل هذه الانتصارات وقامت بتلك الغارات الناجحة كلها.

وفيما يتعلق بالقبائل المعادية فلا بد ان يكون لمثل هذا الشعر اثره البين في درء عدوانها ودفع شرها. فحين تعلم القبائل الاخرى التي ربما تطمع بقبيلة الشاعر بمثل هذه القوة للقبيلة وبمثل تلك الانتصارات المتكررة وذلك القتل والفتك الذي اعملته بالاعداء فلا بد انها ستعيد التفكير بالعدوان على قبيلة بتلك القوة والقدرة والبطش الذي لا يقاوم. كما ان مثل هذه الصورة للقبيلة تطمع القبائل الآخرى بمحالفتها وموالاتها وقد كانت التحالفات وما ينطوي عليها من صلات سلمية بين القبيلة والقبائل الأخرى دافعاً لفخر الشعراء وتفاخرهم اما بقوتهم التي ترهب العدو وترغب بعض القبائل بالمحالفة، او بقوة حلفائهم التي من شأنها ايضاً دفع عدوان القبائل المعادية وجورها او بمراعاتها للذمم والعهود التي عقدت بينهم وبين القبائل المحالفة، ومن ذلك فخر بشر بن أبي خازم بسرعة اجابة قبيلتهم للقبيلة المحالفة[2]

---

(١) انظر: صلاح عبدالصبور، قراءة جديدة لشعرنا القديم، دار النجاح بيروت، ١٩٧٣، ١١.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم: ١٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

أجَبْنا بني سَعدِ بْنِ ضَبَّةَ اذ دَعوْا وللّٰهِ مَولَى دَعْوةٍ لا يُجِيبُها!

ومثل ذلك عند سلامة بن جندل حيث يفخر بقومه وقبيلته الذين لا يتوانون عن الغوث والنجدة:[1]

غداة أتانا صريخُ الربّابِ ولم يكُ يَصلُحُ خِذلانها
صريخٌ لضَبَّة، يوم الهُذَيلِ وضَبَّةُ تُردَف نِسوانُها
تداركهم، والضّحى غدوةً، خناذيذُ تُشعَلُ أعطانُها

لقد وجد نظام التحالف من اجل تدعيم القوة وتعزيز الحماية في تلك البيئة التي تجعل القبيلة معرضة للخطر في كل لحظة. ولذلك نجد الشاعر يفخر بقوة القبيلة او القبائل المحالفة لهم لان قوتها من قوتهم او العكس ومنه قول الشاعر مهدداً الاعداء بأحلاف قبيلته الذين لا يخطئون الطريق الى النصر[2]

ستَحْدرُكُمْ عبسٌ علينا وعامِرٌ وتَرفَعُنَا بَكرٌ إليكمْ وتَغلِبُ
فَيلْتَقُّ جِذمانا ولا شيء بَيْنَنَا وبَيْنكُمُ إلاّ الصّريحُ المهذَّبُ
وينصُرنا قومٌ غضابٌ عليكمٌ متَى نَدْعُهم يوماً إلى النّصر يركبُوا
اشارَ بهمْ لَمْعَ الأصمّ فأقبَلُوا عرانينَ لا يأتيهِ للنّصرِ مُجْلِبُ

ويقول قيس بن الخطيم مفتخراً بقوتها وبقوة حلفائهم الذين يحملون الحرب عنهم:[3]

وتَحمِلُ حَرْبَهمُ عَنّا قُرَيْشٌ كأنْ بنَانَهمْ تَفْرِيكُ بُسْرِ
وتُدرِكُ في الخَزَارِجِ كلّ وتْرٍ بَذمّ الكاهنَيْنِ وذمّ عَمْرِو

(١) ديوان سلامة ابن جندل: ٢٥٨.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم: ٩-١٠.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم: ١٨٢-١٨٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويعلن في مكان آخر عن محالفته لذبيان وعبس ويفخر برفعه الظلم عن المظلومين وبنجدته وفضائله لان هذه هي الصفات التي يجب ان يتحلى بها من يريد العيش مع الجماعة ويكون قائداً مثله(١):

لعَمْري لقَدْ حالفَتْ ذُبْيَانَ كلُهـّا ... وعَبْساً على ما في الأديمِ الممـدَّدِ
واقْبلَتْ من أرضِ الحجازِ بحَلْبَةٍ ... تَغَمُّ الفضَاءَ كالقَطا المُتَبَدِّدِ
تَحَمَّلْتُ ما كانتْ مزينَةُ تشْتَكي ... منَ الظُّلْمِ في الأحلافِ حملَ التَغمّدِ

وفي شعر لزيد الخيل نجده يهيب بقوم حاتم الطائي ان يتبؤوا حيث يشاؤون من مراعي القبيلة واراضيها الخصبة يقول(٢):

منَعْنا بينَ رَشْقَ إلى المطَالي ... بحـيٍّ، ذي مُكابرةٍ، عَنودِ
وحَلّت سنبسٌ طَلْحَ العيَارى ... وقد رغَبت بنصرِ بني لبَيدِ
فسيري، يا عديُّ، ولا تُراعي ... فحلّي بين كَرْمَلَ فالوَحيدِ
إلى جزعِ الدّواهي، ذاكَ منكم ... مَغانٍ، فالخمائلِ فالصّعيدِ
وسيري إذ أردتِ إلى سُمَيرٍ ... فعودي بالسّوائل والعُهودِ
وحُلّوا حيث ورّثكم عدىٌّ ... مَرادَ الخَيْلِ من ثَمْدِ الوُرودِ

وقد تتوتر العلاقة بين قبيلتين متحالفتين ... والطفيل الغنوي يطلب من بني جعفر ان لا ينكروا وقوف قومه وقبيلته الى جانبهم وحمايتهم لهم مازجاً ذلك الطلب بالفخر بقومه يقول(٣):

بَني جَعفَرٍ لاَ تكفُرُوا حُسْنَ سَعْيِنَا ... واُثْنُوا بِحُسْنِ القَوْلِ في كُلِّ مَحْفِلِ
وَلاَ تكْفُرُوا في النَّائِباتِ بَلاءَنَا ... اذا مَسَّكُمْ مِنْهَا العَدُوّ بِكَلْكَلِ

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ١٢٧-١٢٨.

(٢) شعر زيد الخيل: ١٠١.

(٣) ديوان الطفيل الغنوي: ٦٦-٦٧..

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فَنَحْنُ مَنَعْنَا يَوْمَ حِرْسٍ نِساءَكُمْ غَدَاةَ دَعَانَا عَامِرٌ غَيْرَ مُؤْتَلِي
دَعَا دَعْوَةً يَالَ الجُلَيْحَاءِ بَعْدَمَا رَأَيْ عِرْضَ دَهْمٍ صَرَّعَ السِّرْبَ مُثْعَلِ
فَقَالَ ارْكَبُوا أَنْتُمْ حُمَاةٌ لِمِثْلِهَا فَطِرْنَا إِلَى مَقْصُورَةٍ لَمْ تُعَبَّلِ
فَجاءَت بِفُرْسَانِ الصَّبَاحِ عَوَابِساً سَرَاعاً إِلَى الهَيْجَا مَعاً غَيْرَ عُزَّلِ
فَأَحْمَشَ أَوْلاَهُمْ وَأَلْحَقَ سِرْبَهُمْ فَوَارِسِ مِنَّا بِالقَنَا المُتَنَخَّلِ
فَحَامَى مَحَامِينَا وَطَرَّفَ عَنْهُمُ عَصَائِبُ مِنَّا فِي الوَغَى لَمْ تُهَلَّلِ
رَدَدْنَا السَّبَايَا مِن نفيل وجعفر وهن حبالى من مخفء ومثقلِ

وقد كان التوتر يتطور بين بعض الاحلاف لدرجة ان ينتهي الحلف بالعداوة. فنجد بشر بن أبي خازم مثلاً يحذر بني سعد ويهددهم وقد كانوا حلفائهم وقد وصلت الامور حد الخلاف الفاصل بينهما بل حد الاقتتال والتنازع يقول:(١)

أَلاَ أَبْلِغْ بَنِي سَعْدٍ رَسُولاً وَمَوْلاَهُم، فَقَدْ حُلِبَتْ صُرَامُ
نَسُومُكُمُ الرَّشَادَ، وَنَحْنُ قَوْمٌ لِتَارِكِ وُدِّنَا فِي الحَرْبِ ذَامُ
فَإِذَا صَفِرَتْ عِبَابُ الوُدِّ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكُ بَيْنَنَا فِيهَا ذِمَامُ
فَإِنَّ الجِزْعَ جِزْعَ عَرِيتِنَاتٍ وَبَرْقَةَ عَيْهَلٍ مِنْكُمْ حَرَامُ

وديناميكية الاحلاف امرٌ طبيعي حاصل في البيئة الجاهلية القائمة على الاقتتال والصراع على اساسيات الحياة. فنجد الشاعر ايضاً يحدثنا عن جذام وقد كانوا حلفاءهم وتحولت بهم الحال ليصبحوا اعداءهم فينفوهم ويبعدوهم بعد ان كانوا ينافحون عنهم ويدافعون(٢):

أَلَمْ تَرَ أَنَّ طُولَ الدَّهْرِ يُسْلِي وَيُنْسِي مِثْلَمَا نُسِيَتْ جُذَامُ
وَكَانُوا قَوْمَنَا، فَبَغَوْا عَلَيْنَا فَسُقْنَاهُمْ إِلَى البَلَدِ الشَّآمِي

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ٢٠٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٥-٢٠٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وكُنَّا دونَهُمْ حِصْناً حَصِيناً لَنَا الرَّأسُ المُقَدَّمُ والسَّنَامُ

وقالوا: لَنْ تُقِيمِوا إن ظَعَنَّا فكَانَ لنَا وقَدْ ظَعَنُوا مُقَامُ

وهكذا فانه يمكن القول ان التحالفات وجدت بحكم طبيعة الحياة الجاهلية التي يتنازع فيها الجميع من اجل البقاء. وبما ان البقاء للأقوى ضمن شريعة تلك الحياة وتلك البيئة فان القبيلة الضعيفة كانت تتحالف مع قبيلة قوية لتحميها وتدفع عنها عدوان القبائل الآخرى او ربما عدوان هذه القبيلة التي تحالفت معها. او ان قبيلة لا بأس بقوتها ولكنها امام الاحساس بخطر يتهددها فانها تطلب التحالف مع قبيلة قوية او اكثر لتزيد من قوتها وهيبتها امام القبائل الأخرى، وربما تجمع بين القبيلتين المتحالفتين مصالح مشتركة تدفعهما لهذا التحالف.

وباختصار فانه يمكن القول ان تلك التحالفات كانت بشكلٍ عام طلباً للامن وجلباً للمنافع ودفعاً للظلم والعدوان ودرءاً للمصائب وجاء شعر الفخر في احد وجوه يخدم القبيلة من الناحية السياسية في هذا المجال وبالأسلوب الذي اوضحناه.

٤. الدافع النفسي

اشرنا في الفصل الثاني من الدراسة الى ان القبيلة كانت أحد اشكال الجماعات المغلقة وقد درس علم النفس الاجتماعي ظاهرة الجماعات المغلقة وحللها جيداً فهي «وليدة الاحساس بالتهديد الخارجي، اكان مصدره بشرياً ام طبيعياً. ينقسم العالم في هذه الحالة الى عاملين متناقضين تماماً: الخارج والداخل. اما الخارج فهو العدو ومصدر الخطر والشر، والعلاقة معه عدائية اضطهادية والموقف منه اما انسحابي تجنبي او تهجمي تدميري. اما الداخل فهو الخير كله، وهو مصدر الامن والشعور بالانتماء مصدر الهوية الذاتية وهو بالتالي المرجع والملاذ[1]».

وعليه يمكن تفسير شعر الفخر القبلي فبعد قراءته جيداً يمكن القول ان ذلك الشعر في احد وجوهه ما قيل إلاّ مواجهة للتحديات التي كانت تهدد القبيلة والفرد على حدٍ سواء. القبيلة كجماعة مغلقة، والفرد كعنصر في هذه القبيلة.

(١) التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الانسان المقهور: ١٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فحين يفخر الشاعر نجد من خلال اللوحة الفخرية نفسها ان القبيلة تكون بحالة خطر مهددة بوجودها وكيانها من قبل الاعداء. ونجد ان هؤلاء الاعداد يشكلون قوة طاغية قد تجعل الموت المحقق مصير هذه القبيلة من خلال القتل والابادة في الغزو، او من خلال اجلائها عن مواطنها التي تنعم بها بنعمتي الكلأ والماء، اضافة الي الاستقرار والاطمئنان في تلك المواطن.

ومن هنا يمكن القول بأن حس الخوف الجماعي من الخطر المتوقع من القبيلة المعادية هو الدافع النفسي الاول لقول شعر الفخر القبلي. فتجد معظم شعر الفخر يقال ازاء تهديد او وعيد او خطر مداهم من قبيلة معادية فما ان تحس القبيلة ان هناك خطراً يهددها حتى تنبري له مفاخرة متحدية مظهرة شعورها بالقوة والعظمة مخفية وراءه ذلك الشعور بالخوف والضعف امام الخطر في سبيل مواجهة ذلك الخطر الذي لا مجال لمواجهته الا بالقوة او بالتظاهر بها ومن الامثلة على شعر الفخر الذي قيل في مواجهة الخطر المتوقع قول قيس بن الخطيم:(١)

وإنْ تَغدوَ بنا غَطَفانَ نَرْدِفْ نِسَاءَهُمُ ونَقْتُلْ كُلَّ صَقْرِ
فَنَحْنُ النّازِلون على المَنَايَا ونَحْنُ الآخِذُونَ بِكُلِّ ثَغْرِ

اما الخطر المتوقع مداهمته للقبيلة فهم بنو غطفان. وما ان احس شاعر القبيلة بهذا الخطر حتى كانت له ردة فعل مباشرة عنده وعند قبيلته. فيقرر ويخبر ويعلن بانه ان ارادتهم غطفان بشر فانهم تجاه ذلك لن يتوانوا عن سبي نسائهم وقتل فرسانهم وسبي النساء وقتل الفرسان يعني انهم سيشنون الحرب عليهم قبل ان يفعلوا هم ويبدو احساس الشاعر بقوة غطفان واضحاً من خلال وصفه رجالهم وفرسانهم بالصقور، ولكنه يشعر بني غطفان بانهم اكثر قوة اذا يتغلبون على هذه الصقور ويردونها مقتوله، فاذا كان فرسان غطفان صقوراً واستطاعوا هم ابادتهم وقتلهم فان هذا يعطي معنى القوة المضاعفة والشجاعة الفذة لقبيلة الشاعر مما يؤكد انها تستطيع التصدي لاي عدوان وسيكون النصر حليفها اما السبي والقتل فمن نصيب من يريدها بشر او يفكر بالاغارة عليها او غزوها. وتبدو هذه النتيجة

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ١٨٦-١٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

طبيعية من خلال الحقيقة التي يخبر بها في البيت الثاني إذا انهم لا يرهبون الموت بل يحطون به ويطلبونه اينما كان لانهم على قدر من الشجاعة تؤهلهم لذلك فيبدو من الطبيعي ايضاً ان يأخذوا كل ثغر يريدونه ويحلون به عنوة.

وكأن شعره يقول والحال كهذه، ونحن قوم ننزل على المنايا ولا نرهب ساحات الوغى او نهابها نحل بكل ثغر نطلبه وننتصر على كل قوم يريدون بنا الأذى ونقتل ابطالهم وفرسانهم فمن المستحسن ان لا يقترب بنو غطفان منا وإلاّ كان مصيرهم الهزيمة والسبي والقتل.

إذن فالفخر هنا جاء محاولة لتلافي الخطر الذي قد يداهمهم في اي لحظة، وذلك بوصف وتصوير قوتهم وبطشهم، واقدامهم وشجاعتهم، فنحن نتوقع ان كل هذه القوة جاءت موازية لمقدار الخطر الذي يتهددهم والاحساس به من قبل الشاعر وقبيلته لعل العازمين على قتالهم يرتدون حين يستشعرون ان لديهم كل هذه القوة والقدرة على المقاومة لا بل على النصر.

ومن الامثلة الشعرية في شعر القبيلة الذي جاء نتيجة الاحساس بالخطر او التهديد الخارجي قول زيد الخيل حين احس ان بني عامر كانوا يتوعدونهم بغزو وقتال حيث «كانت التحديات والغزوات ما بين عامر وطي سجالاً»[1] فقال:[2]

ونُبِّئْتُ أنْ ابناً لشَيْمَاء هُهنا ... تغنّى بنا سكرانَ او متُساكِرَا
وإنّ حَوالي فردةٍ فعُناصِرٍ ... فكُتْلةَ حيّاً يا ابْنَ شَيْمَا كَراكِرَا
ونحن ملأْنا جَوَّ مَوْقِقَ بعدكم ... بَني شَمَجَى خطّيّةً وحَوافِرَا
وكلّ كُمَيتٍ كالقناةِ طِمِرّةٍ ... وكلّ طِمِرٍّ يحسَبُ الغَوْطَ حاجِرَا

إزاء هذا الهجاء للقبيلة، والتنديد بها وتجاه هذا الخطر نجد ان الشاعر يبدأ مواجهته من خلال وصف كثرة افراد قبيلته وهذه الكثرة تتضح من خلال ذكره للاماكن الكثيرة التي تسكنها عشائر قبيلته وبطونها (فردة، عناصر، كتلة) فهي

---

(١) شعر زيد الخيل: ١١٦.

(٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

جماعة عظيمة كبيرة العدد فأني لاحد ان يهجوهم او يتحداهم او يعبث بهم، ويذكر الشاعر بني عامر بما كان لهم من وقائع في «موقق» وهي من أراضي بني عامر وكيف كان حالهم آنذاك حين ملأوا عليهم تلك الأراضي برماحهم وخيلهم المغيرة التي اسرعت واشتدت فكانت فتاكة في الاعداء.

وشاعر آخر يحاول ان يثبت للاعداء حقيقة ويؤكدها لهم وهي انه اذا انبعثت الحرب واشتعلت نيرانها فإن لهم قوة لا تقاوم يقول:(١)

وإنّا إذا ما مُمْتَرُو الحَرْبِ بَلْحْوا نُقيمُ بأسْبادِ العَرِينِ لواءهـــا
ونُلْقِحُها مَبْسُورةً ضَرْزَنيّـــةً بأسيافِنـا حتّى نَـذِلَّ إباءهـا

فالرسالة التي يوصلها مثل هذا الشعر هي: من الأفضل لكم ان لا تبعثوا الحرب فهي ان انبعثت وكان لا بد من القتال فسوف تكون الدائرة عليكم بلا شك وهذا ما يؤكده يوم «بعاث» من ايامهم السالفة.

فالشاعر يؤكد قدرة قبيلته على الحرب في حال وقوعها ووجودها كخطر يهدد كيانهم. وهو يجعل قوة القبيلة وافرة وحاضرة بشكل يغطي مساحة هذه الحرب التي يأبى غيرهم الا ان يستدروها، فاذا تواجد هذا الخطر وهو «انبعاث الحرب» فإنهم لن يتوانوا ابداً، وسوف يقيمون لواءها بفرسان لهم كالاسود، فالشاعر امام الخطر المتوقع من اضرام نار الحرب من قبل الاعداء يؤكد فاعليتهم فهم اسود يحملون لواء الحرب ويزيدونها اشتعالاً وشدة يذلون بها الاعداء بفعل اسيافهم ولاعمالها القتل فيهم، فإن أراد غيرهم إقامة الحرب فهم اهل لها وهذا ليس بالغريب ويثبته من خلال استذكار يوم بعاث حيث كان النصر حليفهم ومنعوا نساءهم بينما لم يستطع عدوهم ذلك وفي حقيقة الأمر ان الشاعر إزاء الخطر الذي قد يقع نتيجة لأصرار العدو على إذكاء نار الحرب يحاول ان يبرز قوة القبيلة وفرسانها، وانها حفية بمثل هذه الحرب، لعله من خلال اظهار هذه القوة الطاغية التي سوف تجعل النتيجة حتمية لهم يرد الاعداء عن بعث الحرب، فلربما لم يكن العدو يعلم بقوتهم وقدرتهم على

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ٥٠، ٥١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المواجهة، والتحدي ولربما يوقف الاعداء محاولتهم إدرار تلك الحرب ويتراجعون بعد علمهم بقوة قبيلة الشاعر. والدور الذي يؤديه مثل هذا الشعر يبدو واضحاً وهو دفع الحرب واخمادها قبل اشتعالها ورد عدوان العدو قبل وقوعه كما هو الحال في المثال الذي سيأتي ذكره فربما كان العدو يهدد القبيلة في مراعيها واراضيها يريد الغزو وحيازة تلك المراعي والأراضي فنجد شعر الفخر يحاول ايقاف مثل هذا العدوان الذي يواجههم من خلال اظهار قوة قبيلته وتذكير الاعداء بما اعملوا بهم من قتل في الوقائع الماضية يقول:(١)

إنَّ الفضَاءَ لنا فلا تَمشُوا بـــهِ أبــداً بعَالِيـــةٍ ولا بذَنُـــوبِ
وتَفقّدوا تسعِينَ مـن سَرَواتِكُـمْ أشبَاهُ نخلٍ صُرِعَـتْ لِجنُـوبِ
وسَلوا صَرِيحَ الكاهِنَينِ ومالكاً عن مَن لكَمْ من دراعِ ونجَيـــبِ

إذن «الفضاء» هو موضع لقبيلة الشاعر ويبدو ان بني دحي يريدون انتهاكه فيحاول الشاعر ردعهم من خلال هذا الشعر المسمى فخراً، ويطلب اليهم الابتعاد عنه، اطرافه واسفله كما هو عن وسطه واعلاه، وكمحاولة من الشاعر لإخافة العدو ولمواجهة هذا التهديد المتوقع فإنه يذكرهم بعلية قومهم ورؤسائهم الذين أردوهم قتلى من قبل، وإذا نسوا ذلك فليسألوا قريظة والنظير.

وإضافة إلى ان الشاعر يظهر فاعلية قومه وقوتهم تجاه احتمال دخول الاعداء ارض «الفضاء» التي اشار اليها فإن مما يزيد هذه الفاعلية ويبرزها بصورة اكبر، وأكثر فاعلية وتأثير سلبي على محاولة هؤلاء الاعداء الاضرار بهم ما حشده قبل ذلك من صفات سالبه في مجملها منها انهم خائنون وكاذبون في فخرهم فقد سبق قوله (ان الفضاء لنا..) قوله(٢)

أبنَي دُحَيٍّ، والخَنَا من شأنكمْ، أنىٰ يَكونُ الفَخْرُ للمَغْلوبِ

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ٦١-٦٢.

(٢) المصدر نفسه: ٦١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

على ان مثل هذه الاشارة توحي الينا بشكل غير مباشر ان الجاهليين كانوا يفخرون مع ما يعانون من الضعف والهزيمة وينسبون لانفسهم ما ليس فيهم على أرض الواقع.

وكذلك ينسب الشاعر لهم صفة الضعف والتخبط في ساحة المعركة وثقل حركتهم كأسلوب منه لأظهار الجانب السلبي الضعيف فيهم لنزع ثقتهم بانفسهم كي لا يفكروا بالحلول بأرض الفضاء او غيرها من اراضي قبيلته يقول:(١)

وكَأنّهُمُ في الحَرْبِ إذ تَعلُوهُمُ غَنَمٌ تَعَبَّطُهَا غُوَاةُ شُـرُوبِ

ان حشد عناصر الضعف في الاعداء وتحذيرهم ان يطئوا الفضاء وتذكيرهم بمن قتل من ساداتهم ورجالاتهم كل هذا يأتي في خدمة القبيلة من حيث انه عامل تحد ومحاولة لتجنيب الاعداء الاقتراب من «الفضاء» وبالتالي فهو محاولة اكيدة لتجنيب القبيلة حرب بني وحيّ ويؤكد عبدالعزيز شحادة هذا من خلال قوله «ويبدو شعر القبيلة، احيانا، محاولة لتجنب الحرب»(٢).

ومن الامثلة ايضاً على شعر الفخر القبلي الذي يأتي اسلوباً دفاعياً من القبيلة امام خطر خارجي يتهددها هو العدو، قول بشر بن أبي خازم.(٣)

فأبلِغْ بني سَعدٍ ولن يَتَقَبَّلُوا رسولي ولكنّ الحزازةَ تنْصَبُ
حلفتُ بربِّ الدّاميات نُحورُها وما ضَمَّ أجْوازَ الجِوَاءِ ومِذْنَبُ
وبالأدمِ يَنْظُرْنَ الحلالَ كأنّها بأكوارها وَسطَ الأراكةِ رَبْرَبُ
لئِن شُبّتِ الحربُ العَوانُ التي ارى وقد طالَ ايعادُ بها وتَرَهُّبُ
لتَحتَمِلَنْ مِنْكُم بليلٍ ظعينةٌ إلى غيرِ موثوقٍ منَ العزّ تَهْرُبُ
ستحْدُرُكمْ عبسٌ علينا وعامرٌ وتَرفَعُنا بَكْرٌ إليكمْ وتَغلِبُ

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ٦١.

(٢) الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي: ٢٤٢.

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم: ٨-١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فَيلْتَقُّ جذمانـا ولا شـيءَ بَيْننَـا ... وبَيْنكَـمُ إلاّ الصَّريـحُ المهـذَّبُ
وَقَدْ زاركمْ صَلْتٌ مِنَ القومِ حاشِـدٌ ... وأنتم لـه بـادي الظّعينـةِ مُذنِـبُ
وينصُرنـا قـومٌ غِضـابٌ عليكُـمْ ... متَى نَدْعُهُمْ يوماً إلى النّصْر يركبُوا
اشـارَ بهـمْ لمْعَ الأصـمّ فأقبَلـوُا ... عرانيَن لا يأتيـهِ للنّصْـر مَحْلَـبُ
فَمَنْ يَكُ لـم يَلْـقَ البيـانَ فَإنَـهُ ... سَيأتيـهِ بالأنباءِ مَـن لاُ يكّـذَّبُ

من خلال الابيات السابقة يتبين ان بني سعد هم اعداء قبيلة بشر وقومه. ويبدو أيضاً ان هؤلاء الاعداء لن يتقبلوا النصح او الصلح والسبب هو ان «الحزازة تنصب» بين القومين او القبيلتين على حد قوله، و الخطر المتوقع هو نشوب الحرب التي اشار اليها بقوله: «وقد طال ايعاد بها وترهب» والحقيقة ان الشاعر في شعره القبلي هذا يريد ان يجنب قبيلته حرب بني سعد، والدليل انه يبعث اليهم الرسل ولكنهم يرفضون ولطالما وعدوا بالحرب وأرهبوهم بها الأمر الذي يجعل الشاعر يقول هذا الشعر محاولاً ابراز قوة قومه وقبيلته اذا ما شبت الحرب- التي يبدو انهم ملّوا كثرة التهديد بها- ولكنها في الحقيقة هي الخطر الذي يخافه الشاعر وقومه والدليل على ذلك ان الشاعر يقسم ويضخم من قوتهم ويحاول اقناع هؤلاء الاعداء بتجنب الحرب لانه -كما يدعي- ان وقعت فسوف يهزمون بني سعد ويجعلون الفرار من نصيبهم كيف لا وقبائل بكر وتغلب سوف تقف إلى جانبهم في تلك الحرب- ويبدو في احتمائهم بقبائل بكر وتغلب حس الضعف ازاء قوة وخطر بني سعد الذين سينصرون من قبل عبس وعامر، ويحاول الشاعر اخافة العدو اكثر من خلال اخباره بانه لو شبت الحرب فلن يكون مجالاً الا للسيوف بينهم وبين بني سعد وهو يحاول ايضاً اخافة هؤلاء الاعداء من خلال اخبارهم بان هناك قوماً غضاباً يملؤهم الغضب على بني سعد سوف ينصرونهم عليهم في تلك الحرب ان وقعت ويسيرون اليهم بأسود لا تخطئ النصر على اي حال فإن من لم يأته مثل هذا البيان ليؤكد له هزيمة بني سعد على ايدي قبيلة الشاعر ان وقعت الحرب فلينتظر اذاً الاحداث ليأتيه به من لا يكذب. ان محاولة الشاعر حشد كل اسباب القوة لقبيلته لهو دليل على ضعفها وحس الخوف الكامن بين افرادها من تلك الحرب خاصة وان اسباب تلك القوة في معظمها خارجية قبائل بكر وتغلب، وقوم غضاب على بني سعد...

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن أدلة ضعفهم محاولتهم المرة تلو الاخرى ارسال الرسل لبني سعد لعلهم يحيدون عن الطريق التي يريدونها إلى الحرب وقد اشار إلى ذلك بقوله: «ولن يتقبلوا رسولي»، لأنه بات يعلم ان ابواب الحوار قد اغلقت بينهم وبين بني سعد حين وضع الآخرين الحرب نصب اعينهم. على اي حال فقد حاول الشاعر ايقاف نار الحرب من خلال تهديده للعدو وبان الحرب اذا ما نشبت فستكون كارثة عليهم بالدرجة الأولى، لعلهم يرتدعون ويكفون عما ينوون القيام به.

المثال السابق هو من الامثلة التي تدلل على ان شعر الفخر القبلي يأتي من الشاعر والقبيلة بشكل عام لايقاف نيران الحروب بل اخمادها قبل ان تشتعل عن طريق التهويل والتخويف من عواقبها على الاعداء اذا ما وقعت، ومحاولة تهديد الاعداء الذين يتوقع الخطر منهم واضح في امثلة سابقة وفي المثال الآتي:(١)

فَلا تَقْرَبَوا جذْمانَ إنّ حمامَه ... وجَنّتَه تأذى بكم،فتحمّلوا

وكائن رأينا من أناسٍ ذوي غِنىً ... وجدّة عيشٍ اصبَحوا قد تبدّلوا

فإنْ تكُ قد أوتيتَ مالاً فلا تكُنْ ... بهِ بطَراً والحالُ قَدْ تَتَحَوَّلُ

فَليَسْ علينا قالَةٌ غيرَ اننّا ... نَسُودُ ونَكْفي، كل ذلك نَفعلُ

كأناْ وقد أجلواَ لنا عنْ نسائِهمْ ... أسُودٌ لها في عيصِ بيشَةَ اشْبُلُ

ببئر الدُّريَكْ فاستعدّوا لمِثْلِها ... وأصْغوا لها آذانَكُمْ وتأمّلُوا

يبدو أنّ الخطر والتهديد الخارجي بالعدوان على «جذمان» موجود وهو ان الخزرج قد يحاولون الاقتراب من «جذمان» وهو نخل للأوس للتمكن منه وهو مصدر عيش اساسي للأوس، لذا نرى الشاعر يحاول من خلال البيتين اللاحقين للبيت الاول الذي يطلب فيه من الخزرج الا يقتربوا من «جذمان» وهما يشبهان الحكمة، ومن خلال ابيات الفخر القبلي فيما بعد ان يرد مثل هذا الخطر والعدوان، في بيتي الحكمة عظة بشكل غير مباشر للأعداء، ونصح لهم بالانصراف عن مداهمتهم، فكثيرٌ من الاغنياء الذين يحيون حياة رخاء تبدلت احوالهم وضاقت عليهم سبل العيش فمن الافضل

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ١٣٨-١٤٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

للانسان ان يعتدل في امره فصاحب المال قد يذهب ماله وتتبدل حاله، وصاحب المال في الحياة الجاهلية كان صاحب قوة وهذا يعني ان من يشعرون بقوتهم وعنفوانهم فليقتصدوا، ولا يؤذوا غيرهم فقد تنوبهم نوائب الدهر فتبدل قوتهم ضعفاً والحكمة موجهة للخزرجيين اذن فليقتصدوا في امرهم فحالة الغنى والرخاء حيث تمثلان في العدو او غيره تستدعيان بالضرورة وجود القوة التي لولاها لما استطاعت القبيلة العيش برخاء او جمع الاموال والحفاظ عليها وهذه القوة هي التي يخافها الشاعر ويخشى منها على قبيلته فيحاول ان يحجم هذه القوة من خلال الحكمة التي توضح ان الزمن لا يترك شيئاً على ما هو عليه.

ولكن يبدو ان الشاعر يحس بان هذه الحكمة عامة وفيها من العمومية ما لا يكفي لردع الاعداء عن طريق الاقناع العقلي. فيحاول اخافتهم وترويعهم لتفادي ذلك الخطر الذي يشعر بانه قد يداهم القبيلة، عن طريق اعطاء صورة لقبيلتهم تنبض بالقوة الطاغية التي تستطيع مقاومة اي قوة أخرى والتغلب عليها وقوتهم مستمده من سيادتهم وتكاتفهم وحملهم امورهم، فإذا غاب احدهم قام غيره وسد مكانه وامرهم مجتمع عليه وكل هذا ذائع ومنتشر بين الناس فهو حقيقة يعلمها الجميع، ويحاول الشاعر ايضاً تلافي خطر الاعداء من خلال رجوعه إلى الماضي وتذكيرهم بوقعتهم معهم يوم تركوا نساءهم لقوم الشاعر وانهزموا، بينما كان قومه كالأسود المرابطة تريد اشبالها، وهذا التشبيه يزيد قومه قوة إلى قوتهم المتمثلة في سيادتهم وتكاتفهم، وتآزرهم فهم كالأسود وتشبيههم بالأسود يوحي بمعنى القوة مباشرة اما وصفه لهذه الأسود بأن «لها في عيص بيشة أشبل» فتوحي بتزايد قوة تلك الأسود وتضاعف شراستها بسبب وجود اشبالها هناك. وارادتها لحمايتهم والدفاع عنهم. فعلى الاعداء ان لا ينسوا تلك المعركة عند بئر الدريك»:

ببئرِ الدرّيكِ فاستعدّوا لمثلِها واصغَوا لهـا آذانَكم وتأمّلُوا

ان انتظار معركة مثل تلك المعركة التي منوا بها بالهزيمة والجلاء تاركين نساءهم خلفهم اصبح امراً واجباً فيما لو فكروا ان يقتربوا من «جذمان». انه يتوعدهم بمثل تلك المعركة ويتهددهم الأمر الذي قد يجعلهم يرتدعون عن طلب

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

«جذمان» ويزداد هذا الوعيد رهبة عندما يذكرهم بأخر معركة قائلاً (اصغوا لها آذانكم وتأملوا)، فيتركهم بوضع المترقب المتأمل هل سيحدث وكيف سيحدث وماذا تكون النتيجة؟. ان دور شعر الفخر الجماعي او القبلي هنا بات واضحاً فعندما احس الشاعر تهديد الخزرج بدخول «جذمان» وامكانية حيازتهم لها أراد ردعهم أولاً عن طريق الاقناع العقلي بالحكمة وثانياً عن طريق الارهاب واثارة الفزع في قلوبهم باستحضار قوة وغلبة وسيادة قبيلته والمعارك السابقة التي حققوا بها النصر حتى يظهر ان مثل ذلك النصر سوف يكون دائماً حليفهم والهزيمة والخسائر سوف تكون لعدوهم، وربما كان مثل هذا الشعر كافياً ليردع الاعداء عن التفكير بقتالهم أو الاغارة عليهم بقصد حيازة أراضيهم.

وفي مثال آخر يبدو الفخر اسلوباً فنيا ووسيلة ابداعية لرد طمع الطامعين فنجد عمرو بن معد يكرب يفخر بقبيلته ويصفها في ساحة المعركة وكيف تعمل التقتيل والتنكيل بالاعداد وفي نهاية القصيدة يتبدى الهدف واضحاً منها إذ ينتقل من الفخر القبلي الى محاولة اقناع «عباس» قائد قوم الاعداء بان يترك ما يطمع به عندهم ومن معرض فخره هذا قوله:(١)

ونسمعُ للهنديّ في البَيْضِ رَنَّةً ... كَرَنَّةِ أبكارٍ زُفِفْنَ عرَائِسا

بِهِنّ قَتَلْنَا من نزارٍ حُماتَهَا ... فما إنْ تَرَى إلاّ ذليلاً وتاعِسا

أعبّاسَ انْ تطمعْ فماَ ثمَّ مَطْمَعٌ ... فَرُحْ قانعاً ممّا طَلَبتَ وآيِسا

إذن فعرض قوة القبيلة من خلال التفاخر بتلك القوة التي مكنتهم من قتل فرسان نزار وحماتها بسيوفهم القاطعة التي لا تخطئ واذلال من تبقى منهم وتركهم لعيشة بائسة هي محاولة من الشاعر لرد طمع العدو وعدوانه عليهم. وبعد عرض هذه القوة ومحاولته دفع طمع الطامعين عنهم من خلالها باسلوب غير مباشر نجده يلج قصده وهدفه بعد ان استشعر القوة والعظمة بنفسه من خلال قبيلته باسلوب مباشر فيطلب إلى «عباس» العودة عما طمع به لأن قوتهم ومنعتهم لن تمكنه من

---

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب: ١١٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تحقيق هدفه ابداً. فتلك القوة بلا شك جاهزة للرد على اي مطمع او عدوان. وهكذا يتبين مرة أخرى كيف يبدو ذلك الشعر الذي يسمى فخراً، والذي قيل عنه انه يعبر عن زهو الشاعر ومباهاته بقومه كيف يبدو ذي دور وهدف محدد وكيف ينبع عن الاحساس بالخطر او الخوف من عدو طامع بالقبيلة يتهددها او يتوعدها فيأتي كمحاولة لايقاف حرب جديدة متوقعة ويؤكد على هذا الكثير من الرسائل التي يحاول الشاعر القبلي ان يبثها مخبراً بها عن قوة قبيلته وانتصاراتها وفتكها بالاعداء. لان مثل هذا الخبر وذيوعه بين القبائل كفيل، إلى حد ما، برد عدوان من يريد ان يعتدي عليهم من القبائل الأخرى وذلك حين يعلمون ما يخبّر به هذا الشاعر عن قوة قبيلته وعظمتها انها محاولة من الشاعر كي يبعد الاعداء وشبح الحروب عن قبيلته، ومن الامثلة التي لا حصر لها على ذلك قول الطفيل الغنوي:(١)

ألَا هَلْ أتَى أهلَ الحِجَازِ مُغارَنَا على حَيّ ورْدٍ وابنِ رَيّا المضُرَبِ

ثم يستمر بالفخر ذاكراً ما لقبيلته وفرسانها وخيلها واسلحتها من ميزات تجعل النصر حليفهم وتترك الاعداء في اسوأ حال.

ولكن ما يلفت النظر هذا الاسلوب الذي يكثر الشاعر الجاهلي من استعماله في فخره القبلي «ألا هل أتى اهل.. مغارنا» وما شابه ذلك، ودور هذا الاسلوب في تحقيق الاهداف التي يرمي اليها الشاعر من خلال ذلك الشعر. ان الشاعر يحاول دوماً ان يذيع اخبار غزواتهم، وفي مثال الطفيل الغنوي نجد انه يوجه سؤاله إلى اهل الحجاز هل علموا بغارتهم على حي كذا وحي كذا.. الخ.

ان السؤال في واقع الحال يتحول إلى رسالة تعلمهم وتبلغهم بما وقع لانه يريد لمثل تلك الغارات التي قاموا بها والتي كانت نتيجتها القتل والاسر والنهاب(٢) ان تنتشر اخبارها في الافاق عن طريق إبلاغها لأهل الحجاز، حيث ان الحجاز مكان تجاري فشيوع الخبر فيها وذيوعه وسيرورته بين الناس كفيل بان يجعل أي قبيلة

---

(١) ديوان الطفيل الغنوي: ٢٢.

(٢) انظر: المصدر نفسه: ٣٢، ٣٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تحذر ان تغزو قبيلتهم او تحاول الاعتداء عليها لأن قبيلته لا تترك لها ثأراً عند أحد، فمن الافضل للجميع ان يتجنبها.

ولا شك ان الشاعر يجنب قبيلته بمثل هذا الشعر غير قليل من الغروات والاغارات والاعتداءات.

والامثلة السابقة جميعاً تؤكد ان الانسان الجاهلي حاول من خلال شعر الفخر نفسه تجنب الحرب. فالحرب لم تكن محببة -عندهم كما يعتقد- ولكنهم كانوا مجبرين عليها لان ظروف الحياة وقسوة البيئة كانت تبعثها رغماً عنهم ولكنهم كانوا بالفعل يكرهونها ويستثقلونها وان تظاهروا بأنهم يقدمون عليها بفرح وسرور وقوة مطلقة ان كل هذا ما هو الا تعبئة نفسية للتصدي للعدو وتحدي الواقع ومجابهته، ولم يكن نزولهم على الموت والمنايا -كما يقولون- الا انتصاراً للحياة وابقاءً على اسبابها والادلة على كراهية العرب آنذاك للحرب كثيرة وواضحة. نجدها من خلال الشعر الكثير الذي كان يحث على السلم ويدعو له ويذم الحرب وينفر منها ومن ويلاتها وأهوالها.. يقول احد الدارسين إلاّ أنه وقد علمنا «ان الحرب هي لعنة الحضارة» فلا بد من العودة إلى الشعر الجاهلي نقرأ فيه الوجه الآخر الذي يبين كيف كان العرب يكرهون الحرب وينفرون منها يقول: «كان العربي في الجاهلية يعد الحرب جزءاً اصيلاً في بنية مجتمعه القبلي وركناً ركيناً في تكوين حياته العامة، وكانت ايام الجاهليين معارك لا تنتهي»، وقد صور الشعر الجاهلي هذه الحقيقة فكان خير ما وصل الينا منه يمثل هذا الجانب الدموي من حياة الجاهلية! غير أننا إذا كنا نؤمن اليوم بقول برنال: «إن الحرب لعنة الحضارة» فعلينا ان نعود إلى الشعر الجاهلي من جديد، لنبحث فيه عن ستار يغطي هذه «اللعنة» ويوجه انظار الباحثين إلى حقيقة انسانية اخرى يحويها تراثنا الشعري الجاهلي، وتتمثل في ذم الحرب، والتنفير من ويلاتها واهوالها، والدعوة الى السلام»[1] واكثر مثال يؤخذ لدراسةٍ من هذا النوع -ليس مجالها هنا- شعر زهير بن ابي سلمى الذي كان يدعو إلى السلم

---

(١) انظر صالح الأشتر: الحرب والسلم في الشعر الجاهلي، المعرفة، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي، العدد (٥)، ١٩٦٢، ٦٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وينفر من الحرب حتى سمي شاعر السلم في الجاهلية، لانه، باعتقادي، كان يضرب على وتر يحن اليه الجميع وإن حاولوا تجاهله واخفاءه حتى لا يُعرف عنهم الضعف في بيئة تزدري الضعيف وتصفه بالهوان والذل وتنتصر للقوي وتصفه بالشجاعة والبطولة.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المراوحة بين النزعة الذاتية والنزعة القبلية في شعر الفخر

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

أولاً: شعر الفخر القبلي (القبيلة البطلة)

١. توطئة:

يمكن القول أن شعر الفخر القبلي هو الشعر الذي اختص بالقبيلة أو كان معظمه فيها: وقد حرص عليه شعراء القبيلة، يتحدث فيه الشاعر بضمير «النحن» و «نا» الجماعة وضمير الجمع بشكل عام، وعندما يتحدث الشاعر بهذه الصيغة تبدو «الأنا» لديه مختفية ولو ظاهرياً بين طيات «الأنا القبلية» ويبدو جلّ هم الشاعر في مثل هذا الشعر إظهار القبيلة "بطلة" في أعلى ما تكون درجات البطولة: ومعنى البطولة يتركز أكثر ما يتركز على بطولة القوة والشجاعة التي باتت بحكم الظروف البيئية القيمة الاجتماعية العليا التي يسعى الجميع إلى تحقيقها. في محاولة للابتعاد عن القيمة النقيض لها وهي الضعف والجبن تلك القيمة التي يحتقرها المجتمع ويزدوي صاحبها ويفوت عليه فرصة العيش الكريم.

وعندما تصور الجماعة نفسها بطلة تصاب بداء النرجسية الجماعية «حيث عبادة الجماعة ذاتها لذاتها»[١] وهذا ما حصل في مجتمع القبيلة وهو عبارة عن جماعة مغلقة، كما أشرنا سابقاً، وتهددها ظروف قاهرة تتمثل في العدو الذي يسيطر على أذهان أفراد تلك الجماعة/ القبيلة بقوته ورهبته في كل حين فهو يهدد كيانها ووجودها ومن هنا انبرى شعراء القبائل يفخرون بقبائلهم متناسين انفسهم أحياناً. ويكون هذا الفخر دفاعاً ضد القبائل المعادية وحيث أن البقاء للأقوى هو الشعار المرفوع في ربوع المجتمع القبلي فإن القبيلة تحاول الظهور بأقوى مظاهر القوة والبطولة حيث يصبح «التبجح والنفاج والنفاخ هنا ايديولوجيات مسبقة

---

(١) قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية: ٥٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومصلحيات، وانقفال مرضي هو نكران مرضي للواقع وفصم ذهني»[1]. فتنكر القبيلة قوة القبائل الأخرى كما تحاول انكار أو اخفاء مظاهر الضعف كلها، وتحاول في الوقت نفسه الظهور بكل مظاهر القوة من خلال تسخير الشعر لذلك حيث يثبتون انهم الأقوى والأقدر وانهم لفي مثل ذلك يعتدون. يقول شاعرهم:[2]

وَنَعُدّ اَيّاماً لَنَا ومَآثِـراً قِدماً نَبُذّ البَدْوَ والأمصَارَا

ولو أخذنا مثالاً على هذا "العد" من شعر عمرو بن معد يكرب وهو أحد الشعراء الفرسان، بل فارس اليمن الذي كان يعد بالف فارس وقد جعله بعضهم فارس العرب الأوحد[3]، لرأينا كيف تحاول القبيلة أن تظهر بطلة بكل معنى الكلمة. يبدأ الشاعر بتصوير القبيلة على أنها كل شيء في حياته فهي الأم التي يعود الى احضانها، وأفرادها جماعة لا منفردين، هم عزته وغلبته ومنعته فقد قاموا بأعمال فيها من القوة والشجاعة والجرأة والاقدام مالا يستطيع الانسان تخيله إلا إذا قرأ هذه الابيات:[4]

أولئـك مَعْشَـري وهـُم جبالـي وحزني فـي كريهتهـم وحَـدّي
هُـم قتلـوا عُزيزاً يـوَمَ لحْـجٍ وعلقَمَـةَ بـنَ سعدٍ يـوَم نجـدِ
وهم ساروا مع المأمـور شهـراً الى تِعشَار سيـراً غيـرَ قصـدِ
وهم قسمّوا النساء بذي أراطَـي وهم عَرَكوا الذنائـبَ عـَرْك جِدِ
وهُم وَرَدُوا الميـاه علـى تميـمٍ بألـف مُذحّـجٍ شُمُـطٍ ومُـردِ
واخوَتهَـم ربيعَةَ قـدّ حَوَينَـا فصاروا فـي النِّهاب بغير حَمْـدِ
وهم تركـوا بكِنْدَةَ مُوضِحـاتٍ وما كانـوا هنـاك لنـا بِضِـدّ

---

(١) قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية: ٥٦.

(٢) ديوان عامر بن الطفيل: ٧٨.

(٣) انظر الاصفهاني، الاغاني. شرحه وكتب هوامشه عبد علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١٥/ ٢٠٠ - ٢٢٠.

(٤) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٨٢-٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وهم زاروا بني اسدٍ بجيـــشٍ مع العَبّاب جيشٍ غيـرِ وغْـدِ

وهم تركوا هَـوازَن اذ لقُوهـم واُسْلمَهُـــم رئيسُهُـم بَجْهـدِ

وهم تركوا ابن كبشة مُسْلَحباً وهم شغلوه عـن شَرب المَقـديّ

أتانـا ثائـراً بأبيـه قيـسٍ فأُهلـك جيشُ ذلكُم السّمغـدِ

وهم قتلـوا بـذي قَلَـعٍ ثقيفاً فما عُقلـوا ومـا فاؤوا بزَنْـدِ

وهم سحبوا على الدهْنا جيوشاً يُعيدهُـــمُ شرَاحيـلُ ويُبـدي

وهم تركوا القبائـل مـن مَعَـدّ ضِباباً مُجْحَـرَيـن بكـلِ حقَـدِ

وكـم مـن ماجـدٍ ملكٍ قتلْنـا وآخَـر سُوقـةٍ عَزَبٍ قُمَـد

لقد صورت ابيات عمرو بن معد يكرب قبيلته في صورة البطولة المطلقة حيث لم يتركوا حياً أو قوماً أو قبيلة الا وقد غزوهم واعملوا فيهم التقتيل والتنكيل والنهب والسلب والتشريد. وما أود التنويه به في قراءة هذه الابيات أمرين:

الأول: أن هذه البطولة التي بدت فيها النرجسية القبلية بشكل واضح كانت بناء على حاجة نفسية لدى الشاعر لهذه البطولة التي تمنحه العزة والمنعة وهذا ما يظهره أول بيت من الابيات حيث قال فيه:

أولئك معشري وهم جبالي وحزني في كريهتهم وحدّي

وتظهر الابيات الأخيرة من القصيدة حاجة الشاعر للعزة والمنعة التي تمنحه اياها القبيلة المفعمة بالبطولة فانظر اليه يقول[1]:

فما جَمْعٌ ليغلب جمع قومي مكاثـرة ولا فـردٌ لفـردِ

الا عتَبَتْ عليَّ اليوم أرْوَى لآيتها كمـا زعمـتْ بَفَهْـدِ

وحَمْيرُ دونـه قـومٌ عُداةٌ بكـلّ مسَيلةٍ وبكـلّ نجـدِ

فما الاحلافُ تابعتـي اليـه ولا وأبيكِ لا آتيـه وحـدي

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب ٨٦ – ٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فمع أنه يؤكد في نهاية القصيدة أن لا احداً يستطيع أن يتغلب على قومه فرادى أو مجتمعين إلا أنه يبدو وبوضوح ذلك السبب الذي جعله يظهر قبيلته بذلك القدر من القوة والبطولة، لقد ضخم القبيلة وملأها بكل معاني القوة لأن هناك خصماً له يريد أن يقاتله ويغزوه. وقد عتبت عليه «أروى» اذ أنه لم يأتها به اسيراً أو قتيلاً على ما يبدو. ولكنه لن يستطيع ذلك و"حمير دونه قومٌ عُداةٌ" فيقسم بأبيها بأنه لن يأتيه وحده، إذ أنه فيما يبدو يشعر بالضعف أمام "فهد" وقومه "حمير" فيحشد قومه ويصورهم بالبطولة الفذة محاولاً أن يستشعر من خلالهم القوة طالباً بأسلوب غير مباشر معونتهم ووقوفهم الى جانبه في طلابه لـ"فهد" واذا كان قوم "فهد" يحمونه ويمنعونه فلا بد لقوم عمرو أن يفعلوا كذلك.

وهذا يؤكد نقطة مهمة مفادها أنه وأن غابت صورة الشاعر أو فخره بنفسه في لوحة الفخر القبلية أو كانت تلك الصورة غير واضحة بشكل كبير حيث قيل في مناسبة القصيدة أنه "افتخر فيها بقومه وقبائله من اليمن وذكر فيها ايامهم ووقائعهم بقبائل معد بن عدنان"[1]. إلا أن نسج مثل هذه اللوحة كاملة كان بدافع حاجة نفسية عند الشاعر تؤكد ضعفه أمام موقف معين فيصور القبيلة بطلة ليستمد البطولة أو المعونة منها.

أما الأمر الثاني الذي أود التنويه به حيث لاحظته في قراءتي لهذه الأبيات أنها جميعاً كانت تتحدث عن انتصارات في الماضي، يلاحظ ذلك بسهولة من خلال الأفعال الواردة في اللوحة الفخرية والمسندة لقبيلة الشاعر أو قومه ومنها "قتلوا، ساروا، قسموا، وردوا، تركوا، زاروا، سحبوا، عركوا.." فأن تكون كل هذه الانتصارات في الماضي فإن استحضارها هنا-(في الوقت الذي يريد به "فهداً" ولا يستطيع ذلك وحده- يؤكد دلالة معينة ترفد القول باستشعار "عمرو" الضعف واحساسه بالخوف من مواجهة "فهد"، وكان ملكاً عظيماً[2]، كما تقول الاخبار، إن هذا الاحساس بالخوف والضعف أو لنقل الفشل في مواجهة ذلك الملك أو الاتيان به، كما

---

(١) انظر: ديوان عمر بن معد يكرب: ٧٦ ومناسبة القصيدة كاملة.

(٢) انظر: المصدر نفسه الهامش: ٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ترغب "أروى" هو الذي دفعه لاستدعاء صورة القبيلة بكل انتصاراتها الماضية وايامها السالفة، ويرى دارسو علم النفس أن "النكوص الى الماضي والاحتماء بأمجاده وأيامه السعيدة أواليه شائعة في حالات الفشل"[1] فالشاعر يحاول تبديل الواقع النفسي من خلال الاحتماء ببطولات الماضي التي ترهب العدو من خلال تصوير الأيام الماضية المملوءة بالانتصارات، والعودة اليها تعد "وسيلة لاستنهاض الهمة واستعادة شيء من الثقة بالنفس"[2] لعل القبيلة تحاول القيام بمثل ما كان من هذه الانتصارات في ماضيها الحافل. وتنصر الشاعر في معركته المتوقعة مع عدوه ولعل مثل هذا الماضي المشرق لم يكن فقط دافعه نكوصياً وربما كان الدافع لعرضه بحث الشاعر عن هذ الماضي الذي أصبح منشوداً لبعثه في الحاضر والمستقبل كما يتمنى أو يأمل الشاعر يقول يوسف اليوسف "وحين كان الماضي في نظر الجاهلي هو الهاجع المطلوب ايقاظه وبعثه أو ايلاج الحيوية والحركة اليه (فمجرد طرح الماضي على أنه وحدة المنير واتخاذه نقطة مثالية متعالية ينبغي معانقتها، مجرد هذا الطرح يعني أن الماضي هو المنشود) فإنه يغدو مستقبلاً نموذجياً ينزع المجتمع الى تحقيقه»[3]، وهكذا يبدو التشبث بالماضي المجيد المفعم بالانتصارات والبطولات طموحاً لبعثه مجدداً. فالبعد الذي يرمي اليه شعر القبيلة في هذه الصورة هو ازالة الشعور بالضعف أو الخوف من وجدان الشاعر وإعادة الثقة للقبيلة واستثارة همتها ونخوتها لتستطيع حمايته والوقوف الى جانبه ومحاولة لاعادة القبيلة بحيوية وعنفوان الماضي.

واذا تطرقنا الى مثال آخر فإن معلقة عمرو بن كلثوم بأبياتها الطويلة تبدو نموذجاً صارخاً، ومألوفاً لشعر القبيلة الذي يصور القبيلة وقد تمتعت ببطولة تصل الى حد النرجسية المرضية. وسأكتفي بأيراد بعض ابياتها حيث يقول بعد وصف طويل لأيامهم وحروبهم وقدراتهم ومجدهم وعزهم:[4]

---

(١) التخلف الاجتماعي: مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور: ١٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٢.

(٣) مقالات في الشعر الجاهلي: ١٢١.

(٤) شرح المعلقات العشر: ٢٢٣ - ٢٢٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وَأنّا المَانِعُون لِمَا أرَدنْـــــا وَأنّا النّازِلُونَ بَحَيْثُ شِينـا

وأنّا التّارِكِـونْ اذا سَخِطْنـا وأنّا الآخِذُون اذا رَضِينـــا

وَأنّا العاصِمُـون اذا اطِعْنـــا وَأنّا العازِمُـون اذا عُصينـا

ونَشْرَبُ انْ وَرَدنا المَاء صفواً ويَشْرَبُ غَيْرُنا كَدِراً وَطِينـا

مَلأنَا البَرَّ حتى ضَاقَ عَنّـــا وَظهر البَحرِ نَمْلَؤُهُ سَفِينـــا

لَنَاالدّنيا وَمَنْ ضَمّت عَلَيْهـا وَنَبْطِشُ حِيْنَ نَبْطِشُ قادِرِينا

اذا بَلَـغَ الفِطـامَ لَنـا صبـيٌّ تَخِرُّ لَـهُ الجَبابِـرُ ساجِدِينَـا

لقد ظهرت القبيلة من خلال هذا النموذج بصورة مضخمة غاية في الشجاعة والقوة المطلقتين، ولكن ما علينا أن نتنبه له أن الواقع يمتزج بالخيال في مثل هذا الشعر، أو لنقل أن الشاعر يصور القبيلة حسب رؤيته ورؤياه لها، فنجده يحشد للقبيلة ما كان لها وما لم يكن في سبيل الصورة الأكمل فهو يتأرجح بين ما يتمنى أن تكون عليه القبيلة وما هي عليه في أرض الواقع فالشعر كالحلم "يعبر عن رغبات مكبوتة وعن مدفونات اللاوعي الفردي، وعن التجارب الأصيلة والأنماط الينبوعية السحيقة في اللاوعي الجماعي"(١). فنرجسية الاحساس الجمعي هي التي جعلت الشاعر يتخيل أن "الجبابرة" تسجد لصبيتهم اذا بلغوا الفطام وبدهي إن ذلك لم يحصل ابداً وانما جاءت هذه الصياغة وسيلة لأرهاب الاعداء، وأي مبالغة نجدها بقوله:

مَلأنا البَرَّ حتى ضَاقَ عنّا وَظهر البَحْرِ نَمْلَؤُه سفينا

إن هذه المبالغة لحرية بالتساول "فأي اسطول له، وأي كتائب من الجند كان يملكها، ليملأ البحر سفيناً والأرض جنوداً"(٢).

---

(١) قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربي: ٤٧.

(٢) شرح المعلقات العشر: ١٩٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وعلى الرغم من صورة البطولة الخارقة التي صور عمرو بن كلثوم قبيلته بها وعلى الرغم من ضمير الجمع الذي سيطر على الغالبية العظمى من أبيات القصيدة فأننا لا نعدم الدافع الذاتي لقول هذا الشعر اذا بحثنا عنه بين ابيات القصيدة[1].

بأيِّ مشيئةٍ عمْرَو بنَ هِنْدٍ نَكُونُ لقِيلِكُمْ فيها قَطينا
بأيِّ مشيئةٍ عَمْرَو بنَ هندٍ تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدْوينا
تَهَدَّدْنا وتَوْعِدْنا رُوَيْداً مَتى كُنَّا لأُمِّكَ مَقْتَوِينا

حيث يبدو الدافع الأقوى لقول هذه الابيات هو ازدراء الملك عمرو بن هند لأم الشاعر عمرو بن كلثوم في تلك القصة المشهورة والذي استنكر عمرو في الابيات السابقة واعتبره استعباداً وأذلالاً لقومه وقبيلته اجمعين. مما دعاه الى الفخر الجماعي الذي برزت فيه النزعة القبلية بشكل واضح حتى سيطرت وطغت على ابيات القصيدة جميعاً إلا بيتاً واحداً فخر فيه بنفسه بضمير المفرد[2]. وحيث أنه اقدم على قتل ذلك الملك، فأنه لن يستطيع مواجهة آثار هذا القتل وما يمكن أن ينتج عنه من نتائج منفرداً لذلك فلا بد أن يكون ضمن منظومة القبيلة والقبيلة البطلة.. كما صورها، في مثل ذلك الظرف.

كما أن هناك دوافع ذاتية أخرى. لهذا الفخر الذي اتى بصيغة الجمع وسيطرت عليه روح المبالغة في تصوير القبيلة وافعالها البطولية الخارقة، فالدافع الذي يبدو منذ مطلع القصيدة هو صدود "ام عمرو" عنه -على ولعه بخمرتها- ويبدو أن "أم عمرو" هذه ترمز الى المرأة التي يحبها الشاعر، وعلى الرغم من الولع الذي يظهره بشرب الخمرة والذي يكاد يصل الي درجة العشق حيث أنه يتغزل بتلك الخمرة[3]، وعلى الرغم من أنه يطلب الى أم عمرو هذه أن تهب بالخمرة اليه منذ بداية القصيدة

---

(١) شرح المعلقات العشر: ٢١٣ - ٢١٤.

(٢) انظر: شرح المعلقات العشر ٢١٥ حيث قال:
ورثت مهلهلاً والخير منه زهيراً نعم ذخر الذاخرينا

(٣) انظر: شرح المعلقات العشر: الأبيات (١ - ٤) الصفحة ٢٠٠ - ٢٠١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إلا أنه يفاجيء بصد الكأس عنه فقد قال:[1]

صَبَنَتْ الكأسَ عَنّا أمَّ عَمْرٍو وكانَ الكأسُ مَجراها اليمينا

وعلى الرغم من عتبه عليها في تأخيرها الخمر عنه أو صدودها كلياً،[2] إلا إننا نجده يحاول تجاوز هذا الصد بتأكيد ضده، حيث صرح بأنه، في مقابل هذا الصد، قد شرب الخمرة في عدة اماكن مثل بعلبك ودمشق وقاصرين[3].. وكأنه يريد أن يقول: ليس بالشيء الكثير أن تصدي الكأس عني فقد رويّت الخمرة من قبل، واعتقده من باب المكابرة ليس إلا، اذ أنه يحاول اثبات عكس ما في قرارة نفسه. ولكنها لا تعدو أن تكون محاولة تجاوز وتخطٍ افضت به لشدة الألم الى حس وجودي عميق وشامل لمعنى الموت الذي سيدرك الجميع وسيفرقهم قسراً اذا كانوا يفكرون الآن طوعاً بالابتعاد والفراق.[4]

وَإنّا سوْفَ تُدْرِكُنا المَنايا مُقَدَّرَةً لنَـا وَمُقَدَّرينـا

مما يسوغ له أن يدعو الحبيبة ويستوقفها من خلال لوحة الظعائن لكي يفضي احدهما الى الأخر ماذا قاسى وكيف يعانى أو بالأحرى كيف سيقاسي وكيف سيعاني اذا حدث الفراق. ويبدو استشعاره الألم واضحاً لصرم المحبوبة له من خلال هذه اللوحة حيث يقول [5]

قِفي قَبْلَ التّفَرُّقِ يـا ظَعينـا نُخَبِّـرْكِ اليَقيـَن وتَخْبِرينـا

قِفي نَسألكِ هل أحدثت صرماً لو شك البين أم خنت الامينـا

بَيـوْمِ كرَيهَـةٍ ضَرْبـاً وَطَعْنـاً أقَـرَّ بِـهِ مَوَاليـكِ العُيُونـا

---

(١) انظر: شرح المعلقات العشر:٢٠١.

(٢) انظر: المصدر نفسه: البيت السادس الصفحة ٢٠١.

(٣) انظر: المصدر نفسه: البيت السابع الصفحة ٢٠١.

(٤) المصدر نفسه: ٢٠٢.

(٥) المصدر نفسه: ٢٠٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

واذا هو استوقفها للتأكد من صدودها عنه وقطعها العلاقة معه فإن هذا الاستيقاف كان ليخبرها ايضاً ويعلمها بأعماله العظيمة في الحروب أو بذلك اليوم بالذات المستثقل المكروه وما كان فيه من طعن وضرب أقرّ به عيون قوم الشاعر. ومثل هذا التحول بالسؤال عن ذلك اليوم لحبيبته الظاعنة يجعلنا نشك بأن هذه الظعينة ترمز الى قبيلة "بكر" المناوئة لقبيلة الشاعر والتي نشب النزاع والصراع والقتال معها، حيث استمرت حرب البسوس ودامت لأربعين عاماً حتى وقع الصلح بينهما. ولكن في حادثة لاحقة -حيث اجلا البكريون التغلبيين عن موقع ماء في جبال طيء ودفعوهم الى الصحراء ليموتوا عطشاً- شب الخلاف مرة أخرى[1] وكان هذا سبباً في انقطاع العلاقات السلمية ثانية بين القبيلتين وما أرجحه أن الشاعر يحاول خفياً من خلال هذه الابيات أن يقنع قبيلة "بكر" بالعدول عما اقدمت عليه من اساءة لهم لان عواقب الفراق والمقاطعة بين القبيلتين مرة أخرى سوف تكون وخيمة، ولو تذكروا الحروب الخالية وما كان فيها من طعن وقتل وابادة لفكروا مراراً قبل الاقدام على مثل ما اقدموا عليه. فقد يكون هذا السؤال الوارد في اللوحة الظعنية فعلاً موجهاً لقبيلة بكر بشكل أو بأخرى وما يؤكد مثل هذا التخمين محاولة تذكيرها بتلك الحروب والأعمال العظيمة لقبيلة الشاعر وبذلك اليوم المستثقل المكروه الذي أقر به عيون التغلبيين.

واسلوب التهديد واضح لقبيلة "بكر" من خلال قوله[2]:

وَأنَّ غَداً وأن اليَوم رَهْنٌ وبَعْدَ غدٍ بما لا تعلَمينا

ولو انها فكرت جيداً لعادت عن قرارها بمقاطعة "تغلب". وبعد ذكر اوصاف المحبوبة ورفاهها وجمالها بعد الابيات الظعينة يقول[3]:

تَذَكَّرتُ الصِّبا وَاشْتَقتُ لَمّا رَأيتُ حمُولَها أصُلاً حُدِينا

---

(١) انظر: شرح المعلقات العشر: ١٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٣.

(٣) المصدر السابق: ٢٠٦

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي تذكره للصبا نقطة أخرى تشي بالضعف الذي يحاول الشاعر حجبه واخفاءه. ويبدو تأثره لفقدان ايام الصبا وهذا الضعف الذي يحس به أثر فوات هذه الأيام ورحيل هذه المحبوبة واضحاً يكشفه من خلال قوله:(١)

فَمَا وَجَدَت كوَجْدي أمُّ سَقْبٍ أضَلَّتْهُ فَرَجَّعَتِ الحَنِينـــــا

وَلا شَمْطَاءُ لَمْ يتْرُكْ شقَاها لَهَا مِنْ تِسْعَةٍ الا جَنِينـــــا

حيث يؤكد بأن الناقة التي ضيعت ولدها وانطلقت منها اصوات الأنين المتوجعة الحزينة لفقدانها هذا الولد ليست بأشد منه لوعة.

ولا العجوز التي مات لها تسعة ودفن اولادها جميعاً بأشد حزناً منه لفراق هذه المحبوبة.

وأمام كل هذا الضعف والألم والحزن الذي يستشعره الشاعر يأتي الفخر المجلجل وبضمير النحن ليساند الأنا الشاعرة ويساعدها على تجاوز الأزمة التي يمر بها.

وبعد ذلك فأن التهديد والوعيد الذي يقع من الملك عليهم ويبدو أنه مخصوص به، وأن لم يكن كذلك فهو أحد افراد القبيلة التي سيداهمها الخطر نتيجة ذلك التهديد الذي عبر عنه من خلال قوله "تهددنا و توعدنا رويداً"(٢). ذلك التهديد الوعيد الذي يرفضه الشاعر في الوقت الذي يحشد كل صفات القوة والعنفوان والغلبة لقومه.

وحتى الآن اتضح أن اربع نقاط دفعت الشاعر لمثل هذا الفخر المجلجل:

الأولى: عجزه عن نيل المحبوبة وصدودها عنه.

الثانية: عجزه السني أو العمري الذي استشعره وعبر عنه وعن حزنه على أيام العنفوان والصبا والشباب التي ولت من خلال وصف حزنه الذي فاق حزن "أم وجد" على ولدها الضائع والعجوز "الشمطاء" التي فقدت أولادها التسعة.

---

(١) انظر: شرح المعلقات العشر: ٢٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الثالثة: ازدراء عمرو بن هند لأم الشاعر عن طريق محاولة استخدامها لاذلاله.

الرابعة: التهديد والوعيد من الملك للشاعر أو القبيلة وهو أحد افرادها بل قائدها وفارسها لا مدافع. وأي كان فإن هذا الشعر الذي قاله عمرو بن كلثوم يبقى من أكثر الشعر الجاهلي تصويراً لبطولة القبيلة وامكاناتها وقيمها الخلقية العليا الذي يؤدي وظيفة تخدم الشاعر فرداً وتخدم القبيلة مجموعاً في آن معاً.

لقد حاول شعراء القبيلة ابراز قبائلهم في أكثر اشكالها ألقاً وكمالاً من خلال كلامهم على أمور كثيرة تتعلق بالقبيلة وبأيامها وبفرسانها وقتالهم ووقائعهم مع الاعداء. وهذا كله لا يعدو أن يكون آلية دفاع أمام قوى الخطر، القبائل المعادية التي تهدد مصير القبيلة بالتشرد والموت وكيانها بالدمار والزوال، فيشن عليها من خلال الشعر الذي سمي فخراً ما يشبه الحرب النفسية، بل أنه حرب نفسية ذات حدين: حدها الأول داخل القبيلة حيث نجدها في حال ذكرها لوقائعها السابقة وانتصاراتها الباهرة المتالية تمد افرادها بالقوة وتبعث فيهم العزم لمزيد من التمسك بالقبيلة وللاستمرار في القتال والدفاع عنها امام كل خطر أو عدوان. مما يرفع ويقوي روحهم المعنوية التي تقودهم للجرأة والثبات والتضحية وبالتالي النجاح والنصر[1].

وحدها الثاني والأهم موجه للخارج "لشل معنويات العدو وتثبيط عزيمته على القتال، والقاء الرعب في قلبه ودفعه الى الاستسلام"[2]. وسوف استعرض الأمور التي حاول شاعر القبيلة من خلالها ابراز القبيلة في اعظم صور البطولة على الاطلاق فظهرت بصورة مضخمة ترد طمع الطامعين وترهب الراغبين:

٢. وصف ايامها ووقائعها وغاراتها كثرة وشدة:

من ذلك - وهو كثير- فخر بشر بن ابي خازم بشدة قومه والتي هي حرية بان يسأل عنها ومن أراد ذلك فليسأل بني هوازن لأنهم عرفوا تلك الشدة جيداً حين

---

(١) انظر، عبد الحميد محمد الهاشمي، المرشد في علم النفس الاجتماعي، دار الشروق، جدة، الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة، ١٩٨٩، ٢٢٥، وكيف تكون الروح المعنوية أو ضعفها سبباً في انتصار الجماعة أو انكسارها.

(٢) علم النفس الاجتماعي: ٢٥٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حاولوا اتقاءهم والاحتماء منهم بالآخرين.[1]

سَائِل هَوَازِنَ عنّا كَيفَ شَدَّتنَا ... بالجِنوِ يوم اتَّقَونَا بابن مَثْقوبِ
يَدْعُو كلاباً، وفيه صَدْرٌ مُطَّرِدٍ ... لدَنَ مَهزَّتُه، صُلْبِ الأنابيبِ
أمّا عُقَيلٌ فَنَجَّاها وَقَدْ شَرِعَت ... فيها الاسِنَّة رَكضٌ غَيْرُ تَكْذيبِ
بكُل مُقَوَّرَةٍ جَرْداء ضامِرَةٍ ... فيها عُلالَةَ إخْضارٍ وَتقْريبِ
يَوْمَ اتّقَتْنا قُشَيْرٌ بالحَرِيشِ هَوَى ... كِلَا الفريقَينْ محرُوبٍ ومَسلُوبِ

إن شدة قومه تجعل كل عدو لهم يحتمي بمن له من حلفاء أو اصدقاء، ولكن شدتهم هي أيضاً التي تجعل "كلا الفريقين محروب ومسلوب»، اما عن كثرة الغارات لقبيلة الشاعر فالأمثلة عليها كثيرة وقد أوردنا الكثير منها في بحث الدافع الاقتصادي[2].

واللافت في معظم الشعر الذي يصور قوة القبيلة وشدتها أن الشاعر عندما يتحدث عن يوم من ايام القبيلة أو حين يصف وقعة من وقائعها فانه يحشد كل الوقائع السابقة ويذكر ما أعملوا فيها بالاعداد من قتل ونهب وسلب ومنه قول زيد الخيل حيث يفخر بغاراتهم التي بلغت أقاصي نجد[3].

صَبَحْنَ الخَيلَ مُرَّةَ مُسْنِفات ... بذي أُرلٍ، وحيّ بني بِجادِ
ويَوْماً بالبِطاحِ عرَكْن قَيْساً ... غَداتئذٍ بأرماحٍ شِدادِ
ويوماً باليمامةِ قد ذبَحْنا ... حنيفةَ مثلَ تذْبَاح النِّقادِ

إن حشد الايام الماضية عند الحديث عن واقعة معينة يظهر بأن القبيلة كيفما تحركت وغزت يكون النصر حليفاً لها. وأنه من خلال تصوير شدتهم في قتل كل هؤلاء الأقوام والاحياء والاشخاص إنما يحصن قبيلته أمام هؤلاء الاعداء وغيرهم.

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ٤٠.

(٢) هذه الامثلة: شعر زيد الخيل: ٩٠، ٩٥، ديوان عامر بن الطفيل: ٥٩، ٦٠ وديوان الطفيل الغنوي، ٣٨، ٤١.

(٣) شعر زيد الخيل الطائي: ٩٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فلعل تصوير القبيلة تمتلك مظاهر البطولة والقوة الخارقة هو واجهة دفاعية أمام الخطر والعدوان الخارجي الذي يتهدد القبيلة - في ظل شريعة الغاب التي تسود المجتمع القبلي - في كل لحظة.

نعم هذه هي الوظيفة التي ربما يؤديها شعر الفخر بالقبيلة، فالشاعر يتحدث عن القبيلة وشدتها وبطولتها وقدرتها على القتل والابادة والنصر حتى يدرأ شر القبائل الأخرى عنها. وتجدر الاشارة الى أن مثل ذلك الشعر لا يتوقف على أوقات الحرب والقتال وإنما يكون في أيام القتال كما هو في ايام السلم لأنه - كما قلنا - في أحد وجوهه نوع من الحرب النفسية التي ترمي الى التأثير في اراء ومواقف وسلوك الجماعات المعادية، بطريقة تساعد على تحقيق أهداف الجماعة[1] أو القبيلة.

٣. وصف فرسان القبيلة وشجاعتهم وباسهم:

إن صورة فرسان القبيلة بما يتمتعون به من قوة جسدية وبأس ودراية بالحرب ومقدرة عليها، هي من الأمور التي ترهب العدو وتدخل الرعب الى نفسه.

فبشر بن ابي خازم يصور فرسان قبيلته بقوله[2]:

شَوَازِباً كالَقَنا قُوداً،اَضرّ بِهـــــا شُمُّ العرانِينِ ابطالٌ هُمُ خَلَفَـــوا

اباهُم، ثمَّ ما زالوا على مَثُـــــلٍ لا يَنكُلُونَ، ولا هُم في الوَغَى كُشُفُ

فهم ابطال ورثوا البطولة عن آبائهم لذلك فهم لا يجبنون ويصدقون في القتال فلا يتراجعون. وفي مكان آخر من ديوانه يقول[3]:

من كل ممتد النجاد منـازل يسمو الى الأقران غير مقلم

---

(١) انظر في ذلك: علم النفس الاجتماعي: ٣٥٣.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم: ١٤١.

(٣) المصدر نفسه: ١٨١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فهم من الشجاعة والقوة الجسدية بحيث يقارعون الابطال الشجعان فلهم دراية بذلك كما أن فرسان قبيلته من "الشيب" الذين لا يجبنون والشباب الفتية الذين لا يخافون:[1]

بشِيبٍ لا تخِيمُ عن المنادي ومُردٍ لا يُرَوِّعُها اللقَّـــاءُ

وهم من البطولة والشجاعة والنجابة بحيث يردون مياه القبائل الأخرى ودونما تردد[2]:

وَهُمُ وَرَدُوا الجِفَارَ على تَمِيمٍ بكلٍّ سَـــمَيْدَعٍ بطَلٍ نَجِيبِ

أما عمرو بن معد يكرب فأن فرسان قبيلته اعتادوا الحرب حتى وصفهم بأنهم «ابناء حرب»لكثرة خوضهم الحروب"[3]:

وكم من فتيةٍ ابناء حربٍ على جُرُدٍ ضوامَرَ كالقِداحِ

ويقول فيهم:[4]

بكل مجربٍ في البأس منهم أخي ثقة من القطمين نجـد

إنهم من الفرسان الذين لا يدرى من أين يأتون لما فيهم من الشدة والبأس:[5]

هنالك بهمة الفرسان يلقى واصحاب الحفاظ وكلٌ جدٌ

وفرسان عامر بن الطفيل تعمل الضرب في الاعداء حتى وأن اقشعرت الخيل في موضع القتال لشدة العراك[6]:

بشِبابٍ من عامرٍ تضربُ البيـ ـضَ إذا الخَيلُ بالمَضيقِ اقشَعَرّتِ

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢٢.

(٣) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٥٩.

(٤) المصدر نفسه: ٧٩.

(٥) المصدر نفسه: ٨١.

(٦) ديوان عامر بن الطفيل: ٣٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وقيس بن الخطيم في قومه يلاقون الاعداء بكل فارس أخي حرب مارس الحرب كثيراً وقاد وراءه جمعاً كبيراً:[1]

لقيناهم بكل أخي حروبٍ يقود وراءه جمعاً عتيـدا

وأن فرسان قبيلته يحمون كل ما يستوجب الحماية لنيل حسن الأحدوثة بين الناس:[2]

صبحناكم منّـــا بهِ كل فارسٍ كريم النّثا يحمي الذمار ليُحْمدا

ويقول سلامة في وصف فرسان قبيلته وهم على الخيل كالأسود:[3]

عليهن أولادُ المقاعسِ قرحـــاً عناجيج، في حُوِّ لهنَّ صهيـــلُ

ترى كلَّ مشبوحِ الذراعين ضيغمٍ يخب به عارٍ شواه عســـولُ

ان فرسان القبيلة - كما وصفهم شعراؤها - مثال في القوة والشجاعة والاقدام ورفض الذل، اعتادوا الحرب فهم يقدمون على الموت بجرأة الأسد، وكثيراً ما كانوا يوصفون بأنهم ابناء حرب. ويبدو أن اقدام هؤلاء الفرسان في الحرب التي ستنكشف عن منتصر ومهزوم اصبح امراً لا بد منه، إذ أن اقدامهم على الموت ما هو الا انتصار للحياة أو رفع لشعار "احرص على الموت توهب لك الحياة،[4] فالضعف في مثل تلك المعارك الجاهلية لا يساوي غير الموت والزوال. أما الشجاعة والاقدام فإما أن تكون نتيجتها الموت - وهو أمر وارد منذ البداية - وأما أن تكون نتيجتها الحياة وهذا ما يطمح له الانسان الجاهلي.

إذن فهؤلاء الفرسان يتمتعون بالشجاعة والاقدام لأن ذلك يفسح امامهم فرصة أكبر للحياة، فمع الشجاعة والقوة هناك خياران أما مع الجبن والضعف فخيار واحد لا بد منه ولا بديل عنه. إنهم حين يقتحمون ساحة المعركة في لجة الموت انما يقتحمون امكانية الحياة.

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ٤٧.

(٢) المصدر نفسه: ٢١٦.

(٣) ديوان سلامة بن جندل: ١٩٢ - ١٩٣.

(٤) علم النفس الاجتماعي: ٣٥٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤. وصف جيوش القبيلة قوة وشجاعة وكثرة

إن الشجاعة التي وصف بها الشاعر القبلي فرسان قبيلته لا تقتصر على فرسان القبيلة وانما تشمل كل افراد الجيش وهم جميعاً في اعتبار القبيلة فرسان. والأهم من ذلك -أن هذا الجيش دائماً يوصف بالكثرة تلك الكثرة التي ارتفعت الى درجة تروع العدو وتفزعه ولن يخجل الشاعر من المبالغة في وصف هذه الكثرة كما هو الحال عند عمرو بن كلثوم حيث قال[١]:

ملأنا البر حتى ضاق عنا وظهر البحر نملؤه سفينا

نعم لم تتسع اليابسة لجيوش قبيلة عمرو بن كلثوم الأمر الذي جعلهم - في ذلك العصر - مضطرين لملأ البحر بسفنهم!

أما جيش بشر بن أبي خازم فيعطي عدة أوصاف منها السرعة المبالغة التي لا تجارى حيث قال في وصفهم[٢]:

هم وردوا المياه على تميم كورد قطاً نأت عنه الحساء

وإذا كان "البر" قد ضاق بعمرو بن كلثوم وجيوشه فأن الفضاء قد ضاق بجيش بشر، حيث شبههم بالليل الذي ضاق به الفضاء وبقوله:[٣]

وحولي من بني اسد حلـــول كمثل الليل ضاق بها الفضاء

وهم في الشدة والقوة كحالهم بالكثرة لا أحد يضاهيهم:[٤]

وجمع قد سموت لهم بجمعٍ رحيب السرب ليس له كفاءُ

صبحناه لنلبسه بزحـــفٍ شديد الركن ليس له كفـــاء

---

(١) شرح المعلقات العشر: ٢٢٤.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم: ٤.

(٣) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٤) المصدر نفسه: ٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ولا غرو أن يشبههم في كثرتهم وسرعتهم بالسحاب الذي دفعته ريح الجنوب يقول:[1]

فلما رأونا بالنسار كأننـــــا نشاص الثريا هيجتها جنوبها

وعمرو بن معد يكرب ايضاً يشبه جيشهم بالسحاب المرعد لكثرته وقوته وجلبته:[2]

فلما هبطنا بطن رنية بالقنا أرنّ سحابٌ رعدهُ متجـــاوب

وجيش قيس بن الخطيم ايضاً كالسحاب يحمل البرد وتدره وتدفعه الريح الشديدة وهو ايضاً كالسيل الجارف الذي يعقبه مطر دائم لا انقطاع له وهم في ابادتهم للأعداء كالنار التي تلتهم الحطب فتحيله رماد:[3]

جاءت بنو الأوس عارضاً برداً تحلبه الريح مقبلاً حلبـــــا

أرعن مثل الأتي اعقبـــــه صوب ملث يسيل الحدبـــــا

إن بني الأوس حين تستعر الـ ـحرب لكالنار تأكل الحَطَبـــا

وجيشهم عظيم في كثرته التي تدل عليه جلبته:[4]

زرناهم بالخميـــس ضاحية نزجي الى الموت جحفلاً لجبا

وهو بذلك كجيش سلامة بن جندل الذي لاقوا به الاعداء:[5]

من الحمس اذا جاءوا الينا بجمعهم غداة لقيناهم بجـــأواء فيلـــق

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ١٦.

(٢) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٤٣.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم: ١٧٦.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٥.

(٥) ديوان سلامة بن جندل ١٦٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجيش زيد الخيل كالليل كثرة ورهبة فلا يصعب عليه انجاز ما يريد:[1]

بجيش تظل البلق في حجـــراته تَرَى الأُكمَ فيه سُجَّداً للحوافـــرِ

وجمع كمثل الليل مرتجس الوغى كثير تواليه سريع البـــــوادر

وقد شبه الشعراء القبليون افراد الجيش بالعقبان وبالقطا المتبدد ايضاً[2]، إن الوظيفة لصورة الجيش بطولة وقوة وكثرة ورهبة وسرعة تبدو واضحة جلية في سياق دراستنا حيث تصبح القبيلة من خلال هذا الجيش منيعة قوية ويصبح مثل هذا الشعر عامل هدم وبناء في آنٍ معاً: عامل هدم لقوى الاعداء عن طريق الرعب ونستذكر هنا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم "نصرت بالرعب". وعامل بناء لقبيلته حيث يعزز تقديرها الاجتماعي لدى نفسها. كما أن هذا الشعر بتلك الصورة يرهب العدو من القبيلة فلا يقربها لأنه بهذا الشكل قوة لا تقاوم. فأيقاع الخوف والرعب في قلوب الاعداء وتدعيم ثقة القبيلة بنفسها هما غايتان مهمتان من غايات هذا الشعر وشعر الفخر بالقبيلة بشكل عام.

٥. وصف اسلحة القبيلة مضاءً وحدةً واحكام صنعة

ومما يعزز هذه الوظيفة التي تحدثنا عنها لشعر الفخر بالقبيلة ذلك الوصف الذي ورد على السنة شعرائها للسيوف والرماح والقسي والسهام، وهي الاسلحة التي يستخدمها فرسان القبيلة وجيوشها عند قتال الاعداء، وأن توصف بالوفرة والمضاء وحسن الصناعة واحكامها. وكذلك حسن استعمالها والدراية بكيفية استخدامها في الابادة والتقتيل فإن هذا مما يغني حديث الشاعر عند تصوير بطولة قبيلته.

يقول سلامة بن جندل:[3]

إذا الهندوانيات كن عصـــــينّا بها نتّآيا كل شأن ومفـــــــرقِ

---

(١) شعر زيد الخيل الطائي، ١١٠.

(٢) انظر: ديوان قيس بن الخطيم ١٢٧، ديوان بشر بن خازم: ١١٠.

(٣) ديوان سلامة بن جندل: ١٧٩ – ١٨٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

نجلي مصاعاً بالسيوف وجوهنا اذا اعتفرت اقدامنا عند مأزقِ

بضرب، تظلُّ الطير فيه جوانحاً وطعن كأفواه المزاد المفتقِ

إذن فالسيوف الهندية المشهورة هي السبيل لضرب الاعداء وطعنهم يوم تبيض وجوه هؤلاء المقاتلين وتظل الطيور عاكفة علي اجساد القتلى من اعدائهم تتهافت عليها، ودماء هؤلاء الاعداء تنزف كما ينزف الماء من المزادة المفتقة.

أما قوم عمرو بن معد يكرب فإن السيوف تكون بأيديهم يقاتلون بها كما تكون العصي بأيدي الصبية يلعبون بها، يقول:(١)

وسلت سيوف الهند منا كأنها مخاريق نالتها أكف لواعب

وهذا أن دلّ انما يدل على حنكتهم ودرايتهم باستعمالها فقد ألفوها لكثرة قتالهم بها فأصبحت بايديهم كالعصي في ايدي الصبية ومثل هذه الصورة تتكرر عند عمرو بن كلثوم:(٢)

كأن سيوفنا منا ومنهم مخاريق بأيدي لاعبينا

أما الاسلحة التي تستعملها قبيلة عامر فهي الرمح والسيف والدرع وقد مثلت بقوله:(٣)

واسمر خطيّ وابيض باترٍ وزعف دلاص كالغدير المثوب

فالسيف قاطع يخطف اصل العنق، كما يصفه، اضافه الى الرمح الذي يطرد في اهتزازه دلالة على جودته:(٤)

صبحناهُم بكل اقب نهدٍ ومطردٍ له يقدُ الحَديد

وابيض يخطف القصرات عضبٍ رقيقِ الحدّ زينة غمود

---

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٤٣.

(٢) شرح المعلقات العشر: ٢١١.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل: ٢٧.

(٤) المصدر نفسه: ٤٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومثل هذه السيوف المرهفة هي وسيلتهم لابادة الاعداء:[1]

لقيناهم ببيض مرهفات نقتلهم بها حتى ابيدوا

ويقول سلامة بن جندل في وصف رماحهم:[2]

وأصمّ صدقاً من رماح ردينة بيدي غلام كريهةٍ، مخـــراقِ

ومثل هذه الرماح هي التي مكنتهم من قتل الاعداء وانصارهم:[3]

كلا الفريقين: اعلاهم واسفلهم شجٍ بأرماحنا غير التكاذيبِ

ويقول الطفيل الغنوي واصفاً الضرب الذي يردي الاعداء قتلى بسيوفهم المشرفية والهندية التي تقطع فتروى من دماء الاعداء:[4]

نخوي صدور المشرفية منهـم وكل شراعي من الهند شَرْعَبِ

بضربٍ يزيل الهام عن سكناته وينقع من هام الرجال بمشربِ

أما رماحهم فهي طويلة مثقفة تقع في نحور الاعداء دوماً فتفريها وتتصبب دماً:[5]

فنشناهم بأرماح طـوال مثقفة بها نفري النحورا

وكل الاسلحة التي يستخدمونها مثقفة الصنع مشهورة بمكان صنعها وبالكيفية والمواد التي صنعت منها بما في ذلك القسي والسهام والتروس:[6]

رمت عن قسي الماسخي رجالنـا بأجود ما يبتاع من نبل يثـرب

كأن عراقيب القطا أطرٌ لهـا حديث نواحيها بوقع وصلّـب

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ٥٠.

(٢) ديوان سلامة بن جندل: ١٥١.

(٣) المصدر نفسه: ١١٥.

(٤) ديوان الطفيل الغندي: ٣٢، ٣٣.

(٥) المصدر نفسه: ١٠١.

(٦) المصدر نفسه: ٣١ - ٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

كسُين ظهار الريش من كل ناهضٍ الى وكرهِ وكلّ جونٍ مقشّـــــب

فلما فنا ما في الكنائن ضاربـــوا على القرع من جلد الهجان المجوبِ

ويتحدث آخر عن الاسلحة بأيدي الفتيان والفرسان المغاوير والسيوف المشرفية والرماح المصقولة الأسنة التي صنعت بحيث لا تزيغ في الطعان توجه الى الاعداء فتأخذ مكانها منهم يقوم:[1]

بالمشرفي، ومصقول اسنّتهـــــا صم العوامل، صدقات الأنابيـــب

يجلوا اسنتها فتيان عـــــادية لا مقرفين ولا سود جعـــــابيب

سَوّى الثقاف قناها، فهي محكمة قليلة الزيغ، من سن وتركيـــب

كأنها، بأكف القوم اذ لحقـــوا، مواتح البئر، أو اشطان مطلـوبِ

٦. وصف الخيل سرعة وقوة وكرم أصل

اذا كانت القوة والبأس والشدة صفة فرسان القبيلة وجيوشها العظيمة، وإذا توافرت الاسلحة التي تفتك بالعدو لحسن صناعتها وخبرة حامليها فإن الوسيلة لنقل فاعلية كل هذه العناصر الى العدو هي الخيل الذي تبدو بأكمل الصفات التي تؤهلها لأن تكون خيل القبيلة البطلة. فخيل القبيلة البطلة لا بد أن تتصف بالبطولة، بل أن الشاعر كثيراً ما يسند كل الافعال في الغارة والحرب لهذه الخيول، فإذا كان الفرسان هم الأبطال فإن الخيل هي الابطال المساعدة. يشير الى ذلك علي زيعور عندما يتكلم عن وصف قوة الحصان عند الشاعر الجاهلي، وكيف تصبح ضرورة من ضرورات توفير الأمن والحماية يقول "الاستناد الى الحصان ضرورة للحياة عند الشاعر. لا بد من ذلك الجانب الثاني. ذلك البطل المساعد، ذلك المستند الواعي واللاواعي. فبه تستكمل الصورة، ويتحقق الأمن"[2]. فأهمية الخيل لا تقل عن أهمية الفرسان فهي الوسيلة للوصول الى الهدف وما تكاد تجد ذكراً لموقعه أو غارة أو معركة الا وفيها

---

(١) ديوان سلامة بن جندل: ١١١ - ١١٤.

(٢) قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية: ٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وصف موجز أو مفصل لهذه الخيل التي تبدو امتداداً للفرسان انفسهم يقول زيد الخيل في وصفها في احدى المعارك.[1]

جَلَبْنا الخَيل من أجإ وسَلمَى ... تَخُبُّ نزائعاً خَبَبَ الرِّكاب
جَلبْنا كلَّ طِرْف أعوجيّ ... وسلهبةٍ كخافية الغُراب
نَسوفٍ للحزام بمرفقَيها ... شَنون الصلْب صمّاء الكِعاب
كأنّ مَحالها بالنّير حرثٌ ... أثارته بمُجمرة صِلاب
فلما أن بدت اعلامُ لبنى ... وكنّ لها كمستتر الحجاب
وبين نعفهن، لهم رقيبٌ ... أضاعَ، ولم يخَفْ نعبَ الغُراب
عرضناهنّ من سمل الاداوى ... فمصطبحٌ على عجلٍ وآب
ضربن بغمرة فخرجن منها ... خروج الودقِ مِن خلل السَّحاب
فكانوا بين مكبولٍ أسيرٍ ... ومنعفر المضاحك في التُّراب
ولو كانت تكلّمُ ارضُ قيسٍ ... لأضحت تشتكي لبني كلاب

إنها في هذا الوصف السريع تخب الى الاعداء منطلقة بسرعة لا تضاهى، فهي اصيلة وجسيمة وسريعة، ولها مكانة خاصة عندهم فهي تقدم على اصحابها بالماء فيعرض عليها-على قلته- لأنها صاحبة الموقف والكلمة الفصل حيث تنقض بسرعة خاطفة على الأعداء وتحقق الغرض بسرعة فائقة فيكون القتل ويكون السبي وتكون الغنائم. إنه يسند كل هذه الاعمال من بداية الغارة وحتي نهايتها الى هذه الخيول الكريمة الاصيلة. سواء أكانت هذه الاعمال مسندة لفرسان القبيلة أو لخيلهم فالأمر يبدو عنده سواء، ففي مثل هذا الموقف تصبح "صورة الفرس هي صورة الرجل النبيل الذي ملأته العزة والثقة"[2]. ولو تكلمت الارض لاشتكت لأحياء الاراضي المجاورة محدثة بفعل هذه الخيول.

---

(١) شعر زيد الخيل الطائي: ٧٣ – ٧٤.

(٢) مصطفى ناصف، قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الاندلس، بيروت، لبنان، د. ت، ٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وكثيراً ما شبه الشاعر الجاهلي خيلهم بالذئاب وهي لسرعتها وقوتها وأصالتها وجلدها على الوقائع الواحدة تلو الأخرى افضل ذخيرة يدخرها الفارس لنفسه، من ذلك قول الطفيل الغنوي:(١)

وَخيلٍ كَأَمْثَال السِّرَاحِ مصَـــوَنةٍ ذَخَائِرَ ما أَبْقَى الغُرَابُ ومَذْهَـــبُ
طِوال الهوادي والمتون صليبـــة مغاوير فيها للاريب معقـــــبُ
تَأَوَّبْن قصراً من أَرِيكٍ ووَائِـــلٍ وَمَاوَانَ مِنْ كلِّ تَثْوبُ وَتَحلـــبُ
ومِنْ بَطنِ ذي عَاجٍ رِعَالٌ كَأَنَّهَـــا جَرَادٌ تَبَارِي وجْهَةَ الرِّيحِ مطْنِـــبُ
أَبُوْهُنَّ مَكْتُومٌ وأُمُّوجُ تَفْتَـــلَى وَرَاداً وَحوًّا لَيْسَ فيهنَّ مُغـــرَبُ
إذا خَرَجَتْ يَوْماً أُعِيدَتْ كأنَّـــها عَوَاكِفُ طَيْرٍ في السَّمَاءِ تَقَلَّـــبُ
وألقت من الإفزَاعِ كُلَّ رِحَالَـــةٍ وَكُلَّ حِزَامٍ فَضْلُهُ يَتَذَبْـــذَبُ
اذا استُعْجِلَتْ بِالرَّكْضِ سَدَّ فُرُوجَهَا غُبَارٌ تَهَادَاهُ السَّنَابِكُ أصهَـــبُ

إن كل ما يحشد الشاعر من تشابيه وصفات للخيل لا يتسع المجال لذكرها(٢). هدفه الأول استكمال صورة البطولة للقبيلة لايقاع الهلع في نفوس القبائل المعادية.

٧. وصف حال الاعداء اثناء القتال وبعده

إن من مكملات اظهار القبيلة بأعظم اشكال القوة والبأس وصف الحال الذي تترك عليه الاعداء بعد القتال، يقول سلامة بن جندل:(٣)

فما تركوا في عامرٍ من مُنَـوةٍ ولا نسوةٍ، الاّ لهنّ عويـــــلُ
تَرَكْنَ بَحيراً والذّهاب، عليهما من الطير غاياتٌ لهنّ، حجُـولُ

---

(١) ديوان الطفيل الغنوي: ٤٣، ٤٤.

(٢) انظر وصف عامر بن الطفيل للخيل، ديوان عامر بن الطفيل: ٢٧، ٣٢، ٣٤، ١٣٠، وديوان بشر بن أبي خازم: ٦، ٤٥، ١٠٠، ١٨١، ١٨٩، وديوان الطفيل الغنوي: ٢٠، ٧٩.

(٣) سلامة بن جندل: ١٩٤ - ١٩٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

لقد ترك قوم سلامة بني عامر وقد اضطربوا وارتفعت اصواتهم وناحت نساؤهم على الأموات والقتلى، واصبح رؤساؤهم غاية للطيور وطعاماً لها.

وفي معركة أخرى تركوا اعداءهم وقد جرت دماؤهم في الوديان لكثرة ما اعملوا فيهم من القتل والطعن:(١)

غداة تركنا من ربيعة عامرٍ دماءً بأعلى الواديين تسيلُ

وأما عامر بن الطفيل فقد صور لنا كيف تركوا اعداءهم في مأتم جماعي ويفخر بتنكيلهم بهؤلاء الاعداء، فقد بقروا بطون الحبالى من النساء وابالوا بقيتهن دماً خوفاً وذعراً:(٢)

ونحن صبحنا حي اسماء بالقنا ونحن تركنا حيّ مرّةَ مأتما

بقرنا الحبالى من شنوءة بعدما خبطن بفيف الريح نهداً وخثعما

ونحن صحبنا حي نجران غارةً تبيل حبالاها مخافتنا دما

أما قبيلة بشر بن أبي خازم فقد داهموا الاعداء فأصابهم الذعر فلم يدروا ما يصنعون، أيفرون أم يقدمون وفي الحالتين هلاكهم؟ لقد اختلط عليهم الأمر، ولكن قبيلة بشر وقومه قاتلوهم حتى تركوهم في اسوأ حال وقد تشردوا عن بلدهم بعد أن اخذوا جميع اموالهم واذلوهم واعملوا القتل فيهم والقوا الذعر في قلوب نسائهم. يقول في وصف حال الاعداء بعد رؤيتهم لقوم بشر وبعد قتالهم معهم:(٣)

فكانوا كذات القدر لم تدر اذ غلت أتنزلها مذمومة أم تذيبها

نقلناهم نقل الكلاب جراءها على كل مَغلوب يثورُ عكوبها

لحوناهم لحو العصيِّ فأصحبوا على آلة يشكو الهوان حريبها

قطعناهم، فباليمامة قطعة وأخرى بأوطاس تهرُّ كليبها

---

(١) سلامة بن جندل: ٢٠٧.

(٢) ديوان عامر بن الطفيل: ١١٧ – ١١٨.

(٣) ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي: ١٦ – ١٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تبيتْ النساءُ المرضعاتُ برهـــوة تَفَرُّأُ من هَوْلِ الجنان قلوبهـــا

بني عامرٍ إنّا تركنا نساءكـــم من الثُّلِّ والايجاف تدمى عُجُومُها

هذا و قد هدموا ابيات بني عقيل وتركوا الضباع والنسور وافرة الطعام من لحوم اعدائهم:[1]

وفئنَ غداة زُرنَ بني عقيل وقد هدمُّن ابيـــاتاً ودورا

وسعداً، قد ضربنا هام سعدٍ بأسياف يقصمن الظهـورا

فلو عاينتنا وبني كـــلابٍ سمعت لنا بعقوتهم زئيـرا

وكم من جمع قومٍ قد تركنا ضباع الجُو فيهمْ والنسورا

وتتكرر هذه الصور للحال التي يترك عليه الاعداء. فهم دائماً يتركون فزعين أو طعام للطيور الجارحة والحيوانات المفترسة وتترك نساءهم صارخة مذعورة تبكي لشدة الفزع والخوف على من قتل أو على مصيرها[2]. إن وصف حال اعداء القبيلة وقد نال القتل والعذاب والألم منهم كل جانب لصورة رادعة لكل قبيلة أو عدو تسول له نفسه أن يقف امامهم ابداً.

إن مثل هذه الحال التي يترك عليها الاعداء كفيلة بأن تضعف المقاومة المعنوية عند أي عدو آخر حتى قبل القتال، ففيها عبرة وعظة لكل من يعتبر.

ثانياً. شعر الفخر بين النزعة الذاتية والنزعة القبلية

١. توطئة

اتضح من خلال الفصل الذي بحثت فيه بنية القبيلة وعلاقة تلك البنية بشعر الفخر القبلي والفردي، إن فخر الشاعر بالقبيلة كان ظاهرة ادت اليها ضرورة ارتباط الانسان الجاهلي بتلك القبيلة اذ كان مضطراً لتأمين الحد الأدنى من حاجاته الاساسية، والاجتماعية والنفسية في ذلك الوقت.

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم الاسدي: ٩٣.

(٢) انظر عامر بن الطفيل، ص٩٥، ١٢٩، وديوان بشر بن أبي خازم: ١١١، ١١٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كما اتضح أن شعر الفخر القبلي كان يخدم -بشكل أو بآخر- رؤى الشاعر وفرديته وذاتيته.

واذا كان الشعراء الفرسان قد قالوا الكثير من الشعر في قبائلهم فإن ذلك لا يعني انهم لم ينزعوا الى فرديتهم وذواتهم قائلين فيها شعراً يعبر عنها ويخصها ويؤكدها، علماً بأن شعر الفخر بالقبيلة يعبر عن الشاعر ورؤاه.

فمع أن الضمير الجماعي (النحن) اخذ نصيباً كبيراً من شعر هؤلاء الشعراء، فأن الضمير الفردي (الأنا) أخذ نصيباً لا بأس فيه من مساحة شعرهم. والكثير من الدراسات تشير الى أن الشاعر الجاهلي كان صاحب فردية ونزعة ذاتية في شعره إلى جانب النزعة القبلية تساويها أو تقل أو تزيد عنها، المهم انها تصب في الذات وتركز على الفردية.

ومن هذه الاشارات الكثيرة الى بروز الذات في اشعارهم كما يرى أحد الدارسين متحدثاً عن شعراء القبائل ودورهم في قبائلهم وكيف كان الشاعر يعد لسان قبيلته ومع ذلك فإن "هذا الشعر لم يقف عند حد تفخيم القبيلة وتعظيمها؛ بل تجاوز هذا حين ترك لنا بعض الشعراء قصائد تكشف مواقفهم الذاتية من قضايا المجتمع القبلي على مستوياتها المختلفة.."[1]، ويرى عناد غزوان اسماعيل ان الشاعر الجاهلي صاحب شخصيتين: الفردية عندما يعبر عن تجاربه الخاصة.. والقبلية العامة عندما يعبر عن تجارب قبيلته.. في مجال الحروب والغارات والمفاخرات.

كما يظهر في قصائد المديح، والهجاء والفخر القبلي،[2] فقد يعبر الشاعر «عن شخصيته الفردية التي تتجلى بتجسيد ذاته في مدى تفاعلها واستجابتها بابعاد البيئة ومرئياتها المختلفة والمتباينة في قوتها وتأثيرها بين شعراء ذلك العصر وقد تأخذ تلك الذات الشاعرة صورة من صور التمرد الاجتماعي، والتطرف في الاعجاب بالنفس، كما يظهر لنا ذلك من قصائد بعض الشعراء امثال امرئ القيس وطرفة بن

---

(١) عبد الله التطاوي، في القصيدة الجاهلية والأموية - درس تحليلي، مكتبة غريب (الفجالة) ١٩٧٧، ٩٢.

(٢) عناد غزوان اسماعيل، المرثاة الغزلية في الشعر العربي، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٤، ٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

العبد وبعض الشعراء الصعاليك الذين يمثلون أكثر من اتجاه اجتماعي وفردي»[1]

و«نستدل من اشعار كثيرة على ان العربي ربط حياته بحياة القبيلة لشعوره بضرورة هذا الربط، بل لعله كان مضطراً إلى هذا الربط لحاجته إلى العيش حياة جماعية في تلك المرحلة من حياته، اما فيما عدا ذلك فإنه يظهر في الشعر ذا شخصية منفردة، وذات مستقلة، وتفكير متميز، وذلك من خلال حديثه عن حياته الخاصة، وعن عواطفه الذاتية، سواء أكانت تجاه قبيلته، ام تجاه المرأة التي يحبها، ام تجاه اصدقائه وخصومه، وعلى ذلك فإن الشعر يصف لنا الانسان العربي ذا نزعتين تتجاذبانه نزعة جماعية نحو القبيلة ونزعة فردية تجعله متميزاً من خفيات الروح الجماعية»[2]

ويقول يوسف خليف «وهكذا نلاحظ أن شاعر القبيلة مشغول دائماً بقبيلته، حريص دائماً على أن يجعل لها المكان الأول في اعماله الفنية»[3] ويضيف «ولسنا ندعي ان الشعر الجاهلي قد خلا تماماً من تصوير شخصيات أصحابه او اهمل جوانب حياتهم الخاصة، ولكن الذي نقرره هو ان الشخصية القبليه فيه أقوى وأوضح من الشخصية الفردية، وأن اهتمامه بتصوير جوانب الحياة القبلية أشد من اهتمامه بتصوير الجوانب الفردية في حياة اصحابه»[4]

ويؤكد دارس آخر على وجود شعر الفخر الذاتي بكثرة في الأدب العربي وذلك لأن العربي "نزوع من فطرته الى العلاء، ميال الى التعالي والمباهاة، شديد الاندفاع بما في نفسه من نزعات، والتغني بما فيها من حسنات، شديد التطلع الى ما مضى من الزمان، والى مآثر الاباء والاجداد.. "[5] ويرى عفت الشرقاوي أن شعر الفخر « يعبر عن موقف شعوري خاص، يحس الشاعر فيه بتميزه الفردي على أفراد قبيلته،

---

(١) المرثاة الغزلية في الشعر العربي: ٥.

(٢) عبدالغني زيتوني، النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة الثالثة عشرة، العدد ٣٧، ١٩٨٩، ١١.

(٣) يوسف خليف، دراسات في الشعر الجاهلي، مكتبة غريب، دار غريب للطباعة، القاهرة ١٩٨١، ١٧٦.

(٤) المصدر نفسه: ١٧٦-١٧٧.

(٥) الفخر والحماسة: ٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أو بفضل قبيلته على غيرها من القبائل، فهو شعر الاحساس بالذات الفردية أو القبلية إحساساً خاصاً بحيث تصبح معه هذه الذات وكانها مركز الوجود[1].

وعليه، فإن هذا يؤكد وجود النزعة الفردية أو الذاتية في الشعر الجاهلي، تلك النزعة التي تغاضت عنها الكثير من الدراسات حين اشارت إلى إن الشاعر كان يفني نفسه في القبيلة وتضيع فرديته وتتلاشي في طيات تلك القبيلة حيث يصل اندماجه بالقبيلة إلى درجة الذوبان وفقدان الأحساس بالذات[2]. وسوف أدرس الأن شعر الفخر الذي عبر عن الذات ولكن صاحبه بقي ضمن دائرة القبيلة ومنظومتها.

١. المعاني العامة لشعر الفخر الذاتي:

لم تختلف المعاني العامة التي ظهرت في شعر الفخر الذاتي عن تلك التي تبيناها في شعر الفخر القبلي فلم يتعدَ شعر الفخر الفردي معنيين كبيرين تنضوي تحتهما جميع المعاني أو القيم الفخرية الأخرى.

الأول: معنى البأس والبطولة والشجاعة والصبر في المعارك والبسالة والشدة والفروسية، وما إلى ذلك من معانٍ ترتبط بقية ومفهوم القوة. وتنبثق عنها. ومن الأمثلة على هذا النوع من الفخر الذاتي قول زيد الخيل:[3]

كررت على أبطال سعدٍ ومـــالك ومثلي دعا الداعي إذا هو نـــددا
فلأيا كررت الورد حتى رأيتهـــم يكبون في الصحراء مثنى وموحدا
وحتى نبذتم بالصعيد رماحكـــم وقد ظهرت دعوى زنيم وأسعـــدا
فما زلت أرميهم بغرة وجهـــه وبالسيف حتى كل تحتي وبلـــدا
إذا شك أطراف العوالي لبانـــه أقدمه حتى يرى الموت أســـودا

---

(١) عفت الشرقاوي، دروس ونصوص في الأدب الجاهلي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٩، ٣١٩-٣٢٠.

(٢) أنظر الأراء التي تتحدث عن الفرد وقد تلاشت شخصيته وضاعت ملامحها ضمن النظام القبلي في العصر الجاهلي في الفصل الثاني من هذه الدراسة عند دراسة بنية القبيلة وعلاقتها بشعر الفخر.

(٣) شعر زيد الخيل الطائي: ٩٧-٩٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

علالتها بالأمس ما قد علمتـــــم وعل الجواري بيننا أن تُسهـــــدا

لقد علمت نبهان أني حميتـــــها وأني منعت السبي أن يتبـــــددا

عشية غادرت ابن ضب كأنمـــــا هوى من عقاب من شماريخ صنددا

بذي شطب، أغشي الكتيبة سلهبـاً أقبّ كسرحان الظلام مُعَـــــوّداً

الثاني: معنى الكرم، كرم في العطاء والجود مرتبط بالظروف الصعبة، وكرم في النسب والحسب هو في الأصل منبع كل المكارم الاخلاقية من سخاء وعطاء إلى إغاثة ونجدة وحسن ضيافة إلى نبل وشرف وصبر ووفاء إلى غير ذلك من معانٍ وقيم ترتبط بالكرم وتنبثق عنه وتسببه أصلاً.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الفخر الفردي قول حاتم الطائي محاوراً العاذلة التي تعذله لكثرة كرمه[1].

وعاذِلةٍ هبّتْ بلَيْلٍ تَلُومنـــــي، وقد غابَ عَيّوقُ الثّريّا، فعَـــــرّدا

تَلومُ على إعطائيَ المالَ، ضِلّـــةً إذا ضَنّ بالمالِ البَخيْل وصـــــرّدا

ألَمْ تَعلَمي أنيّ، إذا الضَيْف نابنـــي، وعزّ القِرَى، أُقري السديف المُسرْهدا

أسَوّدُ ساداتِ العشيَرةِ، عـــــارِفاً ومن دونِ قوْمي،في الشدائد، مـذوَدا

وألفَى لاعراضِ العشَيرَةِ حافظـــاً وحَقّهِم، حتى أكُون المُســـــوَّدا

يقولونَ لي:اهلكتَ مالك،فاقتصـــد، وما كنت لولا ما تقولون، سيـــــدا

سأذخَرُ منْ مالي دلاصاً وسابِـــحاً وأسْمَرَ خَطّيّاً، وعضباً مهنـــــدا

وذلك يكفيني من المال كلـــــه، مَصوناً، إذا ما كان عندَيَ مُتْلَـــدا

٣. دوافع شعر الفخر الذاتي عند الشعراء الفرسان

إن الدوافع الاجتماعية والبيئية لقول شعر الفخر الذاتي لا تخفى على الكثيرين منا ولن أعيد التفصيل في دراسة الدوافع الاجتماعية والبيئية لشعر

---

(١) ديوان حاتم الطائي: ٤٠-٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفخر الفردي إذ أنها تتقارب مع الدوافع الاجتماعية والبيئية لقول شعر الفخر القبلي. فالشاعر الجاهلي جزء من منظومة القبيلة، وهو لا يستطيع أن يبتعد كثيراً عن هذه المنظومة، لذلك تجده حين يفخر يفخر، بكل ما آمنت به القبيلة من قيم وعادات تقاليد.

فنجد الشاعر مثلاً يفخر بقوته التي تمكنه من حماية القبيلة بهدف أن يكون سيداً عليها، فالدافع اجتماعي، وهو التأكيد على قيمة الحفاظ على القبيلة وحماية اعراضها وانسابها، والهدف اجتماعي، وهو الحصول على مركز قيادي في تلك القبيلة وهذا ما نستشفه من الأبيات السابقة لحاتم الطائي حيث يقول[1]:

أسَوَّدُ سادات العَشيرة، عارِفـــاً ومن دونِ قوْمي، في الشدائد، مذوَدا

وألفَى، لاعراضِ العَشيرة، حافظـــاً وحقّهم، حتى أكـــونَ المسَـــوَّدا

ويقول[2]:

يقولوَن لي: أهلكتَ مالكَ، فاقتصِد، وما كنتُ لولا ما تقولون ســـيدا

حيث يفخر أيضاً بكرمه وهو قيمة اجتماعية تكرسها الحياة القبيلية وتضعها في مقدمة قيمها التي تحافظ عليها، وهدفه أيضاً من هذا الكرم اجتماعي سياسي وهو نيل السيادة والمحافظة عليها إذ أن البيئة لم تكن لتسنح الفرصة ليعيش الجميع بسعة ويسار.

وفي شعرٍ لعامر بن الطفيل يؤكد الهدف الاجتماعي السياسي الذي يهدف إليه الشاعر الفارس من فخره بحماية حمى القبيلة والابتعاد عن ايذائها ومجابهة من يريدها بشر، وهو أن يكون سيد قومه بلا منازع يقول[3]:

إني وإنْ كنتُ ابن سيّد عـــامرٍ وفارِسَها المندوَب في كلّ مَوكِبِ

---

(١) ديوان حاتم الطائي: ٤١.

(٢) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل: ١٣

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فمَا سَوَّدَتنَي عامِرٌ عن قَرابَـــةٍ أبَى اللهُ أنْ اسْمـــوْ بأُمٍّ ولا أبِ

وَلكِنَّني أحْمي حِمَاها واتقّـــي اذاها وأرْمي مَنْ رَماها بمَنْكِبِ

فالسيادة والرياسة من أهم الأمور التي يطمح بها ويطمح لها الشاعر الفارس مما يجعله يلجأ إلى الافتخار بنفسه وبفروسيته وقوته التي حمت حمى القبيلة

ونافحت عنه، ونأت به عن أذى قبيلته، في حين دفعته تلك الفروسية بما تنطوي عليه من قوة وشجاعة لئن يبادر بقتال كل من يحاول إيذاء تلك القبيلة.

ويؤكد نفسه مرة أخرى من خلال الفخر بفروسيته وبطولته وحاجة القبيلة له في وقت الشدة[1]:

فأنا المعظم وابن فارس فرزل وأبو براء زانني ونمـــــاني

وأبُو جريٍ ذو الفَعَال ومَـالِكٌ مَنَعَا الذّمارَ صَبَاحَ كُلّ طِـعَانِ

وإذا تَعَاظَمَتِ الأمُور هوازنـاً كُنْتُ المُنَوَّهَ باسِمِهِ والبانـــي

انه يريد من خلال هذا الشعر تأكيد ذاته وقدراته المتميزه التي تفوق قدرات الآخرين مما يجعله مؤهلاً للسيادة والقيادة في قومه ومثل هذا الفخر نجده عند زيد الخيل[2]:

أنا الفارسُ الحامي الحقيقةَ والـذي لـــه المَكْرُمَـــات واللّها والمآثـــرَ

وقومي رؤوسُ الناس والرأسُ قائدٌ إذا الحربُ شَبَّتْها الأكفُّ المساعـــرُ

بل إننا نرى في البيتين السابقين كيف يحاول زيد الخيل التميز على أفراد قبيلته حتى من خلال فخره بهم، فهم رؤوس الناس وبذلك يكونون أشرف الناس وارفعهم عزاً ومكانة، ولكننا نجده في الوقت نفسه يضع نفسه تاجاً على هذه الرؤوس جميعاً بقوله "والرأس قائد" حيث احرز مكانة متقدمة على بقية أفراد قبيلته عزة ومجداً وعمرو بن معد يكرب يتميز على أفراد قبيلته فهو وسط القبيلة

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ١٣٩-١٤٠.

(٢) شعر زيد الخيل: ١١٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كالكوكب المشرق المضيء[1]:

لما رأَوْني في الكتيفةَ مقْبـــلاً وسطُ الكتيبةِ مثلُ ضوءِ الكوكبِ

وعنترة يتميز من خلال حاجة قومه له في كل شدة ومضيق[2]:

لمّا رأَيتَ القَوْمَ أقبَلَ جمعهُـــمْ يتَذامَرُونَ كـرَرْتُ غيرَ مُـذَمَّمِ

يَدْعُونَ عنْتَرَ والرِّماحُ كأنَّـــها اشطانُ بئرٍ في لبَانِ الأدهـــم

ولقد شَفى نفسي وأذهَبَ سُقمهاَ قيلُ الفَوارِسِ ويكَ عنتَرَ أقـدمِ

ومثل هذا الفخر الذاتي الذي يؤكد ذاتية الشاعر وتميزه ضمن دائرة القبيلة قول الشاعر[3]:

لا يرْهبُ ابنَ العَمِّ مِنّي صَوْلَـةٌ ولا اختتْتَي مِنْ صَوْلَةِ المُتهـدِّدِ

وإنّيَ إنْ اوعـدتُهُ أو وَعَدْتُـــه لأُخلِفُ إيْعادي وأنْجزُ موعُـدي

فمن خلال هذا الخلق الطيب الذي يتمتع به، يتفرد بين أفراد قبيلته

ومثال ذلك أيضاً نجده عند حاتم الطائي بكثرة منه قوله[4]

وما مِنْ شيمتي شَتْمُ ابنِ عَمّي، وما أنا مُخلِفٌ مَنْ يرْتَجينـــي

سأمنَحُهُ على العِلاتِ، حتـــى، أرى، ماويّ، أن لا يشْتَكيـــني

وكِلمَةِ حاسدٍ، من غيرِ جـــرْمٍ، سَمِعتُ، وقلتُ مرّي، فانقديني

وعابُوها، عليّ فلم تَعِبنـــــي، ولم يَعْرَق لها، يَوْماً، جبَينـــي

وذي وجْهَيْنِ يلْقاني طَليـــقاً وليسَ، إذا تَغَيّبَ، يأتسيَنـــي

نظرْتُ بعَينِهِ فكففْتُ عنـــّه، محَافَظَةً على حسَبي ودينـــي

فلُومِيني، إذا لم أقرِ ضيْـــفاً وأكرِمُ مُكْرمِي، وأُهِنْ مهُينـــي

---

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٤٩.

(٢) ديوان عنترة، دار صادر بيروت. د. ت. ٢٩-٣٠.

(٣) ديوان عامر بن الطفيل ٥٨.

(٤) ديوان حاتم الطائي: ٩٠-٩١ ونظر ايضاً: الصفحات ٣٢، ٣٣، ٥٩، ٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فهو لا يشتم ابن العم، ولا يتخلف عن اجابة من يطلبه مهما كانت صفاته، وهو لا يحسد أحداً، ويغض الطرف عن المرائي كرماً في أصله ومحافظة على دينه. إضافة إلى أنه كريم جواد يقري الضيف ويكرم من يكرمه، ولكن هذا الكرم لا يمنعه عن اهانة من يحاول اهانته.

ويؤكد خصاله الحميدة وترفعه عن الدنايا في ابيات أخرى يقول فيها[1]:

كريمٌ، لا أبيتُ الليلَ جـــادٍ ... أعَدّدُ بالأنامِـــل ما رُزِيـتُ
إذا ما بتُّ اشرَبُ فـوْق رِيّ ... لسُكْرٍ في الشرابِ فلا روِيتُ
إذا ما بتُّ اخْتِلُ عِرْس جاري، ... ليخفيني الظلامُ، فلاَ خَفيـتُ
أأفضَحُ جارَتي وأخونُ جاري؟ ... مَعَاذَ اللهِ أفعَـلُ ما حيَيـتُ

ومثل هذا الفخر نجده كثيراً عند عنترة، ومنه يفخر بتميزه قوة واخلاقاً، قوله[2]:

ولقيتُ في قَبْلَ الهَجيرِ كتيبـةً ... فطعـنتُ أولَ فـارس أولاهـا
وضربتُ قرْنَي كَبْشِها، فتجـدلا ... وحملتُ مُهري وَسْطها فمضاهـا
اغشى فتاةُ الحي عنـدَ حليلـها ... وإذا غَزا في الجيش، لا اغشاهـا
واغضّ طرفي ما بدَتْ لي جارتي ... حتى يُـواريِ جارتـي مَأواهـا
إني امرؤ سَمْحُ الخليـقةِ ماجِـدٌ ... لا أتْبِعُ النفسَ اللجوجَ هواهـا

ومثل هذا الفخر نجده أيضاً عند الطفيل الغنوي[3] وعند قيس بن الخطيم حيث يقول[4]:

وإن ضَيّعَ الإخوانُ سِـرّاً فانّـني ... كتَـومٌ لأسـرارِ العَشيـرِ أمـينُ
يَكُـونَ لـهُ عِنْدِي إذا ما ضَمِنـتُهُ ... مقَـرٌّ بسَـوْداء الفُـؤادِ كنَـينُ

---

(١) ديوان حاتم الطائي: ٣١

(٢) ديوان عنترة ومعلقته قام بتحقيقه: شرحاً وتقييماً وتحديثاً: خليل شرف الدين، دارو مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ٧٤-٧٥.

(٣) انظر ديوان الطفيل الغنوي: ٥٩.

(٤) ديوان قيس بن الخطيم: ١٦٣-١٦٦ وانظر أيضاً شعره في الصفحة ١٢٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

سَلي مَنْ نَديمي في النَّدامى ومألفي ... ومن هُوَ لي عِندَ الصَّفاء خَدِينُ
وأيّ اخي حرب إذا هيَ شَمَّرَتْ ... ومِدرَهُ خَصمٍ بعَدَ ذاكَ أكونُ
وهل يَحذَرُ الجارُ الغَريبُ فجيعتي ... و خوني، وبعض المقرفين خؤون
وما لمَعَتْ عيْني لغِرّةِ جارةٍ ... ولا ودَّعَتْ بالذَّمّ حِين تبين
أبى الذَّمّ آباءٌ نمَتْني جُدُودهُمْ ... ومجْدي لِمَجْدِ الصَّالحِينَ مُعينُ
فذلك ما قَدْ تعْلَمِينَ، وإنّني ... لجَلدٌ على رَيْبِ الخُطوبِ متِينُ
أمِرٌّ على الباغي ويَغلظُ جَانبي ... وذُو القَصْدِ أحْلَولي لهُ وألِينُ
وإني لأعتَامُ الرِّجالُ بخِلّتي ... أُولي الرأي في الاحداثِ حِينَ تحِينُ

وقد درس التميز الفردي من خلال الفخر بالذات عبد الغني زيتوني فقال: «إذا كان الإنسان العربي قد رفع قبيلته إلى الذروة في البأس والشجاعة والسجايا الحميدة، وكاد صوته يتلاشى في صوت الجماعة، فإنه في كثير من الاحيان شمخ بنفسه وتطاول بها حتى جعلها في منزلة تضاهي منزلة القبيلة إذ لم يدع صفة من صفات البطولة والفتوة إلا الصقها بها، ولا خصلة من خصال النبل والشرف إلا جعلها ميزة من مزاياها»[1] وقد قرانا امثلة لهذا الشعر الذي يرتفع فيه صوت الأنا الفردية مؤكدة ذاتها وفاعليتها وقدرتها في شعر عامر بن الطفيل وزيد الخيل الطائي وقيس بن الخطيم «ومن يتصفح الشعر الجاهلي يجده زاخراً بفخر الفرد بنفسه، وأعلاء مكانتها، ورفع شأنها. غير أن هذا الفخر يتفاوت بين شاعر وشاعر»[2] هذا ما يؤكده عبد الغني زيتوني مضيفاً أن هذا النوع من الفخر هو «الذي ينزع فيه الفرد إلى ابراز الذات وتضخيمها واعلاء صوتها حتى ليطغى احياناً على صوت الجماعة»[3]. على أن الكثير من الشعر الذاتي الذي قاله الشاعر مفتخراً بنفسه بصوت مرتفع مجلجل كان ناتجاً عن الضعف والعجز الذي يسيطر على مشاعره وعلى تفكيره، ولأن الشاعر لا يستطيع التعبير عن ضعفه في مجتمع لا يؤمن بغير القوة فكان لا بد له أن

(١) النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي: ٢٣.
(٢) المصدر نفسه: ٢٤.
(٣) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

يحيل عجزه وضعفه إلى قوة ونصر، ولكننا نستطيع أن نلحظ ذلك الضعف الذي كان سبباً في الفخر من خلال فخر الشاعر الذي يحاول أن يبرر فيه قوته والأعمال التي قام بها فآلت به إلى حال من الضعف.

ومن خلال فخره الذي تشي ابياته نفسها ولو درسناها بعمق بذلك الضعف الذي يحاول اخفاءه، وقبل دراسة بعض الأمثلة التي توضح ما ذهبت إليه اسوق رأياً لمصطفى ناصف في معرض حديثه عن الفخر ودراسته لمضامينه الخفية يؤكد ما اتجه إلى اثباته حيث يقول: «وكل تعبير صرف عن القوة مشكوك فيه لأن الإنسان يتعرض كثيراً للشعور بالعجز أو الوحدة أو مشقة التكيف الاجتماعي أو الحاجة إلى مالا يستطيع أو ما لا يحبه»[1]. كما يقول أيضاً في تعليق على ابيات شعرية عُدت من الفخر «وواضح ما في هذا الشعر من نغمة لا علاقة لها بالفخر والقوة. والإنسان يجد مشقة في التعبير عن مشكلاته لأنه يحب أن يظهر بمظهر القادر على التكيف الاجتماعي. وكان التعبير عن الضعف نوعاً من التخاذل عن المجتمع الذي تستقر صورته في نفس كل انسان»[2] ومثل هذا الرأي يوضح كيف كان العربي يهزم من قبل العدو فيفخر محولاً الهزيمة إلى نصر، ويكره الحرب ويرهبها فيظهر بأنه يعشق ساحات الوغى ويلقى بنفسه فيها عن طيب خاطر ولأتفه سبب، ويشعر بالضعف والعجز تجاه القوى البشرية والطبيعية التي تمثل خطراً بالنسبة له فيفخر أيضاً.

في المثال التالي يشعر زيد الخيل بضعفه ولكنه لا يبوح به مباشرة إنما يعترف به عن طريق المرأة التي تستنكر ما آل إليه من ضعف ويحاول أن يعزو أسباب ضعفه إلى أعماله البطولية المتواصلة كونه فارساً يقول[3]:

رأتني كأشلاءِ اللِّجامِ ولن تَرى ... أخا الحربِ إلاّ ساهَمَ الوجهِ أغبَرا

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها ... وإن شَمَّرت عن ساقِها الحربُ شمّرا

---

(١) اللغة بين البلاغة والأسلوبية: ٣٥٨.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٧.

(٣) شعر زيد الخيل: ١٠٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فلا تَسْأليني وأسألي: أيّ فـــارسٍ إذا الخيـلُ جالت فـي قنًا قـد تكسَّرا

وإنّي ليَغْشى أبْعَـدَ الحـــيّ جَفْنَتـي إذا وَرَقُ الطَلَـح الطِّـوالِ تَخسَّـرا

أن فخر الشاعر بنفسه جاء تبريراً لضعفه الذي كشف عنه البيت الأول حيث شبه نفسه بـ "أشلاء اللجام" وهو يشعر بالتمزق في نفسه لهذا الضعف، فيحاول تجاوزه من خلال تبريره لذلك بأنه ابن حرب، وابن الحرب لا يرى إلا ووجهه عابساً مغبراً.

وعندما يصف نفسه بأنه ابن حرب يأخذ بتفصيل الحديث في محاولة لتقريب نفسه إلى موضوع كريه إليها، بينما هو يحاول أن يقنعنا بأنه محبب لنفسه وهو الحرب. فتارة يصف نفسه بأنه ابن الحرب وتارة بأنه أخوها، ولكن حتى من خلال هذه الأبيات التي يفخر بها أنه ابن حرب نستطيع أن نحس ببغضه للحرب الذي يحاول أن يخفيه فنكتشفه من خلال اسلوبه التعبيري في البيت الثاني فهو (أن عضت به الحرب عضها). فالشاعر لا يقبل على الحرب ويقدم عليها كما يجب وإذا ما تمعنا تعبيره نجد أن دوره دفاعيٌ بالدرجة الأولى و "عضت" تلك تشي بالقسوة التي يستشعرها من فتك تلك الحرب به، فلا يجد. والحال كذلك إلا أن يقابلها بالمثل. والشطر الثاني أيضاً «وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا» يكشف بأن دور الشاعر تجاه الحرب دفاعي فلا يبادرها إلا إذا بادرته.

وفي البيت الثالث يطلب إلى تلك المرأة أن لا تسأله عن سبب ما وصل إليه من حال ومن حيث كونه "كأشلاء اللجام" وأن وجهه أصبح عابساً أغبر بل لتسأل عنه في ساحة الوغى حيث تتشابك القنا وتتكسر، لتسأل هناك أي فارس هو؟ ولا بد أن الأجابة التي يريد أن تسمعها هي أنه من أقوى الفرسان وأثبتهم وأكثرهم شجاعة وفتك بالأعداء. ونجد من خلال حديث الشاعر عن الحرب وملازمته لها وعن فروسيته تأكيداً على جانب القوة الذي أصبح يفتقده. أما في البيت الأخير فنجد فيه تأكيداً على جانب الكرم عنده. ففي وقت الجدب والقحط تجد طعامه وخيره يعم البعيدين إضافة إلى المحيطين به والقريبين منه. وهكذا يتبين كيف يحاول الشاعر أن ينفي الضعف عن نفسه أو يبرره من خلال وصف قوته وفروسيته ومؤاخاته للحروب ومن خلال وصف كرمه الذي يعم الجميع وبهذه الطريقة نجد الفخر تخطياً للضعف ليس إلا.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وعامر بن الطفيل الذي يعتز بفروسيته وسيادته وزعامته نجد في بعض شعره حساً واضحاً بالخوف والضعف منه قوله يفخر بنفسه مع أنه يستجير بشخص معين[1]:

وكنت سناماً من فزارة تامكاً ... وفي كل قوم ذروة وسنام

فنكبت عني الشارعين ولم أكن ... مخافة شر الشارعين أنام

فعامر يفخر بأنه قد كان رجلاً عظيماً كبيراً في فزارة وإذا كان لكل قوم ذروة وسنام فهو ذروة قومه وسنامهم ومع ذلك فإنه إذ كان مهدداً لم يكن يستطيع النوم أرقاً وقلقاً وخوفاً من أولئك الذين يهددونه فنرى كيف يلتقي الفخر بالذات وتوكيدها مع الشعور بالضعف والإحساس بالخوف.

وفي مثال آخر من شعر عامر بن الطفيل نستطيع ان نقرأ حس الضعف في نفسه ونتحسسه من خلال الابيات نفسها:[2]

لَقَدْ عَلِمَتْ عُلْيَا هَوَازِنَ أَنَّنِي ... أَنَا الفَارِسُ الحَامِي حقيقة، جَعْفَرِ

وَقَدْ عَلِمَ المَزْنُوقُ أنّي أكُرُّهُ ... عَشِيَّةَ فيَفِ الرِيّحِ كَرَّ المُشَهَّرِ

إذا ازْوَرّ من وقْعِ الرِمَاحِ زَجَرْتُهُ ... وقُلْتُ له أرجِعْ مُقبلاً غيرَ مُدبِرِ

وأنبّأتُهُ أنّ الفِرارَ خَزَايَةٌ ... على المرءِ ما لم يُبلِ عُذراً فيُعْذَرِ

ألستَ تَرَى أرْمَاحَنَا فيّ شَرّعًا ... وأنتَ حِصانٌ مَاجِدُ العِرْقِ فاصبِرِ

أردتَ لكيمَا يعلَمَ اللهُ أنّني ... صَبَرْتُ وأخشَى مثلَ يومِ المُشَقَّرِ

لعَمْرِي وما عَمْرِي عَلَيّ بهَيِّنٍ ... لقَد شانَ حرّ الوَجْهِ طَعْنَةُ مُسْهِرِ

فبئسَ الفتى إنْ كُنْتُ اعوَرَ عاقِرا ... جَبَاناً فما عذري لدَى كلّ مَحْضَرِ

وقَدْ عَلِمُوا أنّي اكُرّ عَلَيهِمِ ... عَشِيَّةَ فيفِ الرِيحِ كَرَّ المُدَوِّرِ

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل ١٢٦-١٢٧.

(٢) ديوان عامر بن الطفيل: ٦١-٦٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© ArabicDigitalLibrary-Yarmouk University

وما رِمتُ حتى بَلَّ صَدّري ونحـرَهُ نَجيعُ كَهَـدّابِ الدِّمقَـسِ المُسَـيَّرِ

أقـولُ لنفسٍ لايجُـاد بمثلـها أقلي المِـراحَ أننّـي غيرُ مقصُـرِ

في هذه الابيات تبدو نغمة الفخر الذاتي مسيطرة منذ البيت الاول وبشكل لا يدعو إلى الشك. فقد علم الجميع انه هو «الفارس الحامي الحقيقة» ولكن لو أكملنا قراءة هذه الابيات في شيء من التأني لوجدنا انه يصح ان تقرأ تحت عنوان «رثائية الفخر» وليس تحت عنوان «الفخرالذاتي المجلجل»، ففي الوقت الذي اراد الشاعر ان يؤكد ذاته من خلال هذا الشعر، المحّ من حيث يعلم أولا يعلم بكل مكنونات الضعف والخوف المسيطرة عليه والتي دفعته لقول هذا الشعر الذي يحمل حس المأساة في طياته، واول ما ندرك هذا الحس المأساوي الذي يسيطر على الشاعر ندركه من خلال اسقاطه صفات الضعف او الخوف التي يشعر بها على فرسه «المزنوق» فهو إذ يكره في يوم «فيف الريح» يحاول الازورار، والميل عن الطعن والابتعاد عنه ولكن الشاعر يعيده إلى حلبة الصراع قائلاً له: «أرجع مقبلاً غير مدبر» ويخبره كذلك «أن الفرار خزاية» على المرء في ساحة الوغى أن لم يكن له عذراً يعذره به الناس. ويبدو أن الفرس هو امتداد لنفس الشاعر التي رهبت الحرب وتمنت الفرار وما منعها إلا الخزاية أمام الناس، إذا ليس أمامه عذر يعذر به إذا ما فرّ من ساحة الوغى وقوله «إن الفرار خزاية على المرء» يؤكد أن الحديث كان موجهاً إلى نفسه من خلال التصريح بأنه خزاية على "المرء" وليس "الفرس" التي يحاول ايهامنا بأنها هي الضعيفة والخائفة التي تريد أن تفر مهما كلف الأمر ولكن القيود الاجتماعية هي التي تمنعه إذ أن أول صفة يمكن أن تطلق عليه هو أنه جبان وهذا ما ينبذه المجتمع الجاهلي مما يجعله يستمر في القتال مع أن رماح الاعداء موجهة إليه فيقول له "وانت حصان ماجد العرق فاصبر" في حين أنه كان يريد أن يقول لنفسه بدلاً من هذا أنت فارس ذو حسب ونسب يوجب عليك المتابعة والاستمرار والصبر. والبيت السادس يكشف بشكل أوضح أن كل الضعف والخوف ونية الفرار ومن ثم الصبر في ساحة الوغى إذ ليس هناك مبرراً له أمام الناس أن هو فرّ هي أفعال وأرادات عامر نفسه. وأن قسمه " بعمره" في البيت السابع ومن ثم اخباره بأن عمره عزيز عليه

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

"لعمري وما عمري عليّ بهين" يؤكد بأنه كان يصور نفسه أكثر من تصويره لفرسه، وفي حين يؤكد لنا أن عمره ليس بالشيء الرخيص عنده يؤكد بأنه ليس بالجبان كي يفر وكيف يمكن أن يعذر أصلاً لو فعلها؟ ويؤكد البيت العاشر ما ذهبت إليه من أنه حريص على نفسه وحيانه، فهو يؤكد بأن هذه النفس لا يجاد بمثلها ومع ذلك فهو ينصحها بأن تقل المراح، إذ أنه لن يقصر ولن يكون جباناً. فالشاعر كان حريصاً على حياته ويخشى الموت ايما خشية وقد ضعفت نفسه وخافت ايما ضعف وخوف. يؤكد هذا البيتان الأخيران حيث يتضح بان قوم لشاعر كانوا قد هزموا في ذلك اليوم، محاولاً تبرير تلك الهزيمة بكثرة الاعداء ذوي الحسب وكثرة حلفائهم:(١)

فَلَوْ كانَ جمْعاً مِثْلَنَا لم يَبزُنَا ولَكِن أتَتْنَا أُسْرَةٌ ذاتُ مفَخَرِ

اتونا بثهلان العريضة كلها وأكلب طراً في جياد السنور

مما يعني ان المعركة كانت قد ضيقت عليهم فأحس عامر بالضعف والخوف مما جعله يفكر بالفرار، على انه حاول اقناع نفسه واقناعنا بانّ فرسه هي التي كانت تعاني وهي التي كانت تريد الفرار وفي شعر عمروبن معد يكرب يختلط الفخرالذاتي بحس الخوف الى ان يصل ذلك الفخر عنده حد الرثائية يقول:(٢)

اعددتُ للحدَثانِ سا بغةً وعَدَّاءً عَلَنْدي

نَهْداً وذا شطَبٍ يَقُدّ البَيْضَ والأبدان قَدا

وعلمتُ أني يومَ ذا كَ منازلٌ كعباً ونَهدا

قوم إذ لبسوا الحديد تنمردا حلقاً وقدا

كل امرئ يجرى إلى يوم الهياجِ بما استعَّدا

لما رأيتُ نساءنا يفَحّصْنَ بالمعزاء شدَّا

وبَدَتْ لَيسَ كانها بدرُ السماءِ اذا تبدى

وبَدَتْ محاسنها التي تخفى وكان الأمر جدا

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ٦٥.

(٢) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٦٣-٦٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

نازلت كبشهـــم ولـــم أرمن نزال الكبش بـدا
هم ينَذرُونَ وهـي وأنـ ـذَرَ إن لقيتُ بأن أشُـدا
كم من اخٍ لي صالـــحٍ بوأتـه بيـــدّي لحـدا
ما ان جزِعتُ ولاهلِـعـ ـتُ ولا يرُّد بكايَ زَنَّـدا

فمنذ بداية الابيات يتضح ان الشاعر يرهب نوائب الدهر. وان هذه الرهبة هي التي جعلته يستعد فيجهز اسلحته وفرسه لحين الحاجة، وهو يفخر بكل هذه الامور أو قل انه يستمد القوة منها من حيث انه يستشعر الضعف فيجد فيها عزاء يعوض حسه بذلك الضعف. فلعل فرسه الغليظة وسيفه القاطع الشديد يساعداه، إذ علم انه لا بد ان يقاتل «كعباً ونهداً»، والذي يظهر تخوفه منهم من خلال وصف قوتهم في البيت السادس ويؤكد في البيت السابع بأنه قد استعد للقائهم بهذه الاسلحة وبهذا العتاد وهم كذلك استعدوا بلا شك، فكل «امرئ يجري إلى يوم الهياج بما استعدا»، وان هذا الأستعداد والاعداد المسبق من قبل الشاعر يشي بمدى خوفه من الاعداء ايضاً. وفي البيت الذي يفخر فيه بمنازلة كبشهم «البيت الحادي عشر»، نجد ان هذا الفخر ايضاً يكشف عن ضعفه وخوفه. فهو وان نازل رئيسهم فلم ينازله الا عندما وجد انه لا بد من المنازلة وعندما رأى فزع نسائهم وليس منهن قد بدت محاسنها وكادت تكون سبباً للاعداء، ولا اعتقد ان هذه المنازله تحتاج من الشاعر الى فخر إذ انها كانت دفاعاً لا بد منه أجبر عليه الشاعر امام الحال التي آلت اليه نسوتهم ومنهن لميس وامام نذر هؤلاء الاعداء لدمه يقول:

«هم ينَذَرُون دمي وانـ ـذِرَ ان لقيتُ بان أُشُدّ»

فبدلاً من ان ينذر دمهم مثلاً، كونه فارساً مغواراً شديداً كما يوصف، فلا يكون منه إلا ان ينذر ان لقيهم ان يشد في القتال كي يحافظ على نفسه وعلى دمه الذي نذروه، وامام هذا التهديد من الاعداء بنذرهم دمه يأتي بنوع آخر من الفخر هو الصبر على المصائب وعلى موت احبائه دون ان يجزع او يهلع كما ترى في البيتين الأخيرين، واعتقد ان فخره بالصبر على فناء اصحابه اتى نوعاً من العزاء لنفسه وقد جاء هذا الفخر نتيجة احساسه بان نهايته قد تكون قريبة كنهاية هؤلاء الاصحاب

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الذين بوأهم قبورهم واستحضار هذه الصورة لاصحابه تشي باحساسه بعظمة الموت وكيف يمكن ان يكون هذا الموت الرهيب مصيره. واستشعار الموت هذا اتى نتيجة شعوره بقوة الاعداء وخوفه من نذرهم لدمه مما جعل فخره يتوشى بحس رثائي يتكشف عن ضعف اكثر مما يتكشف عن قوة.

وقد يأتي الفخر الذاتي نتيجة احساس الشاعر بالعجز الذي هو نتيجة طبيعية للشيب الذي يدب في رأسه وتنكره عليه النساء او المرأة الحبيبة، ولا تقطع علاقتها به نتيجة ذلك الشيب، والحقيقة ان هذا الشيب يؤرق الشاعر أكثر من اي شخص غيره. والدليل على ذلك انه يحاول بعد ذكره لهذا الشيب ان يتجاوزه بأظهار قوته وبطولته محاولاً ان يلفت نظر المرأة، التي قد تكون هي نفس الشاعر المعذبة نتيجة ظهور ذلك الشيب، الى تلك القوة والبطولة التي تبطل مفعوله.

ومن الأمثلة على شعر الفخر الذي يقوله الشاعر في محاولة لتجاوز الاحساس بالضعف او العجز الناتج عن الشيب قول عمرو بن معد يكرب:(١)

تقولُ حَليلتي لمـــا قَلَتْنـي شَرَائجُ بين كُـدْرِيٍّ وجُـوْني
تَرَاهُ كالثَّغام يُـعَلُّ مِسكـاً يَسوءُ الفالياتِ اذا فَلَيْنـي
فزَيَّنْكِ في شريطكِ أُمُّ عمرٍو وسابغةٌ وذو النُونين زيَنّـي
فلو شَمَّرْنَ ثم عَدَوْنَ رَهْـواً بكلِّ مدَجَّجٍ لَعَـرَفتِ لَونـي
إذا ما قلـتُ: إنَّ عَلَيَّ ديـْناً بَطعنةِ فارسٍ قَضَّيْتُ دينـي

لقد احس الشاعر بالشيب يخالط شعره وقد كرهته حليلته. ولانه يحاول ان يتقبل هذا الشيب ويجعل منه امراً محبباً لنفسه يشبهه بصورة جميلة، فهو كنبت له نور ابيض رائحته زكية كالمسك، ولكنه-مع ذلك- يسوء النساء ويسوء حليلته، وحيث يجد موقفها من هذا الشيب هكذا فانه يعقد مقارنة ما بين زينتها وزينته مثبتاً بان زينتها في امور فارغة لا قيمة لها -بالنسبة له- كالألبسة او الطيب بينما زينته في سلاحه ويبدأ يعلمها بقوته التي لا تعرفها الا اذا رأت فعله وبطولته

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب ١٦٨.١٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عندما تشمر الخيل التي يعتليها الفرسان المدججون فيثبت في القتال بطولته وتعرف تلك المرأة لونه.

وفي المثال التالي من شعر عامر بن الطفيل يبدو الخوف من الموت والاحساس بوطئه الهم والعجز الناتج عن الشيب الذي خالط شعره هو الدافع لفخره بذاته حيث يقول[1]

رَهِبتُ وما مِنْ رهَبةِ المَوْتِ اجـزَعُ ... وعالجْتُ هَمّاً كنـتُ بالهـمّ أولـع

وليداً إلى أنْ خالَطَ الشّيبُ مفرَقي ... وألبَسَنـي منهُ الثّغـامُ المنـزّع

دعَـانـي سميُـطٌ يومَ ذلِك دعْـوَةً ... فَنَهنَهْتُ عُنْـهُ والاسِنّـةُ شُـرَّعُ

ولوَلا دِفاعي عَنْ سمُيَـطٍ وكَرتـي ... لعَـالَجَ قِـدّاً قَفْلُـهُ يتَقَـعقَـعُ

والجدير بالملاحظة ان فخره أتى بحادثه كانت في الماضي عرض فيها قوته وشجاعته وبطولته وهذا يدلل على انه يريد ان يبعث هذا الماضي بما فيه من حيوية وقوة وفاعلية وسط حاضره الخاوي التعيس بسبب الهم والشيب والموت الذي يرهبه، فان اقحام الماضي على الحاضر في محاولة لبعثه من جديد كان يقوم بها الشاعر كي يستشعرالأمن الذي يفتقده من خلال شعوره بالعجز في الحاضر والشاعر كما سبق واشرت لا يستطيع التعبير عن ضعفه او خوفه بشكل مباشر لان المجتمع كان يرفض ذلك الضعف ولا يؤمن به، فيحاول هو ان يخفيه ويتصدى له، وان يعالجه من خلال استحضاره للماضي يقول يوسف اليوسف «وهنا نشعر ان الرغبة في الرد على التحدي او الرد على مصدر اللأمن، انما هي نوع من معارضة ما يقوم في النفس سلفاً (الخوف) والتغلب عليه بفعل عكسي هجومي من شأنه ان يؤكد الذات ويعززها[2]

وكثير من شعر الفخر الذاتي جاء نتيجة الاحساس بالموت والرهبة منه. كمحاولة لتجاوزه، وسأورد مثالاً على ذلك قصيدة بشر بن أبي خازم وقد كان يعالج الموت حقيقة ويستشعره، إذ اتته طعنة فأخذ يتألم ويتذكر ابنته التي تنتظر ايابه

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ٨١-٨٢.

(٢) تحليل معلقة امرئ القيس: ٧٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

بالنهب والغنائم. ومع استشعاره الموت الذي سيداهمه يأتي بالفخر العريض ببطولاته الماضية محاولة منه لاستعادة توازنه النفسي من خلال استحضاره الماضي المفعم بالقوة امام الحاضر الذي يسيطر عليه الاحساس بالموت والفناء وابيات القصيدة تقول:(١)

اسائلهُ عميْرةُ عَنْ أبَيـــــها ... خِلَال الجَيشِ تَعترفُ الرِّكـابَا
تُؤمَـلُ أنْ اؤوب لهـا بنَهْـبٍ ... ولَمْ تَعْلَمْ بـأنَّ السَّهـْم صابَـا
فإنّ أبـاكِ قَدْ لاقى غُـلامـاً ... من الأبناءِ يَلتهـبُ التِهابَـا
وانّ الوائليَّ اصـابَ قَلْـبي ... بسَهم لم يُكْن يُكسَى لغابَـا
فَرّجي الخير وانتظري إيابـي ... إذا ما القارظ العـنزي أبـا
فمَنْ يَكُ سائلاً عن بَيتِ بشـرٍ ... فإنّ له بجَنبِ الـرَّدّه بابَـا
ثوَى في مُـلْحدٍ لابُدَّ منْـهُ ... كفَى بالمَـوتِ نأيًا واغترابـا
رهِينَ بِلَى، وكلُّ فتًى سيَبْلَـى ... فَأذْرِي الدَّمْعَ وانتَحبي انتِحابَا
مضَى قصْدَ السَّبيل، وكلّ حَـيٍّ ... إذا يدْعَـى لِميتَتـهِ أجَـابَـا
فإن اهلِكْ عمير فرُبَّ زحـفٍ ... يشبُّهُ نَقعـه عـدواً ضَبابـا
سموتُ لهُ لألـبسهُ بزحـفٍ ... كمـا لفتْ شآميةٌ سَحَابَـا
علَـى رَبذٍ قوائمُـه إذا مـا ... شأتُه الخيلُ ينسَربُ انسِرابَـا
شَديدِ الأسرِ يحَملُ أرْيحيـّـاً ... أخا ثقةٍ إذا الحدَثانُ نابَـا
صَبُوراً عنْدَ مُخْتَلَفِ العَوالِـي ... اذا ما الحَرْبُ أبرزتِ الكَعَابَـا
وطالَ تَشاجُرُ الأبطال فيـها ... وأبـدَتْ ناجذاً منـها ونابَـا

والجدير بالذكر ان هذه الابيات يمكن ان تقسم إلى جزءين: الجزء الأول يصور ابنته التي تنتظر عودته من تلك الغارة وكيف اصابه سهم العدو، وأتى منه على مقتل، فيصبح انتظارها له محضّ خيال، اذا انه سيدفن في «الردهّ» بعيداً عن اهله

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ٢٤-٢٨.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وديارة (البيت السادس) ثم يصور نفسه وقد ثوى في قبره هناك (البيت السابع)، ويبدو أن الغربة بانواعها قد سيطرت عليه فبعده عن اهله وديارة غربة وإصابته وألمه الجسدي غربة اخرى، أما الغربة الكبرى فهي تتمثل في الموت فلا رجعة منه ولا عودة منه إذا وقع (كفى بالموت نأيا واغترابا) فلا غربة الديار وبعدها كغربة الموت وبعده، ولها غربة الألم والمعاناة الجسدية او المرضية كمثل غربته، فإذا أتى فانه لا راد عنه «وكل حي إذا يدعى لميتته أجابا» والجزء الثاني من القصيدة يصور فيه بطولته الخارقة في محاولة لتأكيد ذاته والتصدي لذلك الموت والبيت الذي يصل بين الجزءين في القصيدة هو:

فإنْ اهلِكْ عُمَيْرَ فَرُبَّ زَحْفٍ يُشَبَّه نَقْعُهُ عَـدواً ضَبابـا

ثم يستمر في وصف شجاعته وبطولته فأمام ذلك الموت او كل «تلك الصخرة العاتية التي طالما تحطمت فوقها امال البشرية»[1]. تجد الشاعر يستحضر الماضي بكل ما فيه من بطولة في قتال الاعداء وطعانهم والهجوم عليهم والفتك بهم بسرعة لا مثيل لها على ظهر فرس شديد سريع يوثق به عند وقوع حوادث الدهر ونوائبه.

إن استحضاره لهذا الماضي الممتلىء ما هو الا محاولة للخروج من حالة العجز أو اليأس او الخوف التي يستشعرها امام الموت الذي دب الرعب والجزع والفزع في قلبه وفي هذا المقام اذكر رأياً لأحسان سركيس في بطولة الفرسان بشكل عام يساند ما ذهب اليه في تحليل شعر الفخر الذاتي الذي يأتي كرد فعل ومحاولة تصدٍ للموت والفناء والضعف والعجز يقول: «ان الطعان والبراز وقطع الفلوات والتعرض للمخاطر الموت والحركة والرشاقة للتين يمثلهما الفرسان على صهوات جيادهم او ظهور ابلهم، انما تمثل صورة الخروج على المأساوي والحتمي، تمثل في وقت معاً التمزق ويد الغوث فكأنها رحمة تأتي من سعار الحياة وجمال الأشكال، انها صورة الحكم وصورة الطعن فيه»[2].

---

(١) زكريا ابراهيم، مشكلة الانسان، ملتزم الطبع والنشر، مكتبة مصر، الفجالة القاهرة، د.ت، ١١٦.

(٢) احساس سركيس، مدخل الى الأدب الجاهلي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ١١٠-١١١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

لقد احس الشاعر الجاهلي بالموت احساساً حاداً[1] وكان رد فعله على هذا الاحساس في أحد وجوهه هو ان يلقي بنفسه ألقاء في ساحة الوغى فأنظر عنتره العبسي يقول[2]:

هلاَّ سألتِ القوم يا ابنَةَ مَـالكٍ ... إنْ كُنت جاهِلةً بما لم تَعْلمِـي

يخْبِرك من شهِدَ الوقائع أنّـي ... أغشى الوَغَى وأعِفُّ عِندَ المَغنمِ

إن الشعر الذي يصف عنترة نفسه به- كما يصف كل الفرسان انفسهم- يغشى ساحة المعركة وغمرة الموت رغبة في الموت واستباقاً له واستهانة بالحياة، وزهداً بها هو محاولة تصدٍ وردة فعل على عظم الحس بالخوف والقلق ازاء هذا الموت الذي ينتظره ويتربصه في كل لحظة وفي كل حين واعتقد ان القاء الفرسان أنفسهم في ساحات الوغى وفي المخاطر هو محاولة للابقاء عليها وعلى حياتهم. حيث ان من دخل المعركة وقاتل ببطولة ربما يكون النصر حليفاً له فيفوز بالحياة اما من تخاذل وتناذل وبقي بعيداً عن ساحة الوغى والقتال فلا بد ان يد العدو ستناله بسهوله وبهذا يكون الموت المحقق هو مصيره الأكيد.

إذن فملاقاة المخاطر هي اسلوب من اساليب حفظ الحياة والابقاء عليها وانظر قول عنترة ايضاً:[3]

بَكَرتْ تخَوّفُنِي الحُتوفَ كأننَّـي ... أصبَحْتُ عن عرَضِ الحُتوفِ بمعْزلِ

فأجبتَـها ان المَنيّـة منهَـلٌ ... لا بُدَّ أنّ أُسقى بكأسِ المنهَـلِ

فاقني حياءَكِ لا أبالَكِ وَاعلمـي ... أني امرُؤ سأمُـوت إن لم أُقتَـلِ

ان المَنيّـة لو تمـثّل مثّلـتْ ... مِثلي إذا نَزلُوا بضَنْكِ المـنزلِ

---

(١) انظر: عبده بدوي: الشعراء السود وخصائصهم في االشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨، ٢٩٣.

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، (مختارات من الشعر العربي) شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت. ط١، ١٩٩٢، ٢/١١٧، ١١٨.

(٣) اشعار الشعراء الستة الجاهليين:٢/ ١٣٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

إذن فالشاعر يرد العاذلة التي تخوفه الموت وتعنفه على ركوبه المخاطر ويخبرها بحقيقة واقعة وهي ان كل انسان لا بد ان يلحق به الموت، من خلال تشبيهه المنية بالمنهل وانه لا بد ان يسقى بكأس ذلك المنهل، فيعنفها لمحاولتها اخافته من الموت، ويخبرها بانه سيموت ان لم يقتل فالموت هو النهاية الحتمية لكل حي، وما دامت النهاية واحدة فلماذا لا يقدم على القتال ليعد من أكرم الرجال؟. ثم في محاولة له لتجاوز ذلك الاحساس العميق بالموت، وذلك الخوف منه الذي جاء به على لسان العاذلة في محاولة لاخفائه إذ يرى ابراهيم سنجلاوي في تعليقه على هذه الابيات ان الشاعر «يحاول ان يبعد عن نفسه هذا الخوف بنسبته الى العاذلة التي يصورها بأمرأة تخوفه من الموت، وكأني به لا يريدان ان يعترف بإن ما يخيفه هنا هو هذا الجانب المتعقل من نفسه، فيتجاهل هذا الصوت الداخلي، وينقله إلى الخارج، أي العاذلة»[1] في محاولة لذلك التجاوز تجده يشبه نفسه بالموت بل العكس هو الصحيح «فلو برزت المنية في صورة فارس لكانت عنترة»[2] ان كل ما سبق يعتبر رد فعل على الاحساس الحاد بالموت كمشكلة تؤرق نفسه.

وإذا قرأنا ابيات سلامة التالية:[3]

تقَولُ ابنتي: إنّ انطلاقَكَ واحداً ... الى الروَّعِ يوماً تاركي لا أَباليا

دَعينا من الإشفاقِ او قدَمّي لنا ... مِن الحَدَثانِ والمَنيَّةِ راقيا

ستَتلُف نفسي، أو سأجمعُ هَجمَةً ... تَرَىَ ساقِيَيْها يَألمانِ التَّراقيا

فحوار الشاعر مع ابنته كحوار عنترة مع عاذلته يشف عما في نفس الشاعر من الخوف تجاه الموت ولكن سلامة كسابقه، يعزم على الانطلاق الى الحرب لان المنية هي المصير النهائي. ولذلك فهو يسعى إلى نوعٍ راقٍ من هذه المنية الذي لا يكون الا

---

(١) ابراهيم سنجلاوي، العاذلة في الشعر العربي، المجلة العربية للعلوم الانسانية تصدر عن جامعة الكويت، اعداد الثامن والعشرون المجلد السابع، خريف ١٩٨٧.

(٢) ماهر حسن فهمي، قضايا في الأدب والنقد، دار الثقافة، قطر، الدوحة، ١٩٨٦، ٥٩.

(٣) ديوان سلامة بن جندل: ٢٠٠-٢٠١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

في انطلاقه الى الروع والقتال وبما ان نهايته الموت فربما تكون نتيجة الحرب ان كُتبت له الحياة الفوز بالغنيمة والتي هي في ذلك الوقت سبب حياة إضافة الى بقائه حياً « فما دامت الحياة نهايتها الموت ينتصر علينا في النهاية، فلننتصر عليه الى ان تأتي هذه النهاية، وكل حرب يخوضها الفارس فيها معنى هزيمة الموت، ما دام الفارس يخرج منتصراً، انه ينتصر على الموت»[1] انه ينتصر على الموت الذي يستشعره بشكل حاد.

وقد أخذ الاحساس بالموت وبوطأته واستحالة الخلود شكلاً آخر عند بعض الشعراء الفرسان. فكان رد الفعل عليه تكريس قيمة الكرم واستعمال الجود وسيلةً للخلود، وأكثر ما يظهر ذلك في شعر الفخر عند حاتم الطائي على اعتباره أكثر الفرسان جوداً آنذاك.

في البداية يقرر حاتم فلسفة معينة في انفاق المال فلا بد لمن كان معه مال ان ينفقه في سبيل الكرم الذي يجعل الناس يحمدونه ويثنون عليه والا فإن المال سيبقى بعد موت صاحبه ويتقاسمه الوارثون.

اذن، فالاحساس بالموت المقبل لا محالة ومحاولة الحصول على ثناء الناس وحمدهم الذي يترك له بعد مماته هو سبب من اسباب الكرم[2]:

إذا انتَ أعطيتَ الغِنى ثمّ لم تَجُد بفَضْلِ الغِنى، ألفيتَ ما لكَ حامدُ
وماذا تَعَدّيَ المالُ عنكَ وجمعَـــهُ اذا كانَ ميراثاً، ووارثكَ لاحـــــدُ

وسنرى ان هذه الفلسفة هي التي توجهه في انفاق ماله مهما عذلته العاذلة، او لنقل عذلته نفسه، فيقول اثر عذلها له[3]:

ذَريني وحالي، ان مـــالكِ وافِـــرٌ وكل امرِىءٍ جارٍ على ما تَعَـــوّدا

---

(١) ماهرحسن فهمي، قضايا في الادب والنقد، دار الثقافة، قطر- الدوحة ١٩٨٦، ٥٨.

(٢) ديوان حاتم الطائي: ٣٨.

(٣) المصدر نفسه: ٤٠-٤١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذَريني يكُن مالي لعِرْضي جنّـــةٍ يقي المالُ عِرْضي، قبل أن يتَبَـدّدا

أريني جَواداً مات هَزْلاً، لعَلّنـــي أرَى ما تَرَيْن، أو بخيلاً مُخَلّـــدا

يقولونَ لي: أهلكتَ مالك فاقتصِدْ وما كنتُ، لولا ما تقولونَ سيـــدا

في هذه الأبيات نجد ان الشاعر يفتخر بكرمه وهذا الكرم له عدة اغراض أو اسباب: الأول: انه يقي ويحفظ من خلال الكرم عرضه وشرفه. والثاني: قناعته بان انفاق المال والجود به ينفع ولا يضر فهل رأيت ان كريماً مات من شدة الضعف؟ وهل رأيت ان بخيلاً حريصاً على ماله خلد في هذه الحياة؟ والثالث: ان كثرة انفاقه وكرمه سببٌ في سيادته على قومه. والأسباب الثلاثة تعمل بشكل غير مباشر ضد الاحساس بالموت والفناء والتناهي، فالانسان حين يحفظ عرضه وشرفه يبقى هذا حسن أصل وشرف يذكر على مدى الأيام والتاريخ حتى من قبل الاجيال القادمة الم ترَ ان احدهم كان عندما يفخر بنفسه او بقومه يفخر بحسن شرفهم واصالة نسبهم وعفتهم، واذا كان البخيل لا يذكر لسوء اعماله ولبخله فبالمقابل فان الكريم سيخلد بعد مماته من خلاله ذكر الناس له ومدحهم اياهم، كما ان السيادة تصلح سبباً لتخليده وذكره بعد موته اذ ينتشر صيته في حياته كون السيادة والرئاسة من اعظم ما سعى اليه الجاهلي لما فيها من مكانة ومنزلة، وشرف واستمرار ذكره بعد مماته لكونه سيداً في قومه.

ومما يؤكد ان كرمه بهدف الابقاء على ذكره بعد مماته بما هو حسن كوسيلة لتخليده قوله لامرأته[1]:

إذا ما صَنَعَت الزّادَ، فالتَمسي لهُ أكيلاً، فإني لستُ آكِلَهُ وحـــدي

أخاً طارقاً، أو جارَ بيتٍ فإنّنـــي أخافُ مَذَمّاتِ الاحاديثِ من بعدي

وانّي لعبد الضيف، ما دام ثاوياً، وما فيّ الا تلك من شيمةِ العبـدِ

(١) ديوان حاتم الطائي: ٤٢-٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ويتضح كيف يسيطر على الشاعر هاجس الموت من خلال تصويره لحبهم للحياة الذي يستغرقون به «حيث أن الحرص على الحياة أو غريزة حب البقاء هي اخص غرائز الانسان».[1] فيفاجئهم الموت ويأتي من حيث لا يعلمون[2]

تنوْطَ لنا حُبُّ الحياةِ نُفُوســـــــــنا شَقَاءً، ويأتي الموْت من حيثُ لا ندِري
أماوِيَّ! امامتٌ، فاسعَـــَي بنُطْفَـــةٍ من الخَمرِ رياً، فانضحنَّ بها قبـــرِي
وإنـــّي لأستَحيي منَ الأرضِ أن أرَى بها النّابَ تَمشي، في عشِيّاتها الغُبْـرِ
وعِشتُ معَ الاقوامِ بالفقرِ والغِنَـــى سَقاني بكأسي ذاك كِلتَيهِما دهَـــري

وتجاه احساسه العميق بالموت نجد أنه يكرس كرمه فلا يترك ناقة الا ويجعلها طعاماً لمن يحتاجون من الفقراء كما ان الدهر الذي اثقل في الماضي على الشاعر كان له دور في كرمه المبالغ فقد جار عليه الدهر وأحس بالفقر كما احسّ بالغنى وهذا يدعوه لأن يكون أكثر تعاطفاً مع الفقراء والمحتاجين.

وهكذا فقد تبين لنا من خلال دراسة ارتباط الضعف والعجز والشيب والموت بالفخر الذاتي كيف كانت هذه المشاكل الانسانية الكبرى سبباً في بعث شعر الفخر الذاتي.

٤. شعر الفخر الذاتي ضمن لوحة الفخر القبلية

في هذه الجزئية من الدراسة سوف ابين كيف كان الشاعر ينزع الى اثبات ذاته واحياناً تميزه ضمن اللوحة التي يفخر فيها بقبيلته مما يؤكد ان الجاهلي كان حريصاً على اثبات ذاته حيثما تسنح له الفرصة وكيف ان بعض الشعراء كان يعبر عن نفسه بصوت هادىء وبتواضع ملحوظ، بينما كان صوت الجزء الآخر يأتي مدوياً في هذه اللوحة القبلية حتى تشعر ان هذه اللوحة كلها تكون في خدمة فخره بنفسه لذاته كما

---

(١) حسني عبد الجليل يوسف: الانسان والزمان في الشعر الجاهلي، ملتزم النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨، ٢١.

(٢) ديوان حاتم: ٤٥-٤٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يفعل مثلا عامر بن الطفيل في اثناء فخره بالقبيلة يأتي ببيت او ابيات يثبت فيها ان فاعلية اقوى واهم من فاعليته ايّ من افرادها حيث يقول في احد قصائده:[1]

فَإنّ لنا حُكومَةَ كُلّ يـــوْمٍ يُبَيّنُ في مَفاصِلِهِ الصّوابُ

وإنّي سوْفَ احكُمُ غيْرَ عـادٍ ولا قَذِعٍ إذا التُمِسَ الجَوابَ

فهو يفخر بضمير الجمع بقبيلته أو بقومه وبأنهم هم الذين يحكمون ويفصلون في النزاعات والخصومات، ويتحول مباشرة الى ضمير المفرد لينسب فعل التحكيم إلى نفسه وبذلك يؤكد ذاته من خلال استخدامه للقبيلة الذي يوصف بانه فخرٌ فيها.

وفي نفس القصيدة يفخر بخيله، وبالطبع فإن هذه الخيل تحمل فرسان القبيلة وجيوشها، وكيف يكون النصر لهذه الخيل والخسارة والهزيمة لمن تغزوهم ولكن هذا الفخر للقبيلة او الجماعة او الخيل يكون من خلاله هو فهو قائدها وموجهها يبدو هذا من قوله[2]

فإنْ مقالتَي ما قَدْ علِمتُـــمْ وخَيلُي قَدْ يَحِلّ لها النّهـــابُ

إذا يمَمْـــنَ خيَـلاً مسْرِعـــاتٍ جرَى بنُحوسِ طَيرِهُم الغُرابُ

وإنْ مرّتْ على قَوْمٍ اعـــــادٍ بساحِتِهم فقد خَسِروُا وخابُـوا

وفي قصيدة أخرى يفخر وبضمير الجمع ايضاً ولكنه ما يلبث يتحول الى ضمير المفرد مظهراً فاعليته الخاصة ثم يعود الى ضمير الجمع[3]:

نحَنْ قدَنْا الجِيادَ حتى ابَلّنَـــا ها بثهلان عنوةً فاستَقَـــرّتْ

وزَجَرْتَ المزَنّوقَ حتى رَمَى بي وسَطَ خَيلٍ مَلمُومةٍ فابذعـرّتْ

وصَحَبنْا عبَسْاً ومرّةَ كأســـا في نَواحي دِيارِهِم فاسْبَطَرّتْ

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ٢١.

(٣) المصدر نفسه: ٣١-٣٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وفي قصائده الفخرية الأخرى يستخدم اسلوباً آخر لابراز ذاته وفاعليته يسخّر من خلاله الفخر القبلي لابراز هذه الذات وتأكيدها ففي حين تجده يفخر بقبيلته وبطولاتها يوجه خطاباً بالتساؤل عن قوتهم وفاعليتهم في أحد المواقف العظيمة وإذا انتظرنا جواباً عن فاعلية هذه الجماعة فأننا لن نجده وسوف نجد جواباً عن فاعليته هو وقدرته الذاتية وهذا الأسلوب لافت في شعره[1]

صبَحَنَ عبَسْاً غداةَ السَّروْعِ آونَـــةً ... وهنّ عـــالَيْنَ بـــابنِ الجَـــوْنِ دَرَجِ

وانقضّتِ الخيلُ من وادي الذّبابِ وقد ... اصْفَتْ أسِنّتَها حمُـــراً من الـــوَدجِ

إن تَسألي الخيَـــلَ عنا في مَواقِفِهـــا ... يَوْمَ المُشَقَّرِ والابْـــطـــالُ في زَعَـــجِ

تُخْبِرِكِ أنيّ اعِيـــدُ الـــكرّ بيْنَهـــمُ ... اذا القَنَا حُطِمَـــتْ في يـــوْمٍ مُعْتلَـــجِ

وفي مكان آخر من ديوانه يعود لمثل هذا الاسلوب من التمويه او الايهام بإنه يدعو للسؤال عن القبيلة في حين انه يريد ان يتساءل عنه هو. فيكون السؤال عن القبيلة كافة ويأتي الجواب عن الشاعر نفسه وهو من خلال هذا المثال والمثال السابق يستخدم الحوار مع المرأة لابراز وتجلية ذاته والاعلاء من شأنه يقول[2]:

هَلاّ سَألـــتِ بـــنا وأنْتِ حَفِيـــةٌ ... بالقَاعِ يـــوْمَ تَوَرّعَـــتْ نَهَـــدُ

والحَيُّ مِنْ كَلْبٍ وجـــرم كلهـــا ... بالقـــاعِ يـــوم يحثها الجلـــدُ

بالكَوْرِ يَوْمَ ثوَى الحُصَينَ وقد رَأى ... عبد المـــدانِ خيُـــولَها تَعْـــدُ

بالباسِلِينَ من الكُمـــاةِ عَلَيهِـــمُ ... خلَقُ الحَديـــدِ يزينُهـــا السَّـــرْدُ

اي الفوارس كان انهك في الوغى ... للقـــوم لمـــا لاحهـــا الجهـــدُ

لما رأيت رَئيسَهُـــمْ فتَركتُـــه ... جَزَرَ السبّـــاعِ كأنّـــه لهـــدُ

وثوى ربيَعَةُ في المَكَـــرِّ مجَـــدّلاً ... فعلا النّعيُّ بمَـــا حـــدَا الجـــدُّ

هَذا مقَامي قد سَألْتِ وموَقْفِـــي ... وَعنِ المسَيـــرِ فَسَائلِـــي بعَـــدْ

---

(١) ديوان عامر بن الطفيل: ٣٧-٣٨.

(٢) المصدر نفسه: ٤١-٤٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وعمرو بن معد يكرب يؤكد ذاته وتميزه من خلال فخره بأبناء قبيلته الشجعان مجربي الحرب والقتال حين يكون قائدهم إلى غزو بني زياد[1]:

وكم من فتيةٍ أبناءِ حـــربٍ ... على جُردٍ ضـوامر كالقِـداحِ
صَبَحتُ بهم بيوت بني زيـاد ... وجُردُ الخيل تَعثُر بالرِّمـاحِ
وصفٍ ما تَسَايَرُ حُجرتـاهُ ... تُبشّرُهُ الاشائـمُ بالشيّـاحِ
شَهِدتُ طِرادَة بأقـبَّ نهْـدٍ ... كتيس الرَّبلِ مُعتدلٍ وَقَـاحِ
يقولُ له الفـوارسُ اذا رأوهُ ... نرى مَسَداً أمِرَّ على رمـاحِ
اذا قاموا اليه ليُلجِمـوُه ... تمطى فوق اعمـدة صِحـاحِ
اذا ورَّعت منَ لَحَيِه شيئـاً ... سَمَا مُتقاذف التقريب طاحي
فلم نقتل شِرارَهُـم ولكـن ... قَتَلْنا الصالحين ذوي السَّلاحِ

أما صورة الفرس الاقب النهد الجسيم المشرف فإنه البطل المساعد وهو امتداد لصورة الشاعر نفسه في بطولته وفروسيته وبكل صفات القوة التي حشدها له يبدو تأكيداً لذات الشاعر وقوته التي يتميز بها عن بقية القوم.

واذا كان بعض الشعراء يعمدون الى تأكيد ذواتهم وتضخيمها الى درجة البطولة الفذة او النرجسية الذاتية بحيث يثبتون من خلال شعر الفخر القبلي تميزهم وتفردهم على افراد القبيلة، فإن غيرهم حاول ان يثبت ذاته بشكل متواضع هادىء، اعني بإنّ هناك من الشعراء من كان يعمد الى الفخر بنفسه وبطولته او كرمه اثناء فخره بالقبيلة ربما بمقدار فخره للقبيلة او اقل قليلا ولكن ليس بالضرورة بمقدار التميز والتفرد عن افرادها ومن هذا الشعر الذي راوح بين بطولة القبيلة وبطولة الفرد وشخصيتهما في اللوحة الفخرية قول بشر بن أبي خازم[2]:

---

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٥٩.

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم: ١٣٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

فسائلْ عامراً وبني نمَيْـــرٍ اذا ما البيضُ ضَيَّعَها المُضِيعُ

إذا ما الحَرْبُ ابدَتْ ناجِذَيْهـا غداةَ الرَّوعِ، والْتُقتِ الجُمُوعُ

بنَا عِنْدَ الحفيظَةِ كيفَ نَحمِي إذا مَا شَفَّها الأمرُ الفَظيـــعُ

عقَائِلنَا، ونَمْنَعُ مَـنْ يَلِينـا بِكُلِّ مُهَنَّدٍ صَـافٍ صَنِيـعُ

وشُعْثٍ قَدْ هَدَيْتُ بِمُدْلَهِـمٍّ من المَوماةِ يَكْرَهُهُ الجَمِيـعُ

سَمَوْنا بالنّسـارِ بذِي دَرُوءٍ عَلى أرْكَانِـهِ شَذَبٌ مَنِيـعُ

فَطَارتْ عامِرٌ شَتّى شِـلالاً فَمِا صَبَرَتْ وَما حُمِيَ التبِيعُ

إذا ما قُلتُ اقصَرَ او تَنَاهَـي بِهِ الأصواءُ لَجَّ بِهِ الطّـلُوعُ

إلَيْكَ الوَجْهُ اذ كَانتْ مَلُوكِـي ثِمادَ الحَزنِ أخطأها الرّبِيـعُ

وضَيْفِي مَا تَزَالُ لَهُمْ كَهَـاةٌ مِنَ السَّنِمَاتِ بِكرٌ أو ضَـرُوعُ

فمع ان الشاعر يفخر بقبيلته وبحفظهم للحمى وقت الشدائد ومنعهم لنسائهم تجده ينعطف للفخر بنفسه في البيت الخامس حيث يصور فرسه الذي يوجهه الى الاعداء في الوقت المظلم وفي اللحظة العصيبة فيأخذ بما يريد لان الجميع يكرهه ويخافه ويعود للفخر بالقبيلة ثم ينعطف في البيتين الأخرين الى الفخر بنفسه وبكرمه.

وفي قصيدة أخرى يراوح بين الذات والقبيلة فيفخر أولاً بقبيلته ثم ينعطف الى ذاته مفتخراً بها ومؤكداً لها ومنها قوله[1]:

أَبَى لِبَنِى خُزَيْمَةَ أَنَّ فِيهِـمْ قَدِيمَ المَجْدِ والحَسَبُ النضـارُ

هُمُ فضَلُوا بِخَـلاتٍ كِـرامٍ مَعَدّاً حيثُمَا حَلّوا وسَـارُوا

فَمِنْهُنَّ الوفاءُ اذا عَقَـدْنا، وايسَارٌ اذا حُـبَّ القُتَـارُ

كفينا من تغيب واستجنـا سنام الأرض إذ قحط القطار

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ٧٢-٧٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كَأنّيَ بَيْنَ خافِيَتَـيْ عُقـــابٍ تُكفئُني إذا ابْتَلَّ العِـــذارُ

تَرَاها مِنْ يبَيسِ الماءِ شُهْبـاً مُخالِطَ دُرَّةٍ مِنْها غِـــرارُ

بكلِّ قَرارهِ مِنْ حَيْثُ جالَـتْ رَكيَّةَ سِنْبُكٍ فيها انهِيَـــارُ

وخِنْذيذٍ تَرَى الغرمول مِنـهُ كَطَيِّ الزِّقِّ علَقَّـهُ التَّجّـارُ

فيذكر الشاعر القبيلة ويفتخر بخلال قومه وخصالهم الطيبة الى ان ينعطف الى الحديث عن نفسه الذي يبدأ بوصفه بطولة فرسه الذي يطرحه كامتداد له في كل صفاته واعماله البطولية قوة وسرعة وحسن فعل الى ان يقول[1]:

وما يدريك ما فقري اليـــه اذا ما القوم كرّوا أو اغاروا

إذ انه السبيل والوسيلة لقتال الاعداء وعرض البطولة والوصول الى الهدف.

ومن الشعر الذي يظهر فيه الحس الفردي الى جانب الفخر القبلي قول قيس بن الخطيم[2]:

فإنّا تَرَكْنَاكُمْ لدَى الـردم غُـدوةً فَريقَيْنِ: مقتَـولاً بـِهِ ومُطَـرّداً

صَبَحْنَاكُمُ مِنّابـِه كـُلَّ فـارِسٍ كَرِيمِ الثَّنا يحَمّي الذّمار ليُحْمَـدا

أتَذْكُرُ امراً لـــم تَنَلْـهُ، وإنّـما تَنَاوَلَ سَجْلَ الحَرْبِ مَنْ كان انجـدا

فَذُقْ غِبَّ ما قَدَّمْتَ،إنّيَ أنَا الـذي صَبَحْتُكمُ فيهِ السِّمام ببِرْجُـــدَا

ونحنُ حُماةُ الحَرْبِ لِيَسَتْ تضَيرُنا نَسُوقُ خَمِيساً كالقَطا مُتَبَـــدِّدَا

فمع ان معظم الابيات السابقة جاءت تفخر بالقبيلة الا ان الشاعر ينعطف للحديث عن نفسه، من خلال البيت الثالث ليفخر بذاته في البيت الرابع ويؤكد فاعليته وسط افراد القبيلة، فهو الذي صبح العدو بالسم القاتل فكان عنصراً فعّالاً في اباداتهم ومثل هذا الانعطاف إلى الذات في فخره القبلي بكثرة حيث يؤكد ذاته

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ٧٦.

(٢) ديوان قيس بن الخطيم: ٢١٦-٢١٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

ببيت في مجموعة ابيات تؤكد قوة القبيلة وشجاعة افرادها:[1]

صَبَحْنا بها الآطامَ حَوْلَ مَزُاحِمٍ ... قَوانَسِ أُولى بَيْضِنا كالكَواكبِ

لَوَ أنّكَ تُلقي حنظلاً فوق بَيْضِنا ... تَدَحْرَجَ عَن ذي سامةِ المُتقارِبِ

اذا قَصُرتْ أسْيافُنا كانَ وَصْلُها ... خُطانا إلى أعدائنا فنضارِبِ

أجالِدُهُم يَوْمَ الحَديقةِ حاسِراً ... كأنَّ يدَي بالسّيْفِ مِخراقُ لاعبِ

ويَوْمَ بعاثٍ اسْلَمَتنا سُيُوفُنا ... إلى نَسَبٍ في جذْمِ غَسّانَ ثاقِبِ

يُعَرِّيْنَ بيضا حينَ نَلقَي عَدُوَّنا ... ويَغْمِدْنَ حُمْراً ناحلاتِ المضارِبِ

فالشاعر يصف غارة لهم على الاعداء ويصف قوة افراد قبيلته وجيوشها ومضاربتهم للأعداء ثم ينعطف ليذكر كيف كانت مجالدته لهؤلاء الأعداء في يوم «الحديقة» وكيف كان تمكنه من استخدامه السيف في مجالدتهم ثم يعود مرة أخرى للقبيلة ليذكر كيف ان فعل افرادها بسيوفهم في يوم «بعاث» اسلمتهم إلى نسبهم الثاقب وأصلهم المتميز ويستمر بالفخر بهذه القبيلة.

وعند سلامة بن جندل ايضاً يرد مثل هذا الفخر الذي يؤكد فيه الشاعر ذاته خلال فخره بقبيلته يقول[2]:

مَنْ مُبلِغٌ عنّا كلاباً وكعبَها ... وحَيَّ نُمَيرٍ باليقينِ رسولُ

فإني،بيومٍ مثلِ يومِ بمُلزِقٍ ... لكمْ، ولقاءُ -انْ حييْتُ- كفيلُ

غداةَ تركْنا مِنْ ربيعةِ عامرٍ ... دماءً بأعلى الوادِيَيْنِ تسيلُ

وفي شعر حاتم الطائي ايضاً تظهر المراوحة بين القبيلة والذات في بعض قصائده ومنها قوله[3]:

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم: ٨٦-٨٩.

(٢) ديوان سلامة بن جندل: ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) ديوان حاتم الطائي: ٦٢-٦٣.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

فقــد عَلِمَتْ غَــوْثٌ بأنّا سَراتُهــا، إذا أُعلِمَتْ، بعَد السِّــرارِ، أمورُهــا

إذا الرّيحُ جاءَتْ مــن أمامِ أخابِــفٍ، وألْوَتْ بأطنابِ البيُــوتِ، صدورُهــا

وإنّا نُهينُ المالَ، فــي غيــرِ ظنّــةٍ، وما يَشتكينا، فــي السّنينَ ضريرُهــا

إذا ما بخيلُ النّاسِ هــرّتْ كلابُــهُ، وشقّ، على الضّيفِ الضّعيفِ، عَقورُها

فإنّي جبانُ الكلبِ، بَيْتيَ مــوَطأٌ، أجودُ، إذا ما النّفْسُ شَحّ ضَميرُهــا

ففخره بكرمه جاء بعد فخره بقبيلته أو بقومه وبكرمهم.

وإذا كنت قد درست شعر الفخر الذاتي ضمن اللوحة القبلية وكيفية توكيد الشاعر ذاته من خلالها، فسوف أدرس الآن شعر الفخر القبلي الذي قيل بدافع ذاتي بحت.

٥. النزعة الفردية البحتة دافع للفخر القبلي

كثيرٌ هو شعر الفخر الذي قيل في القبيلة ووُصف بأنه سخر لها وسجل مآثرها وأيامها وانتصاراتها مبرزاً قوتها وبطولتها وغلبتها، وحقيقة الأمر ان الكثير منه قيل بدافع فردي أو ذاتي -كما سبق وتبين- وكما سأوضح في هذه الجزيئة من الدراسة.

إنّ الكثير من الشعر الذي قيل في القبيلة واختفت منه الأنا الفردية، من حيث الشكل، وغلبت عليه صيغة الجمع، لو رجعنا اليه أو الى بعضه لوجدنا انه قيل بدافع ذاتي بحت، وذلك الدافع هو الخوف، وقد كان الأحساس بالخوف عند الشاعر الجاهلي يتولد من امورٍ شتى كالخوف من العدو الجماعي كان تهدد قبيلة شخص الشاعر أو يرهبها هو لقوتها وعنفوانها مع وجود علاقة غير ودية بينه وبينها، والخوف من العدو الفردي كأن يهدد شخص معين يتمتع بقوة كبيرة شخص الشاعر، والخوف من عدوه الوجودي الزمن او الدهر وما يسبب من الضعف والعجز والشيب.

ويبدو ان الدافع الأقوى لشعر الفخر القبلي هو وجود العدو الجماعي والفردي للشاعر، ومن الامثلة الشعرية التي توضح كيف يكون وجود العدو الجماعي دافعاً

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

للفخر بالقبيلة قول عمرو بن معد يكرب[1]:

صَبَحتُهم بيضاءَ يَبْرُقُ بيضُهـا ... إذا نظرتْ فيها العيُون ازْمَهرّتِ

وَلما رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنَهـا ... جداولُ زَرعٍ أرسلت فاسبطـرّتِ

فَجاشتْ إليّ النفسُ أوّل مَـرةٍ ... فَردُتْ على مَكروها فاستقـرّتِ

هَتَفتْ فجاءت من زُبيدٍ عصابـةٌ ... إذا طَردَتْ فاءتْ قريباً فَـكَرّتِ

في بداية الأبيات حاول الشاعر التكلم بضمير المفرد ليفخر باقباله على الأعداء «صبحتهم» ولكن محاولته الفخر بنفسه تراجعت امام قوة الاعداء التي أحسّ بها ورأها فإذا هو يعبر من حيث يعلم او لا يعلم عن حس الخوف الذي سيطر عليه وكمن في داخله تجاه هؤلاء الأعداء وقوتهم التي أجاشت نفسه بالخوف وأفزعتها (البيت الثالث). الأمر الذي جعله يحاول ردها واعادة السكينة والثبات اليها امام ما تواجه من خطر يتمثل في كثرة وشدة وبأس الأعداء (البيت الثاني). وفيما يبدو ان هذه المحاولة لاعادة السكينة لنفسه وتثبيتها امام ذلك الموقف العظيم لم تكن مجدية تماماً او لربما أنّها باءت بالفشل مما جعله يصرخ هاتفاً برهطه «زبيد» فيأتيه جمعٌ مكرين مفرين يستعين بهم على عظيم امره وكبير همه الذي اقلق نفسه وأرعدها. لقد كانت البنية العميقة للقبيلة «الغنيمة» تفرض على مجتمع القبيلة والحياة الجاهلية بشكل عام سمة العنف الذي كان يؤثر على الفرد ويضر به أكثر من الجماعة لان سمة الجماعة القوة وسمة الفرد الضعف، ومن وجهة النظر النفسية فإن «العنف» ظاهرة تمس قبل كل شيء، الفرد، والفرد المهدّد»[2] مما يفجر فيه الشعور بعدم الأمن الناتج عن الاحساس بالخوف، والخوف يعتبر دافعاً لحفظ الحياة وسلامتها[3]. ومن هنا تجد ان الشاعر كلما احس بالخوف او بالتهديد الخارجي لجأ إلى قبيلته وافتخر بها لأن فخره

---

(١) ديوان عمرو بن معد يكرب: ٥٣-٥٤.

(٢) فريق من الاختصاصيين، المجتمع والعنف- ترجمة الياس زحلاوي، مراجعة: انطون مقدسي. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٨٥، ١٧.

(٣) أنظر: عبد الحميد حمد الهاشمي، اصول علم النفس العام، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ط٢، ١٩٨٦، ١٢١.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بها يمنحه الحس بالأمن الذي يفتقده مع تزايد احساسه بالخوف والتهديد فيأتي الفخر بالقبيلة ليسد ثغرات الخوف والضعف في نفسه منتخياً القبيلة بان تقف الى جانبه وتكون له الحصن الحصين ضد اي خطر خارجي انظر قول الشاعر[1]:

فيا عَجَباً أيُوعدُني ابنُ سَعدَى ... وقد أَبدَى مَسَاوِئَهُ الهجـــاءُ
وحَولِي من بَنِي اسدٍ حُلُــولٌ ... كمِثْلِ اللَّيل ضَاقَ بها الفَضَاءُ
هُمُ وَرَدُوا المياهَ علَى تَمِيـــمٍ ... كوِرْدِ قطاً نَأَتْ عنهُ الحِسَّـــاءُ
وجَمْعٍ قد سَمَوْتُ لهُمْ بجَمــعٍ ... رَحيبِ السَّربِ ليسَ لَه كِفَـاءُ
صَبَحْنَاهُ لَنِلْبِسَــه بزَحْــفٍ ... شديد الرُّكنِ ليسَ له كِفَـــاءُ
بِشِيبٍ لا تَخِيْم عَنِ المنـــادِي ... ومُرْدٍ لا يُروِّعُهُا اللقَّـــــاءُ
على شُعْثٍ تَخُبُّ على وجَاهَـا ... كمـــا خبَتْ مُجَوَّعَةٌ ضِـــرَاءُ

أمام تهديد «ابن سعدى» ووعيده للشاعر وهو وعيد شخص يبدو انه ذو بأس وشدة يرهبها الشاعر يوحي بذلك -بل يؤكده- استحضاره للقبيلة بصورتها البطولية.

فالخطر شاخص بتهديد ابن سعد للشاعر ويبدو ان نفسه امتلأت رعباً وخوفاً من هذا التهديد والوعيد الأمر الذي جعله يحاول ازالة ذلك الحس العميق بالخوف من خلال تضخيم صورة قبيلته وليس استحضارها حوله فقط، فجميع الصور والتشابيه التي شبه بها افراد قبيلته أو حتى خيلهم وهي صور وتشابيه موظفة، وظيفتها ذات حدين: الأول: استشعار الأمن وإزالة الأحساس بالضعف والخوف من نفس شاعرنا والثاني: إرهاب العدو «ابن سعد» واشعاره بقوة وعظمة وبطولة قبيلة الشاعر الذين يحيطون به وانهم جاهزون للدفاع عنه إذا ما احسوا أنّه سيلحق به اي ضرر أو عدوان، وهذا الأمر ليس بحاجة الى تدليل أو تفسير فهم «كمثل الليل ضاق به الفضاء» الليل بامتداده وغموضه ورهبته وما يحمل من معان الخوف والرعب من خلال ظلمته الشديدة، اما ورودهم مياه تميم فقد كان «كورد قطا نأت عنه الحساء»

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ٤-٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

انّها سرعة القطا وقد ابتعد عنها مورد الماء، واشتد بها العطش وهدفها ان ترد الماء وترجع دون ان تصاب بأذى، فلا بدّ أنها واردة بسرعة لا حدود لها، اما جمعهم فـ «رحيب السرب ليس له كفاء» انه في كثرته لا نظير له ولا مثيل وزحفهم كذلك «شديد الركن ليس له كفاءة» إضافة إلى ان كبارهم لا يجبنون رغم تقدم سنهم فإن شبانهم اليافعين ايضاً لا حدود لشجاعتهم. فلا ساحة المعركة تخيفهم ولا لقاء الاعداء يفزعهم. اما خيلهم وهي سبيلهم الى الاعداء فقد أتى بصورة طريفة ليشبهها بالكلاب الضارية المجوعة التي اعتادت الصيد وضريت عليه فإذا ما جوّعت فلنا ان نتخيل سرعتها وشدتها، وباختصار نقول ان صورة القبيلة قد تضخمت بمقدار تضخم حس الخوف لدى الشاعر من ذلك الشخص الذي لا ينفك يتهدده المرة تلو الأخرى[1].

ومن الأمثلة على شعر الفخر الذي يأتي عند أحساس الشاعر انه بحاجة ماسة لوجود القبيلة إلى جانبه تدفع عنه الأذى والظلم قول زيد الخيل الطائي:[2]

تُحَضِّضُ جَبّاراً علـــيّ ورَهْطَـــه ... وما صِرْمتي منهم لأوّل من سَعى

تَرَعّى بأذْنابِ الشّعابِ ودونُـــها ... رِجَالٌ يَرَدُّون الظّلومَ عن الهَـــوى

وَيَرْكَبُ يَوم الرَّوْعِ فيها فـــوارسٌ ... بَصيرُونَ في طَعْنِ الأباهِرِ والكُلى

في هذه الابيات يتضح لنا كيف يفخر الشاعر بأفراد قبيلته ورجالاتها الذين يعيشون بأرض كثيرة الماء والعشب، أولئك الرجال عندهم المقدرة على صد الظالم عن ظلمه ورد المعتدي عن عدوانه. ويستحضر صورة فرسان القبيلة الذين يركبون الخيل في ايام القتال الشديدة واصفاً قدرتهم على ابادة الأعداء وقتلهم، ومعرفتهم ودرايتهم بكيفية القضاء عليهم، فهم لا يطعنون إلا في موضع القتل «بصيرون في طعن الأباهر والكلى» وهذا الوصف للقبيلة التي تعتبر سنداً للشاعر جاء لمواجهة العدو الذي

---

(١) قد اشار الشاعر الى هذا التهديد في شعره عدة مرات انظر ديوانه ص٢١-٢٢، ص٩٠-٩١. والأمثلة على هذا النوع من الفخر الجماعي الذي يأتي بدافع حس الخوف لدى الشاعر كثيرة في دواوين الشعراء الفرسان موضع الدراسة انظر مثلاً: ديوان حاتم الطائي، ٢٨ ديوان زيد الخيل الطائي ١١٦.

(٢) شعر زيد الخيل: ٦٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

يتهدده ويحرض عليه «جبار» وهو رجل من فزارة حيث ان هذا التهديد برجل في قوة «جبار» قد اخاف الشاعر وأرهبه مما جعله يستدعي صورة افراد القبيلة وفرسانها القتلة. لعل هذه الصورة تمنحه الحس بالامن مقابل الخوف الذي امتلك عليه نفسه، ولعلها في الوقت ذاته تردع أولئك الذين يهددونه ويتوعدونه ويحرضون عليه. هذه الوظيفة المهمة لشعر الفخر القبلي الذي يأتي بنازع فردي بحت هو الاحساس بالخوف الذي تحدثت عنه في الأمثلة السابقة أكدها دارسٌ آخر بين احساس الشاعر بالحاجة الى القبيلة في تعليقه على ابيات شعرية[1] استحضرت فيها القبيلة لحاجة الشاعر الماسة إليها اثر احساسه بالخوف من العدو المناوىء فقال انه «يدرأ خطر التهديد عن نفسه، باستحضار صورة فرسان قومه مشبعاً لديه حساً بالأمن والطمأنينة يحتاج اليهما في وجه التهديد»[2]، ان كل فرد من افراد القبيلة اذا ما تهدده طارىء يلجأ اليها مستعيناً بها- واعتقد ان هذا الامر هو من الأمور التي نص عليها قانون القبيلة العرفي- والقبيلة هنا لا بد ان تهب لنجدته وتنتصر له فقد كان دائماً فرداً من المجموع يؤمن بقيمهم ويقوم بواجباته تجاه قبيلته على أكمل وجه وفي مثل هذا الموقف نكتشف سر ذلك الانتماء وتلك الجاذبية للقبيلة، أنّ لها ثمناً وهو الحماية للفرد من كل أذى أو خطر يتهدده مفرداً، لذا نجد الفرد غالباً لا يستطيع الاستغناء عن القبيلة لان الاستغناء عن القبيلة في المجتمع القبلي يعني ان الانسان معرض للهلاك مقبلاً ومدبراً.

وعليه، فإن الذوبان في القبيلة ذو وظيفة نفسية اذ يغدو وسيلة فعّالة من وسائل رد العدوان والحفاظ على الحياة والشعور بالأمن في بيئته تكرس شريعة الغاب. من هنا فإن الشاعر يستحضر قبيلته كلما أحس بالخطر يتهدده محاولاً ابراز حيويتها وفاعليتها من خلال أظهار ما تمتلك من قوة وشجاعة وشدة وبأس.

---

(١) الأبيات من ديوان بشر بن خازم الصفحة ٢١، ٢٢، وهي:

اتوعدني بقومك يا ابنَ سعدي ... وذلكَ مِن ملمّاتِ الخطوبِ
وحولي منَ بني أسدٍ حلولٌ ... مبنّونَ بين شُبانٍ وشيبِ
بأيديهِمَ صوارمُ للتداني ... وإنْ بعدوا فوافيةُ الكعوبِ

(٢) الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي: ٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

وكثيراً ما كان الشاعر يستحضر القبيلة نتيجة احساسه بمرور الزمن وتقدم العمر، الذي يظهر عليه بالشيب الذي لا يستطيع اخفاءه والذي يؤدي الى ان تقطع الحبيبة صلتها به وتنأى عنه مما يجعله يحاول تجاوز هذا الهم عن طريق الرحلة التي تعتبر من اعمال الشاعر التي يقوم بها لجاوز هم معين فإذا ما شعر بان هذه الرحلة لم تعد التوازن الى نفسه وبقي الهم -من ذلك العدو الوجودي: الزمن، الشيب، الناتج عنه عداء بشري يتمثل بمقاطعة الحبيبة له- مسيطراً عليه تجده يستحضر القبيلة ويستدعي صورها البطولية التي تملأ نفسه احساساً بالأمان والأمتلاء من خلال قوة هذه القبيلة التي ربما يستطيع من خلالها التغلب على ذلك الضعف الذي يؤدي اليه الأحساس العميق بالزمن والشيب وفقدان الحبيبة. ولنقرأ الأبيات التالية من شعر بشر لنلحظ ما قيل سابقاً ونلحظ كيف يكون الترابط بين موضوعات القصيدة الواحدة من حيث كونها جميعاً تعالج هماً لدى الشاعر يريد ان يتجاوزه ويتخطاه بأي وسيلة تتاح له وفي الابيات التالية بالذات عن طريق الرحلة ثم عن طريق استحضار الجماعة او القبيلة بفرسانها الصناديد يقول[1]:

ديارٌ أقفَرَت مِـــنْ آلِ سَـــلْمَى رَعَى سَلْمَى بِحُسْنِ الوَصْلِ راعِي
ذَكرتَ بِهِنَّ منْ سَلْمَى وداعَـــاً فَشاقَكَ مِنْـــهُم بَيْنٌ الـــوَداعِ
فَإنْ تَكُ قَد نَأتْكَ اليَوْمَ سَـــلمى فَكلُّ قُـــوى قَرينٍ لانقِطـــاعِ

في هذه الابيات يبدو حزن الشاعر واضحاً من خلال رؤيته لاطلال سلمى التي اقفرت ومن خلال تذكره ليوم وداعها الذي يهيج الحزن ويثير الألم في نفسه وفي البيت الأخير منها يقرر حقيقة او حكمه تمهد لأعادة التوازن لنفسه أثر انفصال سلمى وابتعادها عنه مفادها انه اذا كانت سلمى قد ابتعدت عني وقاطعتني فهذا ليس بالغريب «فكل قوي قريب لانقطاع» ولكن هذه الحقيقة ايضاً تؤلمه فيحاول مباشرة التصدي لها ونسيان همه عن طريق الرحلة على ناقة ضامرة صلبة سريعة السير:

وقَدْ امْضي الهُمُومَ إذا اعْتَرَتْني بِجَرْفٍ كَالمَوَلَّعَـــةِ الشَّنَـــاعِ
تَرَى في رَجْعِ مِرْفَقِها نُتُـــوءاً إذا ما الآلُ خَفَّـــقَ لارتِفـــاعِ

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ١١٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ونلاحظ انه يرفد الناقة التي يرحل عليها متجاوزاً همه بكل صفات القوة التي يبدو انه يفتقدها فهي صلبة سريعة وهي كحرف الجبل شدة وصلابة وكأن الشاعر يسقط على ناقته الامكانات التي يفتقدها ويرفد نفسه بالقوة لاستشعار الأمن من خلالها ولكن هيهات. والدليل على انه لم يستشعر القوة في محاولة للتغلب على واقعه قوله[1]:

فسائل عامراً وبَنَي تميـــمٍ اذا العِقْبانُ طارَتْ لِلوَقـــاعِ
بِكُلِّ مجَرَّبٍ كاللَيثِ يسَمْـــوُ إلى أقْرانِه عَبْلَ الـــذِّراعِ
غَدَوْنَ عَلَيْهِمْ بالطَّعنِ شَـــزْراً إلى انْ ما بدَت ذاتُ الشُّعاعِ
فَلَمّا ايقَنُوا بالمَوْتِ ولَـــّوا شِلالاً مرْمِلينَ بِكلِّ قَـــاعِ
فَكَمْ غادَرْنَ مِنْ كابٍ صَريـــعٍ تُطيفُ بِشِلْوِهِ عُرْجُ الضِّباعِ
وكَمْ مِنْ مرْضِعٍ قدْ غادَرُوهـا لهيفَ القَلْبِ كاشِفَةَ القِنـاعِ
ومَنِ أخْرَى مُثَابَرَة تنُـــادِي الاَ خَلَّيتُمُونـــا للضِّـــياعِ

فأستحضار صورة القبيلة بضمير الجمع الذي يسيطر على هذه الصورة وبكل معاني القوة فيها يشي بحاجة الشاعر اليها، وبأنه ما زال يستشعر الضعف ويريد ان يستمد القوة من خلال كونه عضواً أو فرداً في هذه القبيلة التي قامت بكل تلك الاعمال البطولية. ودليل ما نقول تلك النهاية التي يختم بها ابيات القصيدة بعد لوحة الفخر القبلية مباشرة حيث يقول[2]:

وكُلُّ غضَارَّة لكَ مِنْ حبيـــبٍ لهَا بِكَ او لهَوْتَ بهِ مَتَـــاعْ
قَلِيلاً، والشَّبابُ سَحابُ رِيحٍ اذا وَلّى فَلَيْسَ لَهُ ارْتِجَـــاعْ

حيث يعود مرة أخرى لينخفض إلى مستوى الهم الذي يسيطر عليه وهو فوات الشباب وزواله الذي أدى الى انقطاع صلة الحبيبة به ولكن باسلوب الحكمة التي

---

(١) ديوان بشر بن أبي خازم: ١١٠-١١٢.

(٢) المصدر نفسه: ٢١٢.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

تؤكد على التعقل في مواجهة الهم فليس الهم همه وحده ولكنه مشكلة عامة وهم شامل. -إذ يقرر ان كل سعادة وبهجة وسعة عيش حظي الأنسان بها من حبيبة ما هي الا متاع من متاع الحياة الزائل الذي يأتي الفناء عليه فلا يدوم ابداً ويؤكد بان الشباب- الذي كان يجذب الحبيبة اليه ولما ولى اصبحت تناه وتقطعه- اذا ذهب وولى فلن يرجع ابداً تماماً كالسحاب الذي تأتي به الريح فلا يعقل ان يعود مرة أخرى وهذا الأحساس بالزمن وبشرخ الشباب الذي ولى فولت معه كل مسرات الحياة هو الهم الذي أرق صاحبنا. والأمثلة على شعر الفخر بالقبيلة الذي يأتي تجاوزاً لمقاطعة الحبيبة للشاعر التي غالباً ما تكون بسبب الكبر والشيب كثيرة[1]، ومن الأمثلة التي يتضح فيها، دون عناء، كيف يكون الفخر القبلي بدافع استشعار الشيب وذهاب الشباب قول سلامة بن جندل[2]:

اودى الشبابُ، حَميداً، ذو التَّعاجيبِ ... اودى، وذلك شأوٌ غيرُ مطلوبِ
ولَىّ حثيثاً، وهذا الشيْب يطلبُهُ ... لو كان يدْركه ركضُ اليعاقيبِ
أودى الشبابُ الذي مَجْدٌ عواقبُهُ ... فيهِ نَلَذُّ،ولا لذّاتِ للشّيْبِ
يوَمانِ: يومُ مقامَاتٍ وأنديةٍ ... ويومُ سيرٍ الى الأعداءِ،تأويبِ

ففي هذه الابيات يتحسر الشاعر على الأيام الخالية أيام الشباب التي ذهبت والتي لن تدرك ثانية، ويتضح موقف الشاعر من ذهابه بقوله «وذلك شأو غير مطلوب»، ومن خلال «البيت الثاني» الذي يقول فيه تجاه الشباب الذي «ولى حثيثاً» انه لو كان طالب الشباب يدركه بركض كركض اليعاقيب لطلبته ولكن الشباب، إذا ولى لا يدرك. ويقارن بين الشباب الذي يتمتع فيه بكل المسرات والملذات وبين الشيب الذي يستشعر معه الخواء واللاجدوى فلا متعة للحياء ولا بهجة في الشيب. واذا كان هذا الشباب الذي ولى كله خير وعواقبه جميعاً ممجدة فانها قد جعلت اعمال الشاعر تتجه في اتجاهين الأول: «مقامات وأندية» اي انه كان في قومه صاحب رأي وكلمة فصل يحضر مجالس قومة خطيباً، والثاني: «سير الى الاعداء

(١) انظر مثلاً ديوان قيس بن الخطيم: ١٣٤ وصفحة ٢١٣ و ديوان عامر بن الطفيل: ٤٨.

(٢) ديوان سلامة بن جندل: ٩٠-٩٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تأويب» فقد كان يغزي الاعداء بسير شديد سريع. وكلا الاتجاهان يعجز عنهما الكبير في المشيب، وامام هذا العجز الذي يؤكده الشاعر في نفسه من خلال حديثه عن الشباب والشيب يأتي بفخر عريض بالقبيلة وانتصاراتها والخيل التي كروا بها على الاعداء، وأوصاف هذه الخيل التي لا تخرج عن كل معاني القوة والشدة والمنعة والمقدرة التي يحتاجها الشاعر. وتأتي كل هذه الصور لأستشعار القوة امام واقع العجز الذي يعيشه الشاعر جراء ذهاب الشباب وسيطرة الشيب ومن هذه الابيات الكثيرة قوله[1]

وكرّنا خيلنا أدراجها رجعاً ... كُسَّ السنابكِ، من بدءٍ تعقيبِ
همّت معدٌّ بنا همّاً، فنهنهها ... عنّا طعانٌ، وضربٌ غيرُ تذبيبِ
أني وجدتُ بني سعدٍ، يفُضّلهم ... كلُّ شهابٍ على الاعداء مصبوبِ
الى تميمٍ، حماةِ الثغرِ، نسبتُهم ... وكلِّ ذي حَسَبٍ في الناس، منسوبِ
يُنجيهم من دواهي الشرّ ان أزمَتَ ... صبرٌ عليها، وقبضٌ غيرُ محسوبِ

وقد يأتي الفخر بالجماعة أثر احساس الشاعر بالضعف امام الدهر والزمان الذي يقرب الانسان من الموت ومن نهايته المحتومة شاء أم أبى ويبقى هو ولا ينفذ لان دوره يتوقف على إشقاء الناس وإفنائهم وأمام الشعور بعدائية الدهر او الزمان يستدعي الشاعر قبيلته او قومه في محاولة للتصدي لهذا العدو الوجودي الذي يجعله عرضة في كل لحظة للخطر، خطر الفناء او خطر الاعداء او خطر نوائبه ومصائبه التي لها تنتهي ومن الامثلة على ذلك قول حاتم الطائي[2]:

هلِ الدّهرَ الاّ اليومُ، أو أمسِ، أو غدُ ... كذاكَ الزمّانُ، بَينَنا، يتَردّدُ
يَرُدّ علَينَا ليلَةً بعدَ يَومِها، ... فلا نَحنُ ما نَبقي، ولا الدّهرُ ينفَذُ
لنا أجَلٌ، امّا تنَاهَى إمامُهُ، ... فنَحنُ علَى آثارِهِ نَتَوَرّدُ

---

(١) انظر ابيات فخره كلها في القبيلة ومن ضمنها هذه الابيات الديوان: ٩٦-١١٨.

(٢) ديوان حاتم الطائي: ٣٤.

صفحة 168 مفقودة من المصدر

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

الخاتمة

كشفت الدراسة عن المضامين التي يخفيها شعر الفخر وعن دوافع وابعاد ذلك الفخر، فعلى مستوى التعريف اللغوي -والذي توافق مع التعريف الاصطلاحي- له تبين ان معاني الفخر كانت ذات ايحاءات سلبية تشي بالضعف وادعاء ما هو غير كائن. فالكثير من معاجم اللغة عرفته بأنه «ادعاء الكبر والعظمة والشرف...» وفي كلمة «ادعاء» ما فيها من تشكيك بحقيقه مثول هذه القيم في شخص من يدعيها. كما عرفته بانه «عدّ القديم» ومن وجهة نفسيه فإن النكوص إلى الماضي والاحتماء بامجاده أو محاولة بعثه تشي بخواء الحاضر وتكون رد فعل في حالات القهر والخوف والرضوخ والفشل. ومن معانيه ايضاً «التعاظم»، و«التطاول» و«التكبر» وكلها تعني محاولة تضخيم الذات وتعظيمها مما يعني من ناحية نفسيه ان هذه الذات تعاني الضعف والضعف والعجز.

لقد شكل الفخر بنوعيه القبلي والذاتي ظاهرة اجتماعية افرزتها طبيعة البنية القبلية التي ارتبطت ببيئة الأنسان الجاهلي القاسية حيث شكلت تلك البيئة بدورها انماط سلوكه وطرائق تعامله في نواحي حياته المختلفة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ايضاً.

ان البنية العميقة للقبيلة «الغنيمة» هي التي كانت وراء تماسك افرادها، فالقبيلة تكفل لهم الحماية وتجعلهم قادرين على اكتساب ما تقوم به حياتهم، ومن هنا فإن انتماء الفرد للقبيلة لا يلغي فرديته وذاتيته الا على السطح، فهي دافعه الاساسي للذوبان بالقبيلة إذ انه يفنى بها ليبقى. وان الغنيمة التي كانت وراء تماسك افراد القبيلة هي ايضاً التي كانت وراء ظهور شعر الفخر كله، فاذا حسنت علاقة الفرد بقبيلته فخر بها ومقابل الفخر الذي يقوله فيها نجدها تؤّمن احتياجاته المادية

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والمعنوية واذا ساءت علاقته معها وتعارضت مصلحته مع مصلحتها ولم تعد تضحية الفرد بذاته في اندماجه بالقبيلة تحقق له الحماية وتوصله إلى «الغنيمة» فانه يخرج عنها ويذهب إلى الفخر بذاته بدلاً منها.

لقد تعددت دوافع الفخر القبلي الذي قاله الشاعر خدمة لقبيلته مقابل الخدمات التي تؤمنها له فكان الدافع الاقتصادي احد اهم الدوافع لذلك الفخر فقد تركز الفخر من هذه الناحية على كيفية حصول القبيلة على «الغنيمة» وقد ترتب على الشاعر ان يفخر بتلك القبيلة محدثاً بحروبها وغزواتها وورودها مياه ومراعي القبائل الأخرى مجلية تلك القبائل عن مواطنها مستبيحة حماها في حين ان لا احد يستطيع ان يقربها. كما تركز الفخر على توافر قيمة الكرم عند افراد القبلية الأمر الذي يجعل من تلك «الغنيمة» اسلوب تضامن وتكافل بين افرادها في السراء والضراء على ان الهم الذي يعالجه هذا البعد ويريده الشاعر ان يتحقق من خلال ذلك الشعر هو الامن الاقتصادي الذي به تستقر الحياة.

وقد كان الدافع الاجتماعي قوياً ايضاً في بعث شعر الفخر القبلي وكانت علاقة الشاعر مع القبيلة ومنزلته ومكانته فيها تتحسن وترتفع بمقدار ما يقدم لها من فخر. وهو اذ يفخر بالقيم الاجتماعية العليا ويصفها وقد مثلت في القبيلة وكرسها افراد تلك القبيلة فإنه على الحقيقة يتمنى ان تتوافر تلك القيم في قبيلته مما يمنحها القوة والمنعة والهيبة والشرف امام القبائل الأخرى الامر الذي يمكنها من البقاء الاستمرار ويبدو ان الشاعر في مثل هذا الفخر يصور ما كان وما لم يكن في سبيل ايجاد وتحقيق ما هو غير كائن وبهذا يكون شعر الفخر كما قال عفت الشرقاوي «شعر ادعاء المثال» ذلك المثال الذي يستحضره الشاعر دوماً كي يسعى جميع افراد القبيلة إلى تحقيقه.

وقد أرتبط الدافع السياسي ايضاً لشعر الفخر القبلي «بالغنيمة» المتوقفة على الاغارة والغزو، فالقبيلة اما ان تكون غازية واما ان تكون مغزوة. وقد جاء شعر الفخر من هذه الناحية ليخدم القبيلة في علاقتها بالقبائل الاخرى التي تكون -في الغالب- عدائية، وسلمية في اوقات قليلة، ومن هنا فإن اشادة الشاعر ببطولة

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

القبيلة وقوتها المطلقة قد ترهب الاعداء -في حين ان تلك القبيلة قد تكون ضعيفة- وتدرأ كثيراً من الغزوات والحروب، ومن ناحية أخرى فإن الاشادة بقوة تلك القبيلة تغري القبائل القوية والتي تحتاجها القبيلة في مواجهة قبائل أخرى بالتحالف معها.

أما الدافع النفسي لشعر الفخر القبلي، فقد تبين أن الكثير من ذلك الشعر قيل في محاولة للتصدي للعدوان الخارجي ومواجهة التحديات، أثر تهديد يمس أمن القبيلة بشكل عام فالقبيلة بصفتها جماعة مغلقة تكونت بفعل الأحساس بالتهديد الخارجي بمصدريه البشري والطبيعي وفي مثل هذه الجماعات حيث يكون الداخل هو مصدر الأمن، والاستقرار والشعور بالحماية والتحقيق الذاتي فيصبح هذا الداخل المرجع والملاذ، فإن الخارج يصبح مصدر الشر والخطر والتهديد، وإزاء هذا الخارج وانضمام الشاعر إلى الداخل جاء شعر الفخر القبلي مواجهة للتحديات التي كانت تهدد القبيلة كجماعة مغلقة والفرد من حيث هو عنصر في هذه الجماعة، فشعر الفخر القبلي الذي يعطي معاني القوة في ظاهره يستبطنه الضعف اذ ان القوة الظاهرة هي دفاع نفسي ازاء ما يهدد القبيلة ومما تتوجس منه خيفة.

لقد جاءت صورة القبيلة البطلة، التي يصور الشاعر فيها قبيلته غاية في القوة والبطولة نوعاً من الحرب النفسية ذات الحدين وقد اراد الشاعر ان يكون حدها الاول في الاعداء ليثبط عزيمتهم ويشل معنوياتهم من خلال وصفه لتلك البطولة الفذة التي تتمتع بها قبيلته، وحدها الثاني في القبيلة نفسها حيث ان وصف بطولتهم وانتصاراتهم الماضية ووقائعهم مع الاعداء والتي كان جميعها لصالحهم ترفع الروح المعنوية عند افراد القبيلة وتعيد لهم الثقة بانفسهم وتستنهض همتهم لمواجهة أي خطر.

على أنه لا يفوتني التنوي بان النزعة الذاتية كانت -في احيان كثيرة- دافعاً قوياً بل بحثاً وراء استحضار صورة القبيلة البطلة إذا ما احس الشاعر بالخطر يهدد كيانه وشخصه من قبل جماعة أو شخص يمتلك من القوة ما يدب الرعب في قلبه. كما ان ذلك الفخر قد جاء ايضاً -في بعض الأحايين- تجاوزاً للهم الذي يعانيه الشاعر

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والضعف الذي يحس به تجاه المشكلات الوجودية كحضور الشيب ووجود العجز والاحساس بالموت وغلبة الدهر فيأتي بصورة قوية وقبيلته في بطولتهم الخارقة محاولة منه لابدال حالة الاحساس بالخوف او الضعف أو القلق التي يعيشها من خلال استمداده قوته من قوة افراد هذه القبيلة تماماً كما جاء شعر الفخر الذاتي محاولة جادة لتجاوز وتخطي الضعف الذي يعيشه الشاعر ويستشعره ازاء حضور الشيب ونضوب الشباب ونأي المحبوبة وانصراف المرأة عنه والاحساس الحاد بالفناء والموت والتناهي الذي يسيطر على تفكيره فيحاول من خلال تأكيد ذاته واستحضار ماضيه وما يحمل من قوة وبطولة وبأس وانتصارات تجاوز الواقع الذي يعيشه فتأتي ذاته المتضخمة في شعره الفخري الذاتي صورة تعكس مدى احساسه بالمشكلات الوجودية كما هو ازاء الاخطار البشرية المتوقعة.

واذا كانت النزعة الذاتية المتمثلة في خوف الشاعر من عدوه البشري او الطبيعي اوالوجودي دافعاً للفخر القبلي، كما تبين وعلى الرغم من وجود الكثير من شعر الفخر الذي راوح الشاعر فيه باتزان بين القبيلة والذات- فقد كان شعر الفخر القبلي محاولة لاثبات الذات وتوكيدها وكانت هذه المحاولة سبباً في استحضار صورة القبيلة البطلة والفخر بها حيث تكون القبيلة غاية في القوة والبطولة والشجاعة ويأتي الشاعر قائداً لها او فارساً متميزاً فيه. فيبدو اظهار القبيلة بصورة بطولية محاولة من الشاعر لاثبات تميزه وبطولته الخاصة بين افراد تلك القبيلة، وهكذا فان الشاعر يسخر من حيث لا تعلم القبيلة ولا تشعر فخره بها لتأكيد ذاته، واثبات تميزه الذي يرمي إلى الكثير.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المصادر والمراجع

المصادر

١- **القرآن الكريم**

٢- ابن جعفر، قدامة. **نقد الشعر**، تحقيق وتعليق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

٣- ابن جندل، سلامة. **ديوان سلامة بن جندل**، تحقيق: فخر الدين قباوة، نشر وتوزيع المكتبة العربية، حلب، ط١، ١٩٦٨.

٤- ابن الخطيم، قيس. **ديوان قيس بن الخطيم**، تحقيق: ناصر الدين الأسد دار صادر، بيروت، ١٩٦٧.

٥- ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، مهد لها ونشرالفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها وحققها وضبط كلماتها وشرحها وعلق عليها وعمل فهارسها: عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ط١.

٦- ابن دريد، محمد بن الحسن. **كتاب جمهرة اللغة**، حققه وقدم له، رمزي بعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

٧- ابن زكريا، أحمد بن فارس. **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر، ١٩٧٩.

٨- ابن سيده، علي بن اسماعيل. **المحكم والمحيط الأعظم في اللغة**، تحقيق: مصطفى السقا وحسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٥٨.

٩- ابن الطفيل، عامر. **ديوان عامر بن الطفيل**، رواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٠- ابن فارس، **مجمل اللغة**، حققه: هادي حسن حمودي، منشورات معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ط١، ١٩٨٥.

١١- ابن قميئة، عمرو. **ديوان عمرو بن قميئة**.

١٢- ابن معد يكرب، عمرو. **ديوان عمرو بن معد يكرب الزبيدي**، جمعه وحققه، مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق، ١٩٦٤.

١٣- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين. **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د. ت.

١٤- الأسدي، بشر بن أبي خازم. **ديوان بشر بن ابي خازم الأسدي**، عني بتحقيقه عزه حسن، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٠.

١٥- الأصمعي، عبد الله بن قريب. **الاصمعيات**، ديوان العرب. مجموعات من عيون الشعر، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، بيروت، لبنان، ط٥.

١٦- الأصفهاني، ابو الفرح. **الأغاني**، شرحه وكتب هوامشه: عبد علي مهنا وسمير جابر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان. ط١، ١٩٨٦.

١٧- الأودي، الأفوه. **ديوان الأفوه الأودي**، ضمن كتاب الطرائف الأدبية، صححه وخرجه وعارضه على النسخ المختلفة وذيله، عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

١٨- البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج. **الحماسة البصرية**، صدر الدين علي بن الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٣.

١٩- تأبط شراً، ثابت بن جابر. **شعر تابط شراً**، تحقيق: سلمان القرغولي وجبار تعبان جاسم، مطبعة الآداب في النجف الأشرف، ١٩٧٣.

٢٠- الجرجاني، علي بن محمد. **كتاب التعريفات**، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن عميره، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٢١- الجواهري، اسماعيل بن حماد. الصحاح: **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطا، دار العلم، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

٢٢- حاوي، خليل. **موسوعة الشعر العربي**، اختارها وشرحها وقدم لها: مطاع الصفدي وايليا حاوي، أشرف عليها: خليل حاوي، المجلد الأول، الشعر الجاهلي، شركة خياط للكتب والنشر، ش، م، ل، بيروت، لبنان، ١٩٧٤.

٢٣- الزبيدي، محمد مرتضي. **تاج العروس من جواهر القاموس**، المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية مصر، المحمية، ط١، ١٣٠٦هـ.

٢٤- الزوزني، الحسين بن أحمد. **شرح المعلقات العشر**، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

٢٥- الطائي، حاتم. **ديوان حاتم الطائي**، دار صادر، بيروت، ١٩٨١.

٢٦- الطائي، حبيب بن أوس. **ديوان الحماسة**، (وهو ما اختاره أبو تمام حبيب بن أوس الطائي من أشعار العرب) شرح: العلامة التبريزي، دار القلم، بيروت، د.ت.

٢٧- الطائي، زيد الخيل. **شعر زيد الخيل الطائي** (جمع ودراسة وتحقيق) صنعه: أحمد مختار البزرة، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٢٨- العبسي، عنترة، **ديوان عنترة**، دار صادر، بيروت، د. ت.

٢٩- العبسي، عنترة، **ديوان عنترة ومعلقته**، قام بتحقيقه: شرحاً وتقيماً وتحديثاً، خليل شرف الدين، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٣٠- العكبري، عبد الله بن الحسين. **شرح لامية العرب**، تحقيق وتقديم: محمد خير الحلواني، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٣١- علي، جواد. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library Yarmouk University

٣٢- علي، جواد. **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين-ومكتبة النهضة، بيروت، ط١، ١٩٧٢.

٣٣- الغنوي، الطفيل. **ديوان الطفيل الغنوي**، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد، دار الكتاب، ط١، ١٩٦٨.

٣٤- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. **كتاب العين**، تحقيق مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، (٤١)- دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١.

٣٥- الفيروزابادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.

٣٦- القرطاجني، حازم. منهاج البلغاء وشرح الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن خوجه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨١.

٣٧- القيرواني، ابن رشيق. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١.

٣٨- النووي، **صحيح مسلم بشرح الإمام النووي**، المجلد السادس، الجزء السادس عشر، الناشر مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، د. ت.

المراجع:

٣٩ ابراهيم، زكريا. **مشكلة الإنسان**، ملتزم الطبع والنشر مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، الفجالة، القاهرة. د.ت.

٤٠- أبو سويلم، أنور. **المطر في الشعر الجاهلي**، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٨٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٤١- أبو علي، محمد بركات حمدي. **أبو تمام بين أشعاره وحماسته**، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق. ط١، ١٩٨٢.

٤٢- أبو عيانه، فتحي محمد. **جغرافية الوطن العربي**، مكتبة كريدية أخون، بيروت، ١٩٧٨.

٤٣- أدونيس، علي أحمد سعيد. **كلام البدايات**، دار الآداب، ط١، ١٩٨٩.

٤٤- أدونيس، علي أحمد سعيد. **مقدمة للشعر العربي**، دار العودة، بيروت ط٣، ١٩٧٩.

٤٥- الأسكندي، أحمد ومصطفى عنانية. **الوسيط في الأدب العربي وتاريخه**، دار المعارف بمصر، مصر، ط١٨.

٤٦- اسماعيل، عز الدين. **التفسير النفسي للأدب**، سلسلة علم النفس والحياة، باشراف لويس كامل مليكه، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، د. ت.

٤٧- اسماعيل، عناد غزوان. **المرثاة الغزلية في الشعر العربي**، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٩٧٤.

٤٨- أمين، أحمد. **فجر الإسلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٩، ١٩٦٤.

٤٩- بدوي، أحمد أحمد. **أسس النقد الأدبي عند العرب**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، د. ت.

٥٠- بدوي، عبد الرحمن. **الزمان الوجودي**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٣.

٥١- بدوي، عبده. **الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي**. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨.

٥٢- البستاني، بطرس. **أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، حياتهم-آثارهم-نقد آثارهم، دار الجيل ودار مارون عبود، طبعة جديدة منقحة ومشروحة ومفهرسة، ١٩٧٩.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥٣- البستاني، بطرس. **الشعراءالفرسان**، دار الكشوف، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٦٦.

٥٤- البطل، علي. **الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري (دراسة في اصولهاوتطورها)** دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢.

٥٥- بيومي، السباعي. **تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت.

٥٦- تليمه، عبد المنعم. **مقدمة في نظرية الأدب**، دار العدودة، بيروت، ط٢، ١٩٧٩.

٥٧- الجبوري، منذر. **ايام العرب واثرها في العصر الجاهلي**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٧.

٥٨- الجبوري، يحيى. **الجاهلية: مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي**، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٨٦.

٥٩- الجبوري، يحيى. **الشعر الجاهلي، خصائصه وفنونه**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٩٨٦.

٦٠- الجندي، أنعام. **الرائد في الأدب العربي**، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٧٩.

٦١- الجندي، علي. **في تاريخ الأدب الجاهلي**، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.

٦٢- حاوي، ايليا. **في النقد الأدبي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٤.

٦٣- حجازي، مصطفى. **التخلف الاجتماعي**: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٦.

٦٤- حسن، حسين الحاج. **ادب العرب في العصر الجاهلي**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤.

٦٥- حمدان، جمال. **انماط البيئة**، عالم الكتب، القاهرة، د. ت.

٦٦- خفاجي، عبد المنعم. **الشعر الجاهلي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٦٧- خليف، يوسف. **دراسات في الشعر الجاهلي**، مكتبة غريب، الفجالة ١٩٨١.

٦٨-خليف، يوسف. **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، دار المعارف، القاهر، ط٤، د. ت.

٦٩- درويش، محمد حسن. **تاريخ الأدب العربي في الجاهلية وصدر الإسلام**، مطبعة الفجالة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٤.

٧٠- الراوي، مصعب حسونة. **الشعر العربي قبل الإسلام بين الإنتماء القبلي والحس القومي**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٨٩.

٧١- روميه، وهب. **الرحلة في القصيدة الجاهلية**، الاتحاد العام للكتّاب والصحفيين الفلسطينيين، ط١، ١٩٧٥.

٧٢- زهران، حامد عبد السلام. **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتب، القاهرة، ط٤، ١٩٧٧.

٧٣- زيعور، علي. **قطاع البطولة والنرجسية في الذات العربية**، (المستعلي والأكبري في التراث والتحليل النفسي)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٢.

٧٤- سركيس، احسان، **مدخل إلى الادب الجاهلي**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩.

٧٥ شلش، محمد جميل. **الحماسة في شعر الشريف الرضي**، المكتبة العالمية، بغداد، ط٢، ١٩٨٥.

٧٦- ضيف، شوقي. **العصرالجاهلي**، دار المعارف بمصر، القاهرة، د. ت.٧١-

٧٧- الطرابلسي، أمجد. **نظرة تاريخية في حركة التاليف عند العرب في اللغة والأدب**، دار الفتح بدمشق، د. ت.

٧٨- عاقل، فاخر. **اصول علم النفس وتطبيقاته**، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧٩- عبد الرحمن، عائشة. **قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر**، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠.

٨٠- عبد الرحمن، عفيف. **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي**، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٤.

٨١- عبد الرحمن، نصرت. **الصورة الفنية في الشعر العربي في ضوء النقد الحديث**. مكتبة الأقصى، عمان-الأردن، ط٢، ١٩٨٢.

٨٢- عبد الصبور، صلاح. **قراءة جديدة لشعرنا القديم**، دار النجاح، بيروت، ١٩٧٣.

٨٣- عبد المقصود، زيد. **البيئة والإنسان: علاقات ومشكلات**، منشأة المعارف، الاسكندرية، د. ت.

٨٤- عبد الله، محمد صادق حسن. **خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة، دراسة وتحليل ونقد**، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ت.

٨٥- عجلان، عباس بيومي. **الهجاء الجاهلي، صوره وأساليبه الفنية**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ١٩٨٥.

٨٦- الفاخوري، حنا. **الفخر والحماسة**، سلسلة فنون الأدب العربي، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٢، ١٩٦٨.

٨٧- فروخ، عمر. **تاريخ الأدب العربي**، الجزء الأول: الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣، ١٩٧٨.

٨٨- فهمي، ماهر حسن. **قضايا في الأدب والنقد**، دار الثقافة، قطر، الدوحة، ١٩٨٦.

٨٩- القيسي، نوري حمودي. **البطل في التراث**، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار ومكان النشر؟، ط١، ١٩٨٨.

٩٠- القيسي، نوري حمودي. **شعر الحرب حتى القرن الاول الهجري**، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية،بيروت، ط١، ١٩٨٦.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

٩١- القيسي، نوري حمودي. **الفروسية في الشعر الجاهلي**، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط٢، ١٩٨٤.

٩٢- الكمالي، شفيق. **الشعر عند البدو**، مطبعة الإرشاد، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، بغداد، د. ت.

٩٣- المحاسني، زكي. **شعر الحرب في آداب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة**، دار المعارف بمصر، ط٣، د. ت.

٩٤- ناصف، مصطفى. **اللغة بين البلاغة والأسلوبية**، النادي الأدبي الثقافي بجدة، المملكة العربية السعودية، جدة، ١٩٨٩.

٩٥- ناصف، مصطفى. **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، دار الأندلس، بيروت، لبنان، د.ت.

٩٦- نبوي، عبد العزيز. **دراسات في الأدب الجاهلي**، الناشر، الصدر للخدمات والطباعة، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨.

٩٧- النص، احسان. **العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي**، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧٣.

٩٨- النويهي، محمد. **الشعر الجاهلي (منهج في دراسته وتقويمه)**. الناشر الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.

٩٩- الهاشمي، عبد الحميد محمد. **أصول علم النفس العام**، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جدة، ط٢، ١٩٨٦.

١٠٠- الهاشمي، عبد الحميد محمد. **المرشد في علم النفس الاجتماعي**، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، جده، ط٢، مزيده ومنقحة، ١٩٨٩.

١٠١- يوسف، حسني عبد الجليل. **الإنسان والزمان في الشعر الجاهلي**، ملتزم النشر والطبع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٨.

١٠٢- اليوسف، يوسف. **مقالات في الشعر الجاهلي**، دار الحقائق، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٥.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البحوث:

١٠٣- الأشتر، صالح. **الحرب والسلم في الشعر الجاهلي**، المعرفة، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة والإشاد القومي، العدد ٥، ١٩٦٢.

١٠٤- زيتوني، عبد الغني. **النزعة الذاتية في الشعر الجاهلي**، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، السنة الثالثة عشرة العدد ٣٧، ١٩٧٩.

١٠٥- سنجلاوي، ابراهيم. **العاذلة في الشعر العربي**، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، تصدر عن جامعة الكويت، العدد ٢٨، المجلد السابع، ١٩٨٧.

١٠٦- الصفدي، مطاع. **قراءة ثانية للشعر الجاهلي: الأصالة والممكن**، مجلة الفكر العربي المعاصر، تصدر شهرياً عن مركز الإنماء القومي بيروت، العدد العاشر، ١٩٨١.

١٠٧- الغباري، عوض. **شعر الحماسة في الأدب العربي**، الطليعة الأدبية، العدد السابع، ١٩٨٥.

١٠٨- نجم، وديعه طه. **نظرة في منزلة الشاعر العربي قبل الإسلام وبعده**، مجلة كلية الآداب، تصدرها كلية الآداب في جامعة بغداد العدد التاسع، ١٩٦٦.

١٠٩- اليوسف، يوسف. **تحليل معلقة امريء القيس**، المعرفة (مجلة ثقافية) شهرية تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي، العدد ١٦٣، ١٩٧٥.

١١٠- اليوسف، يوسف. **ما الشعر العظيم؟**، المعرفة، مجلة ثقافية شهرية تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومي العدد ١٨٣، ١٩٧٧.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

المراجع الاجنبية والمترجمة:

١١١- بروكلمان، كارل. **تاريخ الأدب العربي**، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٣.

١١٢- زحلاوي، إلياس (مترجم). **المجتمع والعنف**. تأليف، فريق من الاختصاصيين. ترجمة، إلياس زحلاوي، مراجعة، انطون مقدسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط٣، ١٩٨٥.

113- Hebrew and English *Lexicon of the Testament*, Basedon the Lexicon of William Gesenins, tr. by Edward Driver and Charles A. Briggs (Oxford: Clarendon Press, 1951), pp. 984-985.

الرسائل الجامعية:

١١٤- شحادة، عبد العزيز محمد. **الذات والقبيلة في الشعر الجاهلي**. (رسالة دكتوراه مخطوطة) جامعة عين شمس، ١٩٩٠.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University
© Arabic Digital Library-Yarmouk University

Abstract

Poetry of boast among the Cavalier Poets

An Analytical Study

by

Hanan A. J. Al-Hatamleh

M.A. Arabic language, Yarmouk University, 1994

Supervisor

Ibraheem Sinjalawi , Ph.D.

In this study the researcher discussed the poetry of boast used by the cavalier poets in four chapters.

In Chapter I, the researcher put forward the linguistic and terminology meanings of boast, enthusiasm and cavalry. The researcher concluded that the linguistic meanings thereof are not consistent with the terminology ones. In addition to the presence of relation between boast and enthusiasm which justifies for the subsequent talk about boast - in its certain aspects- to be a talk about enthusiasm. The researcher also discussed the relation and connection of cavalry to enthusiasm and boast.

In Chapter I I the researcher handled the relation of the tribe and its structure with the poetry of boast. I clarified that the deep structure of the tribe is the factor that gave birth to the poetry and boast in its both types.

In Chapter I I I the researcher studied the motives of the poetry of tribal boast, and classified these into four motives: economical,

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

social, political and psychological. This is in addition to the environmental motive built therein and making thereto. Through the study of said motives the researcher elaborated the general meanings and values of said boast.

The researcher allocated the Final Chapter for thc study of "Maneuvering between the personal orientation and the tribal orientation in the poetry of boast". Through it the researcher studied the image of the "Hero tribe" that was eminent in the tribal poetry of the cavalier poets. It was concluded that the motive behind this heroic image of the tribe was personal in many instances. In this Chapter, the researcher also studied the personal boast poetry of the cavalier poets, its meanings and general values in addition to its motives which -in most cases- were psychological, their incentives were the feeling of danger, weakness and death. Thus, the personal boast poetry was an attempt to encounter the nations of weakness, inability and death. In it the researcher also studied the pure personal trend as a motive for boast in the tribe, where the tribe is put forward in a state of feeling of danger threatening the person of the poet or in case of his feeling of the existential problems like inability, weakness, annihilation and death.

© Arabic Digital Library - Yarmouk University

© Arabic Digital Library-Yarmouk University